

مختارات الشعر الأرميني عبر العصور

المجلس
الأعلى
للثقافة



المشروع القومي للتربية



الترجمة الحرفية والتعليقات
الصياغة الشعرية والمراجعة اللغوية
د. قلاوجان كازنجيان
محمد إبراهيم أبو سنّة

مختارات
من الشعر الأرميني
عبر العصور

الصياغة الشعرية والمراجعة اللغوية

محمد إبراهيم أبو سنة

الترجمة الحرفية والتعليقات

د. فاروچان كازانچيان



تصدير

« عندما يكون الشعر هو الوطن »

فاروق شوشة

لا شك في أن قراء العربية أحوج ما يكونون إلى إطلالة على الشعر الأرمني، تقدم لهم من خلال ترجمة أمينة، وصياغة تحافظ على ماء الشعر، أجمل ما في الشعر من مختارات، تغطي سائر عصوره - من حيث التاريخ -، وشتى دوائره واهتماماته من حيث الابداع والتنوع..

والذي بين يدي القارئ الآن هو جهد رائد في هذا المجال، لم يسبقه أي جهد مماثل للاقترب من تخوم الشعر الأرمني. الذي يقدم رؤية شعرية حافلة بالصور والمشاعر الإنسانية ومعاناة الحياة والوجود وتمزق الهجرة والتشرد وصراعات المنفى وافتقاد الأرض والوطن. مما يجعل من كثير من صفحاته - على المستوى العميق من الابداع الشعري - بكائية هائلة، هي بكائية هذا الوجود المضطهد، وهذا الإنسان المقذوف به في أتون الصراعات والحروب ومناطق النفوذ، وهو يلتمس طوق النجاة.

هذا الشعر إذن هو وجدان أمة، هي أمة الارمن، في كل لغاتها ومستويات تعبيرها، وتغير عقيدتها الدينية من الوثنية إلى المسيحية، ومن الانعزال والتفوق إلى الانفتاح والتعايش.

وهو وجدان ثرى خصب، لأنه حافل بالذكريات والرؤى والمطامع والأشواق، ممتلئ بالرغبة الدائمة في اصطياذ العالم وتكثيفه في لحظة شعرية لاتخلو من الدلالة والمعنى والموقف والاشارة.

ولسوف يطالع القارئ العربي - الذي سبق له الاطلاع على آداب أخرى شرقية وغربية، قديمة وحديثة ومعاصرة وانفعل بها وأصبحت جزءاً من خبرته الإنسانية والفنية - سوف يطالع في هذه المختارات نفساً شعرياً مغايراً لكل ما قرأه من قبل، وإبداعاً مدهشاً يلخص وجوه الحياة المختلفة في أقل عدد من الكلمات والاقايعات،

وطرائق في التعبير تجسد شخصية الشعراء الأرمن وعلاقتهم بلغتهم، شدا وجذبا ومحاولة دائبة لاختراق الحاجز، والقفز على الاسوار.

لقد قدر لكثير من قصائد هذا الشعر أن تكون بمثابة الوطن البديل حين افتقد معنى الوطن، كانت وطنا مصوغا من الكلمات، وطنا يسكنه المعذبون المشردون المحرومون، بقدر ما يسكن هو فيهم. ولم يتوقف الشاعر الأرمني - عبر العصور المتطاولة التي يلخصها هذا الكتاب - عن تجسيد معنى الوطن، وعن الاعلان عن افتقاده، وعن الغناء له جسدا وروحاً نزعاً ميتافيزيقياً أو مخاطبة للكون المائل، تجسيدا أو تجريدا، ذويانا في الحب أو انغماسا في تجليات الصلاة والقربى، فالشعراء وحدهم - كما يقول باروير سيقاج في هذه المختارات - لا نملك الا أن نحسدهم، ولكن ثمة أوقات لا نملك إلا أن نشفق عليهم.

وبين الحسد والشفقة تتوزع أنغام هذه المختارات وتتعدد مقامات حلولها الشعري في النفوس.

تحية لهذا الجهد الكبير: ترجمة وصياغة، وإضافة ثرية الى رصيد المكتبة العربية من الشعر العالمي، وإلى رصيد القارئ العربي من المعرفة العميقة بالملحمة الأرمنية عبر التاريخ.

نهيد

منذ زمن بعيد تراودنى فكرة تقديم مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور باللغة العربية . وما كان بإمكانى الإقدام على هذا العمل الشاق لو لم يوافق صديقى الشاعر محمد إبراهيم أبو سنة على صياغة ترجمتى الحرفية صياغة شعرية ومراجعة التعليقات لغوياً .

أعترف أن إختيارى لمعظم القصائد هو تمثيلى لذوقى الأدبى . أخترت بعضها لأنها تمثل قمماً إبداعية ، والبعض الآخر لتفرد الشديده ، وعددا منها لمكانتها فى تطور الشعر الأرمنى ، هذا إلى جانب كلاسيكيات معترف بها .

ولأن هذا الكتاب ليس تأريخاً للشعر الأرمنى ، فلقد استغنيت عن المقدمة المطولة ، وفضلت أن أكتفى بنبذة تاريخية قصيرة وأن أقدم كل شاعر على حدة ، حياته ومميزات شعره ، ثم قصائده ، وأخيراً مداخل أو قراءات لبعض أو كل القصائد . وهذا حسب التسلسل الزمنى للشعراء . وهم أربعة وعشرون شاعراً منهم إثنا عشر شاعراً من العصور القديمة ومثلهم من العصر الحديث .

ولقد فضلت أيضاً عدم إثقال الكتاب بتاريخ الأرمن ، وعلى القارئ الذى نأ لديه فضول المعرفة أن يستشير كتب التاريخ المتخصصة .

وقبل أن نبدأ فى قراءة القصائد فإننى وزمىلى نتوجه بعظيم الشكر إلى جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة على مساندتها لهذا الجهد .

نبذة تاريخية

الشعر الأرمني مكتوب باللغة الأرمنية التي هي فرع مستقل من عائلة اللغات الهندوأوروبية وقد اخترع أبجديتها المكونة من ٣٦ حرفاً «مسروب ماشطوتس» عام ٤٠٤ ميلادية . ولا شك أن اللغة الأرمنية تسبق ذلك التاريخ بقرون عديدة ، فقد كانت لغة مكتملة ، تتميز بالقواعد الواضحة وتضم قاموساً ضخماً من الكلمات . كانت لهذه اللغة القدرة على التعبير عن مختلف المعاني وأدقها ، وقد ترجمت إليها - بعد إكتشاف الأبجدية - أمهات الكتب في ذلك العصر ، وأولها الكتاب المقدس . وكتبت بها مؤلفات عديدة قيمة حتى صارت تلك الحقبة تعرف باسم العصر الذهبي للأدب الأرمني .

ولكننا لا نعرف - للأسف - إلا القليل جداً عن الأدب الأرمني قبل إختراع الحروف الأرمنية . وهي أمثلة قدمها أبو المؤرخين الأرمن «موفسيس خوريناتسى» في القرن السادس ضمن سرده لتاريخ الأرمن في العهود القديمة . يتكلم خوريناتسى عن الأغاني الشعبية الأرمنية في العهد الوثني (فقد أصبحت المسيحية دين الدولة عام ٣٠٤) وبذلك تعتبر أرمينيا أول دولة مسيحية في العالم . وكان إقليم «كوغطان» في أرمينيا غنياً بتلك الأغاني ، وقد كان «الكوسان» مغنون متجولون في أنحاء أرمينيا يؤدون تلك الأغاني في الإحتفالات والمناسبات المختلفة مع مصاحبة الآلات الموسيقية .

ومن الأغاني التي ذكرها المؤرخ خوريناتسى تلك المقطوعة التي تصف مولد الإله «قاهاك» من مخاض تشترك فيه السماء والأرض والبحر والنار ، أى عناصر الكون الأربعة . وقاهاك هو إله الرعد والقوة والإقدام . ومن المرجح إن المقطوعة جزء يسير من ملحمة كبيرة ضاعت للأسف .

ومن الأغاني التي يذكرها أيضاً خوريناتسى أغنية ذات خلفية تاريخية عن معركة بين الأرمن والآلان ، فقد وقع ابن ملك الآلان أسيراً في يد الأرمن في إحدى جولات المعركة ، وجاءت أخته «ساتينيچ» إلى شاطئ النهر الذي يفصل بين الجيشين وتقول بحق إن جعل أخيها عبداً سوف يولد العداء الأبدى بين الشعبين . وأعجب ملك الأرمن «أرداشيس» من الكلام الحكيم للأميرة الآلانية ورغب في الزواج منها ولكن ملك الآلان يرد : «ومن أين يجئ أرداشيس المقدام بآلاف الألوف من أجل الأنسة الآلانية ، عذراء شعبنا الجسور؟» ولذلك يضطر الملك أرداشيس أن يخطفها . ثم نقرأ عن حفل الزفاف الفخم : «الذهب كان ينهمر في عرس أرداشيس ، اللؤلؤ كان ينهمر في عرس ساتينيچ» .

الشعر الأرمني بعد اختراع الأبجدية الأرمنية يخدم أغراضاً دينية بحتة لمدة خمسة قرون حيث كان ينشد في الكنائس، مثلما كتب مخترع الأبجدية مسروب ماشطوتس: «بحر حياتي يلاطمني دائماً، العدو يقيم أمامي أمواجاً عاصفة، أيها الربان الطيب، إحمني». أما الربان الطيب فهو المسيح.



كريكور ناريجاتسى (٩٥١ - ١٠٠٣) هو الشاعر الجبار الذى يفصل الشعر عن الكنيسة ويجعل له كيانه المستقل. أما نرسييس شنور هالى (١٠٩٨ - ١١٧٣) فهو أول من استخدم الشعر كأداة تنويرية، وهو أول من استخدم اللغة العامية فى عصره، فاللغة المستخدمة فى الكتابة - «الكرابار» - أصبحت غير مفهومة لعامة الشعب.



جسد الشعر فى القرون الوسطى الصراع بين المفاهيم الدينية الأخلاقية من ناحية وبين النزعة إلى الاستمتاع بالحياة من ناحية أخرى. فإلى جانب الشعر الدينى البحت، هناك شعر دنيوى يفرغ الشاعر فيه (مع كونه رجل دين) تجاربه وتأملاته الشخصية فى الحياة. وينفرد بين هؤلاء الشعراء شاعر غريب من القرن الخامس عشر بإسم غير مألوف أيضاً هو «فريج»، لا نعرف أى شئ عن حياته، يكتب باللغة العامية وينقد الأوضاع الإجتماعية المقلوبة السائدة فى زمانه، وهو يلقي اللوم، مجازياً، على «الفلك»: «أيها الفلك، ترصع بيت الوضيع بالذهب من كل ناحية، أما الطيب فتتفيه من البلاد ليمضى يلتقط الفتات. من لا يستحق أن يكون راعياً للخنازير تزينه كفارس مهيب، وتخرب منازل الناس بلا سبب واضح. وبينما تعلى من شأن الجاهل النجس فى هذه الدنيا، تلقى بخير الحكماء فى الجبال والوديان».



أما الشعر الدنيوى البحت فهو يتمثل فى «الهايرين»، مؤلفة على الأرجح فى القرون الوسطى من شعراء مجهولين من أبناء الشعب، ومنسوبة خطأ إلى «ناهايد كوتشاج» (؟ - ١٥٩٣).



«الشعر الأشوغى» فرع مستقل فى الشعر الأرمنى بداياته فى القرن السابع عشر وتصل إلى قمته بإبداع «ساياط نوفا» (١٧١٢ - ١٧٩٥).

تتزامن معه مرحلة النهضة فى الأدب الأرمنى (١٧٠١ - ١٨٥٠)، وهى مرحلة لا تزال اللغة المستخدمة فيها هى «الكرابار»، ولكن أرسيت فيها قواعد الوعى بالفن، وتمت تنقية اللغة من

الشوائب الأجنبية ، وأصبح هناك الإهتمام بشكل العمل الأدبي بمحاكاة الأعمال الكلاسيكية العالمية الكبرى .

★ ★ ★

يبدأ العصر الحديث في الأدب الأرمني مجازيا عام ١٨٥٠ . وفيه تستخدم اللغة الأرمنية الحديثة «الأشخاراپار» . ويكتبه أدباء من أبناء الشعب . وهو أدب متجاوب مع كل الاتجاهات الأدبية المعاصرة . ولهذا الأدب فرعان ، فرع يكتب بالفرع الغربي للغة الأرمنية الحديثة ، وأصبح مركزها اسطمبول ، وفرع يكتب بالفرع الشرقي للغة الأرمنية الحديثة ، وأصبح مركزها تفليس . وتنتهى هذه المرحلة ، خاصة بالنسبة للفرع الغربي بإقتلاع الأرمن من موطنهم التاريخي وتشقيتهم في عام ١٩١٥ .

★ ★ ★

نشأت الأرمن في العالم فأصبح هناك ما يسمى بـ «أدب المهجر» يكتب على الأغلب بالفرع الغربي للغة . أما الفرع الشرقي للأدب فأصبح يسمى «أدب أرمينيا السوفيتية» من عام ١٩٢٠ . ومنذ استقلال أرمينيا في عام ١٩٩١ دخل الأدب مرحلة جديدة لم تتضح معالمها بعد .

مختارات
من الشعر الأرميني
عبر العصور

تم ترتيب الشعراء والقصائد
ابتداءً من العصر الحديث حتى العصور القديمة

بارویر سیقاج

« شاعر تذهلنا الان مجازفته »

باروير سيقاج (١٩٢٤ - ١٩٧١)

إسمه الحقيقى باروير غازاريان .

ولد فى قرية «تشانختشى» فى أرمينيا . توفى فى حادثة سيارة . دفن فى مسقط رأسه .

درس الأدب الأرمنى القديم فى جامعة يريقان ، ثم ذهب إلى موسكو ليدرس الأدب فى جامعة مكسيم جوركى . حصل على درجة الدكتوراه فى فلسفة الأدب عن «ساياط نوفا» فى عام ١٩٧٠ .

إشتهر كشاعر فى أواخر الخمسينات لكتابه قصيدة طويلة «برج أجراس لا يمكن إسكاتها» عن حياة الموسيقار الأرمنى الأعظم جوميداس ، الذى جن بسبب الصدمة النفسية التى أصابته بها المذابح الأرمنية الكبرى عام ١٩١٥ .

باروير سيقاج نموذج غريب لمثقف عاش فى حكم شمولى . فقد دخل الحزب الشيوعى ولكنه فى شعره كان يثور ضد «الآلهة المزيفة» . ووطنه الشديدة كانت تتعارض مع فكرة الأمية .

وباروير سيقاج هو شاعر الحداثة دون أن يغرق فيها . قد يكون من المفيد أن نعرف شعره بالحداثة الخطائية . فصوره الشعرية مستمدة من أدوات وتقنيات العصر العلمى الحديث ، ولذلك قد لا تبدو شعرية من منظور المألوف ، ولكنه يستخدمها لتوصيل فكرته إلى القارئ .

ولقد هوجم كثيرا بسبب بعض قصائده فى ديوان «الإنسان فى الكف» ، حيث المعنى المستتر وراء المعنى الواضح ، وحيث الغموض المقصود ليجذب القارئ إلى تفسيره . وكان الشاعر بهذه القصائد يدين النظام القائم . ولكنه دافع عن نفسه ببراعة ، يعرف ماذا يكتب وكيف يمكن أن يفسر ما يكتبه .

هو المثقف المضطرب بمساوى عصره ، تملكه رغبة البوح بها ، ويكبحه الحفاط على سلامته ، ولذلك نجده يشرع فى المخاطرة المحسوبة .

اقتراح للحاسبات والآلات الدقيقة في جميع أنحاء العالم

دائماً تَحْسِبُون

تَحْسِبُون كلَّ شَيْءٍ

احسبوا إذن

على أي موجة وفي أي وقت

من الثانية

كم جراماً من الدم يتدفق

من قلب الفتاة إلى خدودها الحية

ليشتعل هذا الوهج الحراري التَّوَوِي

الذي نسميه - براءة - «الحياة» ؟

حمم الأشعة الكونية

التي تتدفق إلى عُيُونِنَا

فتبرق مندهشة

حينما تبصر فجأة عيوناً أخرى وتسحرها

هل هذا الاشعاع المتبادل

بين الأعين العاشقة

مفيد للقلوب

أم ضار بها؟

تَحْسِبُون تَحْسِبُون

عندكم كلُّ شَيْءٍ بحساب

احسبوا إذن

كم كيلواط من الطاقة

منحناها ليلمعَ شعرُ أطفالنا المُخملَى
ولأيديهم الرقيقة الصغيرة
كم أعطينا لنُحسَ بروعةِ قوامِ حبيبنا اللَّذَن
أو لِكُتِفِ جدَّتِنَا الوَاهِنِ؟

وهل عائدُنَا أَقلُّ أم أكثرُ مما أعطينا؟
إنكمُ مع ذلكَ مستمرُّون في الحساب
إحسبوا أرجوكم، إحسبوا أيضا

كم نظرة شبقٍ

أنطلقتَ من عيني الواحد منا

وإلى كم من النساءِ قد نظرَ باشتهاءُ

وإلى أى عددٍ من النساءِ

قد نظرَ بوله عذرى

أو بمودة أخوية؟

اذكروا لنا بحساباتكم

أين هى أماكن النساء اللواتى

كنا نتمنى أن يقعن فى غرامنا

ولكننا للأسف لم نلتق بهن أبدا.

حددوا لنا عددَ الأطفال

الذين كان من المنتظر

أن تُنجبهم

ولكننا لم نحظَ بذلك

وفقدناهم إلى الأبد.

إحسبوا عددَ الأطفال

الذين ظنَّنا أنَّهم

سيصبحون أبناءنا

ولكن آمياتنا ذهبت أدراج الرياح
ورغم ذلك تستمرون فى حساباتكم .

نحن لا نكادُ نعرفُ شيئاً

عن طريقة ضحك الإنسان

كيف يضحكُ

ولماذا الإنسانُ

وحده يعرفُ الضحك

لماذا لا تضحكُ الكائنات الحية الأخرى؟

إحسبوا موجات ضحكاتنا

إن كنتم تقدرُون

حدِّدُوا ألوانها المختلفة

أفهمونا الفرقَ

بين الابتسامة الساخرة

والقهقهة السعيدة .

حلُّوا لنا

بجَماعِكم الإلكترونيةِ الجبارةِ

وبحَدقاتِ عيونِكُم المشعةِ

التي ليس بها بياضُ

حلُّوا لنا طبيعةَ الشوقِ

أعيدوا تركيب الدُخان الحَقِيّ
الذى ينبعثُ من لهيبِ الشوق

والى أين يذهبُ؟
ومع ذلكَ تَظَلُّونَ فى حساباتكم .
تحسبونَ وتحسبون
تنبأوا

بذلك التاريخ أو على الأقل
بتلك السنة المقبلة القريبة
حيث تنهضُ وتتعافى الشعوبُ المضطهدةُ
وتلقى الشعوبُ الباغيةُ
جزاءها العادل والنهائى

كم شعوب كثيرة
ومنذ عشرات القرون
تتظرُ يائسةً

من رحمة الآلهة
ولكنها ما تزالُ ترزحُ تحت وطأة
انتظارها الطويل

ما زالتُ تتظرُ وتتظرُ
وأنتم أيها الآلهةُ الجديدةُ
لهذا الزمن الجديد
ليتكم لم تكونوا زائفين مثلهم .
إحسبوا كما تشاؤون

لكن حَدِّدُوا لنا عددَ الجسور
التي تَرِبطُ انحاءَ البلادِ
والتي كُنَّا نود أن نعبرَها من بلدٍ إلى بلدٍ
ولكننا لم نَعْبُرْها
ويبدو أننا لن نمر فوقها أبداً.

أظهروا لنا
كم لدينا من الأحلام والرؤى
أوضحوا لنا العددَ المؤكدَ
للسكوك التي تُنْضِجُنا على نارها
فنعرف الحكمة أحياناً
ولكنها يا ويلتنا
تدفعنا إلى الذبُولِ

قبل الألوان أحياناً كثيرة.
إكشفوا لنا الشكلَ البيانيَّ
للتحرر من الوهم
وكم نَتَمَنَّى ألا يكون له شكل الصاعقة.
بينوا لنا كذلك الخطَ البيانيَّ

لفقدان الأمل
يا للفرع من أن يكونَ هذا الفقدان
موازيًا لحياتنا
وأظن أن المتوازيين لا يلتقيان أبداً.
إحسبوا لنا
عددَ الساعات التي لا تُعد

والتي تَبَدَّدَتْ وَفُقِدَتْ

في الأزمنة القاسية والازمنة الرخية

عدد الساعات التي تَبَدَّدَتْ

في صف الطوابير

وفي حشد المراكب

وقراءة الصحف المتعددة اللغات

والتي لا تحملُ عناوينها ذاتُ اللهب الأسود

في كل صباح

سوى أنباء الحروب

حيث تترصدنا

عين المدفع الواحدة في عينينا الإثنتين

وحيث تغوصُ الغواصاتُ

بأمنيات أرواحنا

إلى الأعماق المظلمة

وحيث تطالبُ القنابلُ الهيدروجينيةُ

بامتصاصِ الماءِ الأبيضِ

من دم عروقنا الأحمرِ.

عليكم بعد كل هذا أن تحسبوا لنا

كم طنٌّ من الذرة يلزم أن ينشطرَ

حتى يصبحَ يسيراً شطرُ هذه الكرة الأرضية.

وعليكم أن تحسبوا

كم من أسلحة ينبغي إنجائها

حتى تفقد كل الأمهات
مقدرتهن على الإنجاب
لو أنكم قدرتم أن تحدثوا كل ذلك
فلن يكون ثمة داع لأن تحسبوا
كم فقدنا من مكاييل الإيمان
فقط يكفي أن تشرحوا لنا
بأية معجزة
في ظل فقدان كل هذا الإيمان
لم نغص إلى أعناقنا
في اللهجة السوداء
كنصل الوتد الحاد.
قولوا لنا بطريقة ودية
كم من السنين يلزم
كى يولد طفل من أطفال اندرسون
ليخبر الملوك أنهم عراة
وأرجوكم أن تخبرونا
هل سيحاول الملوك بعد علمهم
أن يسترُوا عوراتهم
أم يظلوا سادرين في غيهم
ويقهروا المعارضين
الذين يريدون ستر عوراتهم
أو الخجلين

الذين يرغمونهم أن يعيشوا

بعيون مقفلة ؟

وربما تُفصحون

لم لا تكونَ هناك صلةٌ

بين صمِّم يتهوِّقن

وبين هذه الانفجارات

والتي تزداد ضَرارةً

فى العالمِ الآن

وحول العالم

وإذا كانت هناك صلةٌ

أوضحوا أرجوكم

هل العالمُ سعيدٌ

بيتهوِّقات لا حصرَ لها الآن

أم أن الصمِّم

يتكاثرون فقط .

احسبوا من فضلكم

وللمرة الأخيرة

بأية طريقة

وبمساعدة أية آلة خيِّرة

كيف يحتفظ الإنسان بإنسانيته

أو الذى يجعلُ من الإنسان إنساناً؟

تعارف جديد

هل لنا أن نتعارف؟ نعم بكل سرور
ولكنني بلا اسم
وإذا شئت نادني «بالإنسان»
أو «الجنوبي» حيث أصل العائلة.
إنني أغفو
ذلك لأنني متعب.
نعم، حتى الدُمى يصيبها الوصب
حينما تقسرها الخيوط
التي تحركها على العيش. العيش؟
هل تُسمي هذا عيشاً؟ لا أدرى.
الأشجار توضع فوق الأرضة كنقاط اعتراض
هناك سرٌّ وراء ذلك
وعقلي لا يتقبله.
لا أخطأت. عقلي يفهم السرَّ
ولكنني أرفض العوائق التي لا مبرر لها
فتكاثرت نقاط الاعتراض.
في فمي ماءٌ
أني لى أن أجادل
لم يُخلق الفم فقط
لكي يمضغ الطعام
بل خلق ليتكلم

بل لنفكر بشفاهنا
وليس بالعقل وحده .

هل تعارفنا ؟ لا أظن .
هل أستمّر ؟ قدماى جائعتان
دعهما يطآن التراب قليلا
أما عيناى فظامثتان

لانور يكفيهما .
لم تعد الموهبة شرطاً للخلود
يكفى أن تكون « ماموثاً » ورقة عشب
انطبع أثرها فى طبقة الفحم الحجرى .
شوقى بلا حدود

لا تحاول انتزاعه
سئمت بساطة الخط المستقيم
وإن كنت اعتبر الخط المنحنى تبذيراً كبيراً
هل لى أن أشتاق إلى الإيضاح
- فاصلة و نقطة -

ليس هذا مجرد هدف صغير
بل هو حلم محرق .
هل تعارفنا ؟ سل بيتهوثن
ولكن لا تنس أنه أصمُّ

وقد لا يفهم سؤالك
لكن دعنى أقل لك

وأنا أمل أن أساعدك

إنك لَكى تتمكن من أن تعرفنى
ينبغى أن تتخلص
من أحكامك المسبقة
وليس هذا بالأمر السهل
تماما كما هى الحياة.
ليست لدى أسرار حتى مع زوجتى
ولو أننى اضطررت رغم ذلك إلى الكذب
فلست أنا المذنب
هل تتساءل ومن المذنب إذن؟
ما شأنك بهذا؟ كيف تستطيع المساعدة؟
بل كيف تقدر أن تُغيّر شيئاً؟
لو كانوا يصلُّون بسبب الصراحة
لما بقى للمسيح أحدٌ يعبدُه.
آه تلك العبادة
التي تتغيرُ فى أشكالها
تماماً كالجنين فى بطن أمه
ولكنها تولد دائماً كالطفل
خالية الرأس مغلقة العينين.
هل تعارفنا؟
لا أدري إن كنتَ عرفتنى
أما أنا فقد عرفتُكَ حقاً
عيناك بدلاً منك تنطقان فى صمت
كأنك تعتبرنى مريضاً ميثوساً منه؟

وما أقوله مجرد هذيان ؟
صدقني

ما أنا بمريض
ولا أنا أهذى .

كلُّ ما فى الأمر
أننى آمنتُ منذ زمن بعيد
أن فى تجارة الممالة

لا ينبغى أن تطرح نفسك
كعملة يمكن فكها

وتنفق نفسك

قرشاً بعد قرش .

هل تعارفنا؟ نعم، مؤكد
دعنى أقل لك قبل أن نفترق

إن امثالك يا عزيزى
قد يستطيعون أن يفعلوا بى أى شئ
غير أنهم يعجزون

عن نزع ابتسامة التفاؤل منى
ابتسامتى تلك

إنها الابتسامة

الساخرة

الخالدة .

وداعاً !

الشعراء

إنهم كالآخرين
لا يستطيعون العيش بدون الأوكسجين
رغم أنهم يحترقون كل ثانية
بدون أوكسجين
ثم يشتعلون كالقمح الحجرى .
يتحبون دائماً
حتى حينما تُقدم إليهم
قطع الحلوى المتنوعة الأشكال
يكون كالأتفاق المتحبة تحت الأرض .
وهم أحياناً يضحكون
لضحكاتهم رنين العملات الذهبية
التي تُشترى العالم
أما هم فيظلون فقراء .
يتصبون عرقاً
لا تظن ذلك بسبب الخجل
بل لسخونة حرارتهم الداخلية
كالزجاج
حتى حينما يكون الطقس
شديد البرودة بالخارج .
وحينما يبالغون
فهم كالصياد

الذى يتفاخرُ بما لم يصد .
إنهم لو كَذَّبُوا فليسوا هم
وإنما نصابونُ يتحلون شخصياتهم .
إنهم كالآخرين
لا يقدرُونَ على العيشِ
بدون خبز أو ماء
ولكن فى الوقت ذاته
لا يقدرُونَ على العيشِ
بالخبز والماء وحدهما .
بصراحة
إننا لا نملك إلا أن نحسدَهم
ولكن ثمة أوقات
لا نملك إلا أن نشفق عليهم .

إننى أنظرُ إلى الحياةَ بعين واحدة
أما عيني الأخرى فهي من زُجَاجٍ
بعيني الواحدة تلك أرى الكثير
غير أننى أبصر أكثر بعيني العمياء
لأننى بعيني السليمة أرى
بينما بالعين العمياء دائماً أحلم.

إقترح

الشاعر لا يرفض اكتشافات العالم الحديث والتقنيات العلمية الحديثة ومنها الآلات الحاسبة، ولكنه يكشف لها ولنا أيضا حدودها. فمهما بلغت من القوة الحسائية لن تستطيع أن تحسب أشياء كثيرة.

والشاعر يبدأ بالأشياء الصغيرة التي ليست لها أهمية كبيرة ولن يخدم حسابها إلا الفضول البشرى. ولكنه تدريجيا يتقل من الموضوعات الخاصة التي قد تهتم الفرد إلى الموضوعات العامة التي تهتم الإنسانية، ومنها نصرة الشعوب المضطهدة، والأيديولوجيات الزائفة، وعدم حرية التنقل بين الدول، والأمل الزائف في مستقبل أفضل، ووحشية الحروب، إلخ. وبعض هذه القضايا نجدها في القصيدة بشكل مستتر لأنها تصف بدقة - للقارئ الذكي - حال النظام الشمولى في الاتحاد السوفيتى. وهناك بعض التفاصيل التي لا يمكن أن تخطئ فهم ما تشير إليه، ومنها: «عدد الساعات التي تبددت في صف الطوابير وحشد المواكب». الطوابير التي كان قد اعتاد عليها الناس لشراء حاجاتهم من السلع اليومية، أما المواكب فهي التي كانت تنظمها الدولة أو الحزب في المناسبات والأعياد الكبرى وتشارك فيها أعداد غفيرة من مختلف فئات الشعب فيها لبيان فرحة وسعادة الأمة، كما تشارك فيها فرق من الجيش بنماذج من أسلحتها الجبارة لترهب العالم.

ومن المؤكد أن الانتقادات المستمرة الموجهة إلى نظام الدولة الشمولية كانت تعد مجازفة من قبل الشاعر. ولكنه كان على أتم الاستعداد للدفاع عن نفسه، فهو يتقد أيضا التفجيرات الذرية فيبدو مناصرا لمبادئ السلام العالمى والتعايش السلمى الذى كانت حكومته دائما تتشدد به.

إن قصيدة «إقترح» تبدأ فردية عاطفية وتنتهى سياسية عالمية. والقصيدة تبدأ أيضا كتهم على الآلات الحاسبة ولكنها تتحول إلى تهكم على الإنسان.

تعارف جديد

قصيدة أخرى ضد الاستبداد يسهل حل شفرتها. ومن العجيب أن الشاعر له الجرأة فى كتابتها.

وفى القصيدة شفرة حقيقية ، شفرة المورس . فالنقطة والشرطة تدل على حرف الـ "A" ، أول حرف من كلمة Armenia ، أو الحرف «الألف» ، أول حرف من كلمة «أرمينيا» ، والأمر كذلك أيضا بالنسبة للغة الأرمنية . أما كلمة «الجنوب» فهي أيضا تشير إلى أرمينيا التى تقع جغرافيا فى جنوب الاتحاد السوفيتى .

ويعرف الشاعر أنه مجرد دمية ، لا يملك من أمره شيئا غير وعيه بحاله .

هناك العوائق أمام حرية التعبير (فحرية التفكير لا يمكن منعها) ، والشاعر يشير إلى ذلك بالصورة الشعرية الفصيحة : «نفكر بشفاهنا وليس بالعقل وحده» .

والشاعر يوجه كلامه إلى شخص آخر هو آلة للنظام الشمولى ، إنسان فاقد لوعيه ، عبد لأحكام مسبقة زجت فى رأسه . ويؤكد له أنه - أى الشاعر - رجل صادق ، ومع ذلك يضطر أن يكذب أحيانا ويقول أنه ليس المذنب ويسأل «من المذنب؟» ويعرف القارئ أنه النظام الشمولى الإستبدادى الذى يرغب الناس على الكذب كى لا يهلكوا .

ثم أن كلام الشاعر عن «العبادة» شديد الإيحاء . فالعبادة ليست مقصورة على الديانات وحدها ، بل تشمل الأيديولوجيات التى قد تنفى وجود الإله . وطبعا المقصود هنا الأيديولوجية الشيوعية كما كانت مطبقة فى الاتحاد السوفيتى ، فمثلا كان الإله الجديد «لينين» وجسده المحنط فى ضريح مقدس يحج إليها الآلاف .

وفى نهاية القصيدة يعترف الشاعر أن الشخص الآخر قد يستطيع أن يفعل معه ما يشاء لأنه آلة فى يد الجبروت المستبد ، إلا شيئا واحدا ، أن يتزع من الشاعر شيئا لا يملك الشاعر غيره ، هى «الابتسامة الساخرة الخالدة» ، التى لا تستطيع أى قوة أن تنزعها منه . إنها «ابتسامة المعرفة» .

الأعمور

قصيدة قصيرة كاملة محكمة . لماذا يريد الشاعر أن يحلم وبماذا يحلم؟ الحلم هو خيال الشاعر إبداعيا ، ولكنه أيضا أمله فى واقع غير الواقع الذى يعيش فيه سياسيا .

یغیشی تشارنتس

« شاعرانه‌تره ثورینه وخلده رجوعه الی ذاته »

يغيشى تشارنتس (١٨٩٧ - ١٩٣٧)

إسمه الحقيقى يغيشى سوغومونيان .

ولد فى مدينة «جارس» (قارس) فى أرمينيا التاريخية .

ذهب إلى موسكو فى ١٩١٦ . ثم دخل الحزب الشيوعى فى ١٩١٨ واشترك فى النشاط الثورى والجيش التطوعى . رجع إلى أرمينيا فى ١٩١٩ . ذهب إلى موسكو فى ١٩٢٢ ليدرس فى المعهد العالى للأدب والفن . ثم نراه فى جولة فى تركيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا .

وتشارنتس هو شاعر الثورة الشيوعية الأرمنى ، بعد أن أصبحت أرمينيا سوفيتية عام ١٩٢٠ . وقتل فى حركة التطهير الكبرى التى قام بها ستالين فى ١٩٣٧ .

والشاعر له مراحل شعرية مختلفة ، يجرب فيها الأساليب والأنماط الشعرية المتنوعة ، يطوعها لشخصيته الشائرة الهادرة ويصل بها إلى الكمال ، ثم يتقل إلى أسلوب ونمط آخر . ولقد تبين فى سنواته الأخيرة أن الشعر لا يتبع عن اليقين المطلق ، بل هو تنقيب عن الغامض المشكوك فيه .

سبوناتا مثقلّة
«وحيداً سوف تتلقى هذه الجمجمة الجديدة»
فاهان ديريان

تُرى إلى أين تحملين يا روحى المعذبة
صليبك الخشبيّ الأسود
أثمة جمجمة جديدة لكى تصعدى فخورة
حيث ينظر الجميع إلى إكليلك المضيئ
بحب جازف؟

هل أنت مثل يسوع تصعد الجبل
أم أنت مجرد لصٍ حُكِمَ عليه بالموت
وهل كل إنسان هو بيلاطس
الذى يغسلُ أمامك يديه؟

أى إكليل مضيئ؟
وكيف تصعدين يا روحى
طوعاً فى طريق الآلام
وأنت لا تعرفين حتى نفسك
إن كنت يسوع أم يهوذا؟

هل لديك يا روحى ميزانٌ دقيقٌ حاسمٌ
كي تزننى هذا الفكر الطليق
فى انتصاف الليل الحالك لعذابك الأليم؟

فى مصيدة النظرات

مَنْ تِلْكَ الَّتِى تَعْبُرُ الطَّرِيقَ الظِّلِيلَةَ؟

إنها هى !

يُحَدِّقُونَ يُحَدِّقُونَ طَوِيلًا

ها هى

يرشقونها بنظرات حادَّة كالرماح

وباللهيب ينهشونها ويعذبونها

يلثمونها بعيون جائعة لا تشبع

يطالبون بالمزيد .

يسكبون ناراً رقيقةً

يُعْرَوْنَهَا بالعيون بسرعة .

بلهيب العيون المؤججة

يشعلون النيران ويحرقون

يغمزون بنظرة مدربة

إلى البعيد . .

يُفْعَمُونَ القلبَ بالعشق الحارق

يملاؤن القلبَ بشذا الحبِّ

يصبحُ كلُّ شَيْءٍ ولعاً

وشوقاً وبريقاً

وتصيرُ الحياةُ

حياةً أخرى مختلفة .

وبرمач غامضة يطعنون

يختلط الآن الحلو بالمر
أما هي
كعشيقه شقراء
فى مصيدة النظرات
تستسلم لكل رجل .
مستحيل كل هذا الحب
فى هذه الحياة
إنه يصلُ الليلَ بالنهار
سأهرا
فأعطوا المزيد والمزيد
بلا حدود
إن الحياةَ لذيذةٌ
يا عزيزى
هكذا !!!

أغنية للموتى

أيها المبتعدون، الراحلون بلا إياب
ها نحن بالألم العقيم المرير والحزن العميق نودّعكم
أنتم الذين لن تعودوا إلينا أبداً بعد الآن
وستكفون إلى الأبد عن مشاركة الكون خفقاته
لن تتسموا عطراً ولن تسمعوا أصواتاً .

ترحلون، تصيرونَ رماداً لترجعوا إلى أمكم الأرض
وتمتزجوا بالتراب والماء .
ماذا بوسعى أن أضيف؟ الكلمات لا معنى لها
ربما كان الموت وحده للأسف ما يوحدنا معاً فى عدالته .

ولو أن حظوظنا ونهاياتنا سوف تتشابه بعد الموت
لكن ما يميز كلاً منا عن الآخر هو التذكارات التى نحملها
والأحاديث التى لا تقدر بـشـمـن
التي تمكث فى القلوب وتفعمها بالأشواق .

ولكن ياترى ما هو هذا الذى
يبعث بعد الرماد بهيأ متلألئاً بالضياء
يملا الأيام بالعطر الدائم
يصير أغنية وسيرة وذكرى؟

آه تصير رماداً الأيام، النجوم

حتى الشمسُ في السمواتِ الزرقاءِ
تنطفئُ إلى الأبدِ

هي الأخرى تغدو رماداً
وكذلك الربيعُ والأوراقُ الخضراءُ
والفسائلُ التي لم تورقُ بعد والورودُ المشتعلةُ
كلها تصيرُ رماداً
حتى الزهورُ ذاتُ الأسماءِ الحزينةِ .

أما الذي لا يصيرُ رماداً فهي الذكرى
هل جُبلتِ الذكرى من النور؟
هل تولد من النور؟ أم من النار التي لا تنطفئُ؟
تولد الذكرى من الأفعال
الذكرى ضباب يصعد من المياه التي تغلى
بينما يبقى هو حياً .

صدي أيامكم الماضية وصورتها
هي الذكرى أيها الراحلون
إنها كثيراً ما تنبتُ على حافةِ الطريقِ المتربةِ
حيث عبَّرتُم
ترتفع في منتصفِ نهاركم الحار ثم تهبطُ كالندى
ولكن على ورودٍ أخرى كنعمةٍ سامية .

إنها تنبعثُ منكم ، من أفئدتكم
ومن أفكاركم الدائبةِ

منبعثة من دمكم بل حتى من أنفاسكم الأخيرة
إن الذكرى لا تخصصكم
تماماً مثل سطورى الجريرة التى لا تخصنى آه
رغم أنها تسيل من قللى الآن .

إنها مثل أشعة الشمس
وانعكاسات أضواء النجوم الميتة
فرغم أن ضوءها يصل إلينا
إلا أنها ماتت منذ زمن قديم .

وإذا كان النسيان قدر الموتى
فالمجد دائماً أبداً
لهؤلاء الذين خلفوا فى الحياة وهج الذكريات .

الليلة العجيبة

لكأن الكونَ في تلكَ الليلة العجيبة
تلكَ الليلة التي لا لونَ لها
أشبهُ بطبيب حاذق
يحبس أنفاسه لكي يصغى إلى دقائق قلبه
في تلكَ الليلة المنطوية على نفسها
أثمة مغزى لأنْ نعدَّ دقائق
قلب الكون الذي لا يتوقف
حيث تُعدُّ كلُّ دقة يوماً أو عاماً أو حتى ألف عام؟
آه، المهمُّ أنه منذ قرون
منذ زمن قد يكون كافياً
لكي نعد هذه اللحظة التي تتباطأ
وتعبر لتصير ماضياً
في ليلة كهذه تماماً
استيقظ ليوناردو دافنشي فجأةً
من نوم عميق بلا أحلام
استيقظ مندهشاً للحظة مثلما أنا الآن
ليرى مرةً أخرى معجزةً أمامه
حيث تتوهج الحياة ويمتلئ الوجود
إنها معجزة الحياة العجيبة
وفي صمتٍ نظر إلى الحائط المواجه له
أو إلى الحامل الثلاثي القوائم

الأليف والقريب من قلبه
رَكَزَ نَظَرَتُهُ الإِلَهِيَّةَ إِلَى نَصْفِ الْمَرْأَةِ الْمُقَدَّسَةِ
إِلَى وَجْهِ يَسُوعَ ذِي الْمَلَامَحِ الْأَنْثَوِيَّةِ
إِلَى وَجْهِ الْفَتَى الْمَكْتَسِي بِالْأَحْزَانِ وَالْأَحْلَامِ اللَّانْهَائِيَّةِ
نَظَرَ صَامِتاً مُلِياً، مَتَشَكِّكاً لِلْحِظَةِ فِي تِلْكَ الْمَعْجَزَةِ
فِي امْكَانِيَّةِ وَجُودِ ذَلِكَ السَّرِّ الصَّامِتِ
يُتَأَقُّ إِلَيْهِ وَلَكِنْ لَا يُمْكِنُ احْتِضَانُهُ
ثُمَّ قَامَ بِتَوَدَّةٍ لِلْحِظَةِ وَأَوْقَدَ الْمَشْعَلَ
وَأَيْقَظَ الْفَتَى النَّائِمَ فِي الرِّكْنِ الْمُعْتَمِ
مِنَ النَّاحِيَةِ الْآخَرَى مِنَ الْحَامِلِ
هَذَا الْفَتَى - رَبِّيُّهُ الْحَبِيبُ بِلْتِرَافِيو
أَتَى بِهِ وَقَرَّبَهُ مِنَ الْحَامِلِ
ثُمَّ طَفَقَ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ طَوِيلًا طَوِيلًا
نَظَرَ إِلَى هَذَا الْوَجْهِ النَّاعِمِ، نَصْفِ الْمُسْتَدِيرِ
وَجْهِ الْعِذْرَاءِ وَالشَّابِّ فِي آنٍ وَوَاحِدٍ
هَذَا الْوَجْهِ الْمَكْلَلِ بِالْجَمَالِ الْإِلَهِيِّ
نَظَرَ صَامِتاً مُلِياً إِلَى اللَّوْحَةِ حِينًا
إِلَى وَجْهِ يَسُوعَ ذِي الْمَلَامَحِ الْأَنْثَوِيَّةِ
ثُمَّ حِينًا آخَرَ ارْتَدَّ طَرَفُهُ
إِلَى وَجْهِ الْفَتَى الْبَيْضَاوِي الرَّقِيقِ
كَأَنَّ هَذَا الْوَجْهَ هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي يَتَنَفَسُ
الْحَيَاةَ اللَّامْتَنَاهِيَّةَ لِلْوَجْهِ الَّذِي بِاللَّوْحَةِ
لَقَدْ أَمْسَكَ بِيَدِهِ الْمُرْتَعِشَةَ

هذه الذراع النحيلة النسائية المرمرية
لربييه الحبيب، أمسكها طويلاً
بوجدٍ وشوقٍ وهيامٍ عنيفٍ
راغباً في أن يضمَّ إلى نفسه نهائياً
والى الأبد حفقانَ الكون
لقد نظرَ متأملاً نافذاً إلى أعماق روحه
بينما كان ضبابٌ صافٍ وردىٌ
يُوشِّحُ وجهه وكان يهبطُ بنظره إلى أسفل خَجلاً
وبشوق الفتى والفتاة قد نظرَ هكذا تماماً
مثلما نظرَ من الحائط المواجه
حيث يسوع بالوجه شبه الأنثوى
وجسدُ الفتى يلفه حُزنُ الجمال اللامتناهى
ذلك اليسوعُ الحزين
الذى خلَّدته عبقريةُ الحبِّ والفُرْشاة
ذلك من أجل اللوحة الجدارية
«العشاء الأخير» لليوناردو دافنشى
الذى ظل يبحثُ عنه ويحلمُ به أعواماً طويلةً
وأخيراً على لوحة صغيرة تركَ لنا ذكرى
اليسوع الأنثوى - تلميذ ليوناردو دافنشى
جيوفانى بلترافيو ذى الستة عشر ربيعاً.

سوناتا مثقلة

شاعر الثورة يجد نفسه متهما بأنه عدو لها . تناقض رهيب لا يستطيع الشاعر أن يحله . وهو يبحث عن صور شعرية تستطيع أن تجسد عذابه بكل رهبة دراماتيكيته ، فلا يجد - يا للغرابة - إلا قصة التضحية الكبرى في المسيحية ، تضحية ابن الله من أجل خلاص البشرية . والغرابة هنا أن الشاعر ملحد .

وتشارنتس يلجأ إلى العناصر والشخصيات الأسامية في هذه القصة لتصوير مأساته . الشاعر يعرف أنه سوف يقبض عليه ويموت لا محالة ، فيكون عزاؤه أنه سيكون مثل المسيح ، يضحى نفسه من أجل الناس ، ويحبه الناس إقرارا بالجميل .

ولكن هذا الإحساس لا يدوم . واليقين يستبدل بالشك . ومصدر هذا الشك الإتهامات التي توجه إليه ، فلا يكون بطلا في عيون الشعب ، بل مجرما يستحق العقاب . وهكذا تولد في مخيلة الشاعر أنه لن يموت مثل يسوع ، بل مثل أحد اللصين المصلوبين على جانبي المسيح .

ولكنه يعود ويستدرك أن الشعب للذي يعرفه ويعرف أشعاره لا يمكن أن يرى فيه مجرما غادرا بمبادئ الثورة . ثم في الوقت نفسه يرى كيف يدير الناس ظهورهم له ، كيف لا يكلمه الناس ويتعدون عنه أينما ظهر . ومن المؤكد أن كل إنسان في ذلك الوقت كان يعيش في جو مرعب ، يخاف أن تلتفت إليه أيضا أصابع الاتهام . ولذلك فلا يساعد أي إنسان إنساناً آخر ، بل يفكر في أن ينجو بجلده . وهنا أيضا يجد الشاعر مشهدا مشابها في القصة الإنجيلية . فيلاطس هو الحاكم الروماني الذي كان يرى أن المسيح لم يفعل شيئا يستحق عليه العقاب ، ولكنه أثر ألا يغضب رجال الدين اليهود وتركهم يفعلون ما يشاؤون مع المسيح ، غاسلا يديه ، أي مخلصا نفسه من المسؤولية . وهو بذلك مثال للإنسان الدنيء . وها قد أصبح الشعب كله دنيئا .

ولكن هل باستطاعة الشاعر أن يلوم الشعب في تلك الظروف القاهرة؟ فالشاعر نفسه ، وهو المؤمن بمبادئ الشيوعية ، يجد نفسه متهما بخيانة تلك المبادئ . وضراوة الإتهامات تؤثر سلبا على نفسية الشاعر ، كأنه يتعرض لغسيل مخ ، فيبدأ بأن يشك في إيمانه . وهو تحليل سيكولوجي عميق . ووجد الشاعر صورته الأخيرة في القصة الإنجيلية . فبدلا من أن يكون مثل يسوع ، يطرأ في عقله احتمال أنه هو يهوذا الذي أسلم يسوع لليهود .

ولا يستطيع الشاعر أن يجد مخرجاً من هذه الحيرة. فليست له منظومة أو منهج خارج إيمانه الأيديولوجي يستطيع أن يحلل به حاله وأن يصل إلى استنتاجات مقنعة. فيتوقف عقله في «منتصف الليل» حيث ذروة الظلام وذروة الغموض!

في مصيدة النظرات

هذه قصيدة عن مغازلة امرأة في الشارع. ولكنها أيضاً أكثر من ذلك. شبقية صريحة من جانب الرجل، واستجابة صريحة أيضاً من المرأة. ومن الطبيعي أن استسلام المرأة لكل رجل ليست حقيقية. بل هي إقرار بحق الرجال أن يعشقوا أنوثتها. فالكل في هذه القصيدة، الرجال والمرأة، مستسلمون لسلطان الشبق، كل حسب طبيعته، أو حسب الدور الذي اعتدنا أن نتوقعه من كليهما، الصياد هو الرجل والفريسة هي المرأة.

وقيم الفضيلة تمتنع في هذا الشارع الذي تعمل فيه غريزة الجنس. ولكن ذروة الاستمتاع تأتي لا من إشباع الغريزة واقعياً، بل بالاعتراف بسطوتها. هي نشوة حسية دون لقاء فعلي. عريضة خيالية يشترك فيها الكل، وتعطي متعة فريدة. ولأنه ليس هناك إشباع، فإن الرغبة تتزايد بلا حدود، وتتعاظم المتعة إلى مقادير مستحيلة.

اغنية للموتى

قصيدة ذات وقع بطيء جنائزي. قصيدة من شاعر لا يؤمن بالحياة الأخرى ويعلم أن الموت يعني الفناء التام لكل إنسان. وفي القصيدة نزعة تحبذ الاستسلام لفكرة الموت وتملأ القلب بالحزن الثقيل الذي يشل النفس. ولكن بينما يتزع الشاعر عاطفياً إلى الحزن والاستسلام، فإن عقله يتزعه من ذلك ويقنعه أن الإنسان يجب أن يعمل ليؤكد وجوده وهو حي. ومفهوم العمل أو الفعل لدى الشاعر هو ذلك الشيء الذي يخرج الإنسان بجهد من ذاته ولكن ليس من أجل ذاته. أي أننا نعمل من أجل الآخرين، ذلك لأن عمر الفعل أطول كثيراً من عمر الفاعل وهو الإنسان. وهكذا فإن تأثير الفعل يأتي في الأغلب بعد موت الفاعل. وقد يكون الفعل نتاج عمل شاق ومعذب بالنسبة للفاعل، ولكنه بالنسبة للآخرين نعمة تجلب السعادة. عرق هو يتحول إلى ندى،

كما يقدمها تشارنتس في صورته الشعرية . وهي صورة مأخوذة من الطبيعة الأرضية . أما في نهاية قصيدته ، يقدم الشاعر صورة من الطبيعة الكونية ، حيث ضوء النجوم التي ماتت من زمن قديم تسير في الفضاء أبديا ودون أن تفتى . مثلها فعل الإنسان ، أبدا لا يضيع .

قصيدة تنبذ الأتانية . فنحن نعمل وتبدع من أجل الآخرين وليس من أجل أنفسنا . نعمل من أجل تأكيد وجودنا ، ولكن النتيجة ليست موجهة إلينا بل للآخرين . تماما مثل كتابة الشاعر لقصيدته ، فسوف يقرأه الآخرون .

الليلة العجيبة

قصيدة عجيبة يتشابه فيها الماضي مع الحاضر ، وتتجادل فيها الحياة التي هي المثال الحى والفن الذى يصور ذلك المثال معطيا إياه الخلود ، ويتحد فيها العنصران المتضادان ، الأنثوى والذكرى ، لتعطى نموذج الجمال الأسمى .

أما الماضي فهو ليس ماضيا مطلقا يمتد إلى الحاضر ، بل هو ماض محدود فى الزمن . والحاضر أيضا ليس غامضا مبهما ممتدا ، بل يستشعره الشاعر فى أضيق حدوده . الحاضر هو اللحظة الحالية . ولكنها لحظة تستجلب وتتضمن اللحظة الماضية .

اللحظة هي الليلة ، ليلة لا تجذب انتباه الشاعر إليها ، بل تمكن الشاعر أن يتجرد من مكانه وزمانه بل حتى من ذاتيته ، ويتقمص شخصية فنان آخر فى زمان ومكان آخرين . وهذا التقمص ممكن لأن الحقيقة (والتي يرغب الشاعر فى اكتشافها) لا تنتمى إلى زمن معين ، بل إلى أى زمن . وهكذا يتوحد الماضي والحاضر .

وهذه اللحظة لحظة استيقاظ ليلى . لحظة الإستيقاظ من نوم عميق كالموت ، فتبدو الحياة والوجود كمعجزة مستحيلة . والفنان هو ذلك الشخص الذى يرى الحياة كمعجزة مستحيلة ، هذه طبعا فرضية من الشاعر . فمن أين تأتى ؟ تأتى من إنسان يعرف أن موته وشيك ، فيتعاظم احساسه بالحياة . يأتى من شخص لا يصدق أنه ما زال حيا عندما يفتح عينيه من نوم كالموت . والذى يراه الشاعر فى الواقع عندما يفتح عينيه هي تلك اللوحة ، وفى تلك الليلة العجيبة عندما يصفو ذهنه ، ينظم قصيدته .

هو الفنان الرسام فى تلك اللحظة الماضية التى يستحضرها الشاعر قد أتم منذ زمن رسمه لنموذجه ؛ كما أتم تخليده للمثال الحى . ولكن الأمر ليس متبها . فلا يزال الأصل يسحره ، لا يزال الأصل يتصارع مع الصورة فى وجدان الفنان . فالفنان أبدا لن يقتنع أنه أستطاع أن يخلد الأصل بخفقا نه ، أى بالحياة التى تنبض فيه . فالفن لا يخلص الفنان من سطوة النموذج الذى كان يبحث عنه . وهكذا يتنازع الأصل الحى والصورة الخالدة . والنموذج فى نفس الوقت ليس جامدا ، بل إنه يتفاعل مع الفنان ، وهذا التفاعل بين النموذج والفنان هو الخفقان الذى يسعى الفنان إلى أسره فى إبداعه الفنى لإعطائه الخلود . والنموذج يجمع بين صفات المرأة والشاب . أى أن الشاعر يرى أن تحديد جنس النموذج يجعله غير قادر على تمثل الجمال الكامل . وهناك إحياء قوى فى القصيدة بأن الفن العظيم تولده علاقة ليست هى العلاقة بين حبيب وحبيبة أو أستاذ وريبيه . بل هى علاقة تعلو على المحلل والمحرم معا ، هى علاقة شعور متبادل يبعث الصورة الخالدة . فالخلود هنا نتيجة حب الفنان لنموذجه ومقدرته أيضا على الإنجاز الفنى .

الشاعر يستحضر الرسام القديم العظيم فى تلك الليلة . فهل هناك تشابه تام بين الإثنين ؟ أم أن الشاعر ينقصه شىء أساسى ؟ نعم ، إن الشاعر ينقصه ذلك النموذج الذى بدونه لن يبدع عملا خالدا . وكان الرسام قد وجده بعد سنوات من البحث . فهل يجد الشاعر نموذجه ؟ لم يسأل هو هذا السؤال . فهذا سؤال يتبع القصيدة ولا يظهر فيها . وهل يستتبع ذلك أيضا أنه أدرك خطأه فى إقرار مذهب أيديولوجى كنموذج له ، أى فكرة مجردة ، وليس علاقة إنسانية ؟

ولقد قبض على الشاعر ، وقتل فى ظروف لا نعرف عنها شيئا ، بل ولا نعرف فى أى مكان وورى التراب ، فى نفس ذلك العام ، ١٩٣٧ . وهذه القصيدة واحدة من مئات القصائد التى نظمها فى السنوات الأخيرة فى حياته ، دون أن يكون له أمل فى نشرها ، أى دون أن يكون مكبلا بفكرة رد فعلها عند نشرها . ثم بدأ النشر فى الخمسينات ، وكان يستأنف عندما كانت الظروف تسمح بنشر المزيد الممكن فى ذلك الوقت . فإن كان الشاعر قد وضع أمامه على الجدار اللوحة الصغيرة للرسام الخالد ، فنحن أيضا أمامنا هذه القصيدة للشاعر الخالد .

ميساك ميدزارينتس

« شاعر الأحاسيس المبرهنة والروح النقي »

ميساك ميدزارينتس (١٨٨٦ - ١٩٠٨)

إسمه الحقيقي ميساك مدزادوريان .

ظهرت عليه بوادر السل في ١٩٠٢ واشتدت في ١٩٠٥ ، حيث إضطر إلى أن يقطع دراسته في اسطمبول ويرجع إلى القرية والطبيعة . أعوام ١٩٠٥ - ١٩٠٧ تشهد مولد قصائده ، حيث يُصدر ديوانيه «قوس قزح» و«أغاني جديدة» في ١٩٠٧ . قوبل شعره بنقد شديد ودافع الشاعر عن نفسه بمقال مطول بعنوان «محاولة لنقد الذات» . كتب أيضا «مع تاريخاتسى» ، حيث أنه من المتأثرين به . تمكن السل منه في ١٩٠٨ حيث وافته المنية .

شعره مزيج من مدرستين - الرومانتيكية والرمزية . وهو شاعر الحس والروح . شاعر يحب الحياة الصافية والجمال في أشكاله الكثيرة . شاعر الأحاسيس المرهفة المستحيلة يجسدها باللجوء إلى مرادفات تبين الاختلافات الدقيقة لحالات تبدو متشابهة . وهو شاعر الليل ، حيث يهدأ صخب الحياة ، ويبدأ هو حياته الشعرية النقية ، فهو يتهرب من الناس والحياة اليومية ليتحد مع الإنسانية والكون .

أغنية حب

عذبٌ هو الليلُ ، لذيدٌ هو الليل
مدهونٌ بالحشيش والبلسم
أمضى مخموراً عبرَ الطريق المضيئة
عذب هو الليل ، لذيدٌ هو الليل .

تأتيني قبلاتٌ من الريح والبحر
قبلةٌ من النور الذي يزدهرُ حولي
عيد لروحي - ليلة الأحد هذه
تأتيني قبلاتٌ من الريح والبحر .

لكن ضوء حبي يتوارى رويداً رويداً
شفتاي متحرقةٌ لقبلة وحيدة
الليل المبتهج نورٌ وقمرٌ
لكن ضوء حبي يتوارى رويداً رويداً .

قبل فجر الأحد

على مهل يمضى الضوءُ الجَذَلُ الأرجوانيُ للمساء
ثمة خيوطٌ ذهبيةٌ تلتف حولَ ضبابِ البخورِ المُخْمَلَى
أهدابُ زرقاءُ، قوسُ قزح، أصواتٌ طافيةٌ، وردةٌ صوفيةٌ
دموعٌ مضيئةٌ لشموعٍ تَفْنَى فى سَكينة .

ها هى رُوحى الظمأى للبخور تتشربُ اللحظةَ الهادئة
وعندما تتأرجحُ المباخرُ ذاتُ العيونِ المشتعلةِ الذهبيةِ
تسيطرُ الرهبةُ على رُوحى وتتحجرُ عيونى
أحسُ بلمسةِ الموسلينِ اللازوردى الذى يحيطُ بى .

إن ألوان حجر «الجمشت» تكثف دوائر البخور
خاشعٌ أنا للسرِّ وذراعى فى هيئة الصليب
وأنا أنتظر أن ينبلعَ «أحدٌ» رُوحى الباهر .

كلُّ الشعلات تحلمُ الآن زبرجد وزمرد
يشرق ضحكٌ وضياء من الأقواس والهيكل
تغوصُ رُوحى رويداً رويداً فى هذا التجلى الساطع .

الريح

بإصبعها دقت نافذتي ومضت
ريح الخريف ذات الشعر المرسل
لعوب ، مشاكسة كفتاة
كخدن راقص منسى خلف الباب
دقت بإصبعها الباب ومضت
ريح الخريف ذات الشعر المرسل .
ألهث وراءها متقطع الأنفاس
مضطرباً ومتعباً
ولكنها تتفادى عناقى
وتقبض ذراعاً على الفراغ
تغوينى وتهرب من يدي الإثنتين
بينما ألهث وراءها متقطع الأنفاس
مضطرباً ومتعباً .
اطاردها حتى أصل إلى الحقول
بل وإلى الغابة البعيدة
ولكنها حرة تغازل الجميع
الشجيرات ، المياه ، أوراق الشجر
ثم ترتدى فى حضن الغدير
أو تحط على قمم الأشجار
وأحياناً تتعلق كطفلة
بأهداب الشجيرات الأم

و حين أناديها مغتاظا
تقهقه هناك بعيداً
وأحياناً تُدَوِّي صَفْعَةً
تهوى بها على خدِّي
ثم تهربُ بسرعة
وعبثاً ألاحقها مرةً أخرى
أطاردها حتى أصلَ إلى الحقول
بل وإلى الغابة البعيدة
وعندما أفقدُ الأمل وأبتعدُ موليا
أراها تتسلقُ ظهري .
وتحاول أن تحصى عددَ شعرات رأسي
أو تلتفُ فجأةً حولَ خصرِي بقوة
وعندما ألتفتُ ورائي غاضباً
تكون قد هربت وتركتني
تثيرُ الفوضى في كلِّ ما حولي
وتقطفُ من الورد التويجات الصغيرةَ
ذاتَ الدمِ القليل
وعندما أبتعدُ مرةً أخرى
أراها تتسلقُ ظهري .

أيتها العذراء
«ها هي قطرة من حليب عذريتك تقطر في روعي»
ناريجاتسى

فى الليل ذى العروق الزرقاء
والزهور البيضاء كالحليب
دعنى أكن نثار «الجمشت» الضبابى
والقميص الفضى على المياه العارية
دعنى أكن صوتاً، زهرة، نسيماً
وأتحس كل شئ بأذرع بضعة لعوب
دعنى أكن شلالاً، شاطئاً جميلاً
ظلاً للكروم التى لها لون البخور
دعنى أكن شهيق ريح النهر
أو لحن مرور الريح من فوق
قمم الجبال التى تتعالى إلى السماء .
فى الليل ذى العروق الزرقاء
والزهور البيضاء كالحليب
أصير قلادة ثمينة بلا جسد
وثياب القربان لعشائك المقدس الربانى
الذى يثر الحليب .
تهتفين من الشاطئ الآخر للنهر «عد عد»
تمنحني برقاً ساحراً يضئ روعي المظلمة
حتى لا أسقط فى هاوية موجة أو هامى

دعى عيني تُقبَّل وهجَ عيونك العذراء
حتى لا أسقط في هاوية موجة أو هامى
ها أنا أتسلق جبلَ آلامى

بددى السحب من طريقى الصَّدْفِيَّة
أنت السحابة الوردية فوق زرقة أمنيأتى
كونى السحابة الوردية التى تَسْتُرُ القمر
أنت أيتها العروسُ النورانية

للجمال الإلهى

عذراءُ القداسة ذاتُ الشَّعرِ النارى

التي تشر «الطهر».

في الليل ما زالَ ينهمرُ السيلُ النورانى
إمنحني قطرةً من حليب قدسيك
أصيرُ طفلاً أيتها العذراء

أنظري تريننى عدتُ طفلاً في الليل

الذى سمعتُ فيه انهمارَ الصوتِ الإلهى
هذا الصوت الذى كان يُدَوِّى

من أجلِ روحى التى خلقها الله.

أغنية حب

شاعر الليل، ولكنه أيضا شاعر الطريق المضيئة. والقصيدة ترينا حالة غريبة، حيث تتزايد نشوة الشاعر بالليل والطبيعة، ولكن في الوقت نفسه تتناقص إرادته في أن يحقق حبه الآخر، حبه للفتاة. ولذلك مع أن قبلات تأتيه من الريح والبحر، تظل شفتاه متحرقة للقبلة الوحيدة، لقبلة الفتاة.

قبل فجر الأحد

نحن في الليل مرة أخرى. ولكن التجربة روحية هذه المرة، اللحظة هادئة كي يستطيع الشاعر أن يغوص في الكشف الإلهي المتجلى أمامه في الكنيسة. واللحظة الهادئة تمكن الشاعر من أن يتلقى كل التفاصيل التي تحيط به. والجدير بالملاحظة أن لحظة «الكشف الساطع» يسبقها «ضحك وضياء»، أي أن النشوة الروحية زاخرة بالسرور لا بالوجوم، هي نشوة تؤكد الحياة ولا تنفيها أو تملص منها.

الريح

ظاهرة من ظواهر الطبيعة تبدى للشاعر كفتاة شقية تلاحقه وتشاغبه ولكنه لا يستطيع أن يمسكها أو يملكها.

أيتها العذراء

الليل مرة أخرى، حيث السيل النوراني.

ميدزارنتس شاعر الطبيعة، يتجسد في مظاهرها المختلفة، وياندماجه فيها يتقرب إلى الله ويسمع صوته. فالإندماج في الطبيعة غاية، ولكن تخلص الشاعر من محدوديته الإنسانية تجعله قادرا على سماع صوت الرب.

أما صورة الحليب، فهي مأخوذة من «كتاب المآسى» لناريجاتسى. هو حليب الطهر، وفي هذه القصيدة يتمكن الشاعر من أن يرجع إلى طفولته، وبذلك يكون قد تخلص من أمواج أوهامه ومن جبال آلامه.

قاهان ديريان

«شاعري حيا في الغسق»

قاهان ديريان (١٨٨٥ - ١٩٢٠)

إسمه الحقيقى قاهان ديركوريان .

ولد فى قرية «كاتسا» فى جورجيا . إنتقل إلى «تفليس» . ذهب إلى موسكو فى عام ١٩٠٦ ليدرس العلوم التاريخية واللغوية والإجتماعية ، ويتعلم اللاتينية والفرنسية والروسية ، ويقرأ الأدب الأوروبى والروسى . وفى عام ١٩٠٦ التحق بكلية التاريخ فى جامعة موسكو . ذهب إلى بطرسبورج فى ١٩١٣ ليتعلم اللغات الشرقية ، ومنها اللغة الجورجية . ظهرت عليه بوادر السل فى ١٩١٦ . فحاول أن يسترد صحته فى وسط ريفى على شواطئ البحر الأسود . سمع عن الثورة الروسية هناك فكانت تعاطفه الشديد مع قضية الشيوعية . ولكن المرض انهكه ليموت فى ٢٠ يناير فى مدينة أرنبورج فى على نهر الأورال فى طريقه إلى طشقند فى تركستان حيث كان ينوى الانضمام إلى أخيه .

بدأ ديريان نظم الشعر فى ١٩٠٣ وصدر له ديوانان ، «أحلام الغسق» (١٩٠٨) و«قصائد» (١٩١٢) . ينتمى ديريان إلى المدرسة الرمزية ولكن دون الأنانية التى تتميز بها . وهو شاعر يعيش بالحنين إلى الطبيعة الخلابة لمسقط رأسه وإلى الدار العائلية . هو شاعر يحب الغسق ، حيث تفقد الأشياء واقعيتها وصلابتها وتتشرب فى عالم الأحلام والشعور .

أبداع ديريان لغة شعرية جلية يتفرد بها ، لغة نقية مصقولة ، لغة سلسلة متناغمة .

وارونى التراب

وارونى التراب . . حينما ينطفىء الشفق الأحمر
بينما تداعب الشمس المحتضرة بأسى
قمم الجبال الفضية فتشتعل
قبل أن يغرق البر والبحر فى الظلام.

وارونى التراب بينما ينسدل الغسق حزيناً
فيخرس صخب النهار السعيد
ينطفىء الضياء وتأوى إلى النوم الزهور
وتغرق الجبال والحقول فى الظلام.

انثروا فوق قبرى زهوراً شاحبة
تدوى فى سكينة وسلام
وبلا بكاء أو كلام وارونى التراب
فى صمت وسكون

فى صمت دائم وسكون.

أمنية

أن تنسى
أن تنسى كل شيء
أن تنسى الجميع
بلا حب

بلا فكر
بلا ندم
ثم ترحل .

وسط هذا الألم المعضب الطاغى
فى هذا الليل الحالك
ألا يوجد شعاع الغسق
شعاع نسيان ؟

أن تبتعد برهة عن الكل
أن تنسى الجميع

وحلك وحلك
تتحجر فى الآلام
تتحجر فى الظلام .

أن تنسى
أن تنسى كل شيء
أن تنسى الجميع
بلا حب

بلا رغبة
بلا أمل

تبتعد فقط وترحل .

فردوس العودة

كأنتى عدتُ إلى البيت،
حيث كلُّ شئٍ كما اعتدتُ أن يكون.
وها أنت تجلسين فى موضعك القديم
تحركين مغزلك العتيق.
تغزلين وأنت تقصين القصصُ
تغزلين دوماً وبسرعة
أحب لغتك الصافية
أصابعك المجهدة النحيلة.
أنظر إلى أن أنحنى خائراً
لأسند رأسى على ركبتيك
ها أنذا أعودُ اليوم طفلاً من جديد
الفردوسُ يتألق اليوم فى روحى .
الشمس تستريح بعيداً
يتصاعدُ الضبابُ من النهر
ودائماً تهدهدنى حكاياتك
وعذوبة صوت مغزلك .

مسير

فى السماء ثم سلسلة سحرية مخبوءة
غائرة .. مثل ألم الروح العميق
تتزل متمهلة كالمساء
كى تنظم النجوم فى عقد مضى .

تلك النجوم مثل شموع مقدسة
تحقق هائمة فى جدائل الحلم الهفهافة
لليلة الهادئ .. تواقه بعضها إلى بعض ..
.. مقيدة وحررة .. إلى الأبد .

كذلك أنت وأنا ، مقيدان معا
يشتعل كل منا بالحنين إلى الآخر ..
تماما مثل النجوم يصحب بعضنا بعضا ..
بينما نحن غرباء .

أسى

بخطى رشيقة، لا تكادُ تُلحظ
واهنة مثل جناح ليل ناعم
عبرَ خيالٍ يتحسس الزهورَ والعشبَ بلطف
مر فى المساء خفيفاً كالريح
تهز الشجيرات
مر طيفُ فتاةٍ شاحبةٍ فى ثيابٍ بيضاء .

فى فضاء السهول الفسيحة
همستُ الفتاة بلطف فى آذان السهول النائمة
بكلمات كأنها غزل رقيق
لقد ظلت همسات العذراء الحاملة
كامنةً فى أعماق الزهور
الزهور التى ملأت بالهمسات المقدسة قلبى .

غزلية الوداع

بحب أسيان وفي كل لحظة ، أقول وداعاً .
للمشمس المشتعلة بلهيبها في قلبي ، أقولُ وداعاً .
وداعاً ، أقولُها للجميع ، الطيبين والأشرار
للإنسان اليتيم المعذب أقول وداعاً .
وداعاً ، لأصحابي ، القريب منهم والبعيد
أقولها لأعدائي من الأشرار المتربصين بي .
أقول وداعاً لزرقة السماء ، للبحر الأخضر ، للغابات القائمة العميقة
لسحابة الربيع في الفضاء المضيء أقولُ وداعاً .
للمذكرات المثورة كالآلي ، لليل وأشواكي
للقبرة في حقلها الذهبي أقولُ وداعاً .
للزهرة التي لم تفتح بعد ، للأرواح التي لم تحترق
للأطفال الذين يرحلون أقول وداعاً .
هانذا ذاهب إلى عالم مظلم ، ذاهب إلى بلاد بعيدة ولا لن أعود
إن شئتم فاذكروني بالخير في قلوبكم ، وداعاً لكم ، وداعاً .

وارونى التراب

الشاعر يرفض كل مظاهر الحداد على قبره، حقيقية كانت أو زائفة. وهو يسعى إلى السكون الدائم، فإن لم يجده فى حياته يريد أن يجده فى لحظة أنفصاله النهائى عن الحياة. الشاعر لا يتشبث بالحياة. فالإنسان المتشبث بالحياة يفكر أيضا فى مراسيم جنازته ويريدها ضخمة طنانة. أما الشاعر فهو يقبل فكرة الموت، وهى ليست الفناء بل الرجوع إلى الطبيعة فى جلال صمتها. ولذلك تكثر فى القصيدة الصور الشعرية التى تأتى من الطبيعة. ونظرة الشاعر واسعة تحوى المشاهد الكبيرة الجلييلة مثل الجبال والحقول والبحر والبر، ولكنها أيضا مدققة تلتفت إلى التفاصيل التى تزين الطبيعة مثل الزهور. وللزهور دور هام فى القصيدة، فالفعل الوحيد الذى يحبذه الشاعر هو نشر الزهور الشاحبه فوق قبره. والزهور حالها تماثل حال الشاعر، فهى شاحبة وسوف تذبل تماما مثل جسد الشاعر وسوف يرجع كلاهما إلى الطبيعة. والسكون بالفعل ملائم للموت. فالصخب يتلاشى فى السكون والشاعر يتلاشى فى الطبيعة فى لحظة تلاشى نور النهار فى ظلام الليل، لحظة الغسق التى يعشقها الشاعر.

فردوس العودة

كلمة «أنظر» تلعب دورا مزدوجا. فهل الشاعر ينظر إلى أمه من داخل الرؤية، أم ينظر إلى الرؤية نفسها، أى أنه فصل نفسه عنها لبرهة؟ كلمة «أنظر» فاصلة فى القصيدة. فبعدها يستسلم الشاعر تماما للرؤية ويصير جزءا منها. والشاعر يعود طفلا من جديد، لأن استسلامه للرؤية يحتم ذلك. فالرؤية ليست إلا تذكرا للماضى عندما كان طفلا. والرجوع إلى الطفولة يتحقق فى وقت الغسق السحري عندما تفقد الأشياء ماديتها وتتجرد.

أسى

الواقع الذى يراه الشاعر هو زهور فى السهل تتأرجح من الريح. ولكن هذا الواقع يجعل الشاعر يحس بتجربة بعيدة مختلفة تماما عن تخيلنا. الشاعر لا يرغب فى لمس الفتاة ولا حتى أن يسمع كلامها. بل يسمع الشاعر همسات الزهور تبوح له بكلمات العذراء التى أفضت بها إليها.

تانیل قاروچان

« شاعریٰ حضاۃ بشعرہ »

تانييل فاروچان (١٨٨٤ - ١٩١٥)

إسمه الحقيقى تانييل تشبوكياريان .

ولد فى قرية «پركنيچ» فى «سبسطيا» . درس فى مدرسة مراد-راپاييليان فى مدينة البندقية فى ١٩٠٢ - ١٩٠٥ . ثم ذهب إلى مدينة جند البلجيكية ليدرس العلوم الإجتماعية فى جامعتها فى ١٩٠٥ - ١٩٠٨ . ثم رجع إلى أرض الوطن وإلى قريته فى ١٩٠٩ ليعمل كمدرس ويشترك فى عمل تثقيفى تنويرى . ولذلك نرى فى شعره فخامة البندقية وإشترابية جند وواقعيتها القاسية وحلاوة الحياة الريفية . كان ضمن المثقفين الأرمن الذين أقتيدوا إلى الصحراء وقتلوا فى مذابح ١٩١٥ الكبرى . وكان الشاعر قد أخذ معه ديوانية «أغنية الخبز» ليعمل على استكمالها ، وقد أمكن استعادته بعد ذلك من القتلة نظير مبلغ من المال .

هو شاعر يجمع بين الروح الكلاسيكية والعاطفة الرومانتيكية والجرأة الواقعية والحس الجمالى والنزعة الرمزية .

إلى تمثال الجمال

أود أن يكونَ مرمرُك
متزَعاً من أعمقِ رَحِمٍ في جبلِ الأولمب
وأن تكسُوَ بفضلِ مطرقتي جسداً نارياً
لامرأةٍ مذهولةٍ بالحمى والضياءِ.

وتكون عيناكِ هوتينِ سحيفتينِ
يشعرُ المرءُ عندما يغوصُ فيهما
بأنه قد أصبحَ خالداً في الأبديةِ
قسماتكِ طاهرةٌ وفي انسجامِ نهديكِ يمجُّ رحيقُ الحياةِ.

عاريةٌ تتبدنِ مثل روحِ الشاعرِ
وتحتَ هذا العرى الوثنيِّ
يتعذبُ المرءُ ولا يقدرُ أن يلمسكِ.

لو كان من الضروري أن يقدمَ إليك قربان
فأنا الذي أبتهلُ كي أذبحَ على هيكلِكِ
ليشربَ مرمرُكِ آخرَ قطراتِ دمي.

يا داليدا

ها هي حانتك تشتعلُ، يا داليدا
فى الأضواء ذات الأشعة الحمراء
ناوليني الجعة ودعى رغوتها بفقاقيعها
تقطر على أصابعك

لا يهمنى أن أبدو نبيلاً ذا يد ناعمة
كما لا يهم أن تكونى
فتاة متبدلة
تستقبل العمال

كم أمقت النساء اللواتى يُلطخن
وجوههن بالأصباغ أمام المرايا
ويتلاعبن بأعضاء مجلس الشيوخ
بشهوانية داعرة

أكره نساء الصالونات المرفهات
الذهب قوآدهن
ينهكن عشاقهن وينهكن
لسانُ جرو المنزل

ناوليني الجعة يا داليدا
واجلسى فوق ركبتي
واحسرى ثوب الخادمة القصير
واكشفى سيقانك فى جواربها السوداء

دعى المصاييحَ تَدْوَى حتى الصباح
حيث يقفُ المَغْنَى الضَّرِيرُ على العتبةِ
محدِّقاً وهو يغنى
بعيونٍ منطفئةٍ

انثرى صفائرَ شَعْرِكَ الذهبىُّ
فى الكأسِ البللورىِّ
وهزى سيقانَكَ على ركبتى
حتى يتأجَّجَ عَشْقَى

لا أهتم أن يعضَّ البحارةُ الغلاظُ
شفاهَكَ وهم يسكبونَ
عَرَقَ شَهْوَتِهِمْ
فى حُضْنِكَ وَعَيْنِكَ

ما أريدُه اليومَ أن اسكرَ على صدركِ
مثل جندى ثمل
أن أفرغَ كأسَكَ وأنت تفرغين قلبى
الناضج مثل الرمان

أبغى اليومَ أن أدنُسَ الحب
الذى يسخرون منه فى الصالونات
أبيعَ روحى المخدوعة لهذه الفتاة المتبدلة
مقابل الجعَّةِ.

تخلي

أمام باب منزلنا في المساء
تتطاوُلُ إلى مالا نهاية
ظلالُ أشجارُ السنديان
أضع كوعى على حافة البئر
وحيداً حزيناً في المساء
أنظر إلى أسفل
أحرق في الأعماق وأبكي .
في داخل منزلنا
تنخرط أمي مع جدتي
في عصر العنب
وهما تغنيان بطمانينة
بينما إخوتى مُتَشَوِّنون حولهما
بأريج العناقيد يمرحون .
لا يدرك أحدٌ
الأسى الذي يكمنُ في رثتي
مثل خشخاشٍ سامٍ
يزدهرُ بسرعة
لا أحدٌ يعرفُ
كيف يالفنى البأس
يوماً بعد يوم
حتى إننى لأمضى في أى سبيل

لأزن رمادَ حياتي في كَفِّي
أما بيتُ العنكبوت
الذي أنسجُه بصمتي على أطلال رُوحِي
فسوف يكونُ حَاجِزاً
للنظراتِ الفانيةِ .

أنت وحدك تدركين
مَصِيرِي الزَّهْيَبِ
يا قمرأً ذا محيا غامض
تبتسمين بأسى في البئر
وتدعيتني إليك
أنت التي تعرفين بأى طينٍ سامٌ
جُبِلَتِ تلكَ الكأسُ
التي قُدِّرَ لي أن أتَجَرَّعَ منها حياتي
تأملين حَظِّي
وتُشفقين عليَّ
وكل قطرةٍ دمعٍ تسقطُ من عَيْنِي
في أعماقِ البئر
تُبدلُ هَيْئَتَكَ وتجعلك تنهدين .
لم يحن الوقتُ بعدَ
كي أريقَ دمي
لم يشن الأوان بعد
سيحين وقت ذلك

عندما تخلو منى القلوب
التي تحتاج إلى وجودى

عندئذ
سأُسَلِّمُ قِيَارَتِي لِلآلِهَةِ الْأُولِيمِيَّةِ
تلك التي ظلت حتى اليوم تجعل حياتي
مرغوبة من حيوات أخرى
تعشق الشمس .

وعندما بَرَكَ «جَمَلُ الْأَمَلِ» مُتَعَبًا
وقد ثنى ركبتيه
فى صحارى أيامى المجدبة
التي لا تعرفُ الزهورَ
عندئذ يا بشرى الحميمة
كل الذين يقطفون لى أكاليل الغار
دعهم يطوفون حول حافتك
لنيسجوا أكائيل الموت

وفى ذلك اليوم
سوف ألعن تلك القُبلة الأبوية
التي قادت إلى أن تُنبت بذرتى السوداء
سوف آتى إليك أيتها البشرُ
مرة أخرى
إلى مياهلك الحاملة الصافية
مياهلك التي تُطهر الجبين
من وشم الشمس الدنس

حيث يغتسلُ كل عنصرٍ
وكل فراقٍ ينهزم
تتحرر الروح طاهرة
لتسكن في حضن الراحة الأبدية
سأتيك مرةً أخرى
في مثل هذا المساء الهادئ
وبينما تغنى أُمى وهى منشغلة
سوف أرمى جسدى المتعب الجريحَ
في المهالك
يقتلنى ظمأ الموت الشديد
وأنا لا أبالي
بشجر اللبلاب
حول حافتك
وهو يتشبث مشفقاً بذيل ملبسى
سألقي بجسدى فى أعماقك
وستردد الأحجار القائمة
آخر صيحة لأجلى الدانى
وسوف تُهرعُ أُمى مفزعة
حالما تسمعها من الباب القريب
ولكن أمواجك الغافية
سوف تستيقظُ وتبتلعُنّى على الفور
ومع طول التحديق المعتاد
سيمحى كل أثرٍ للسقوطِ الفاجعِ

وسينسج الصمت فوقى من جديد
كفته الممزق
أما القمرُ الذى سِيْفَتُهُ سقوْطى
فسيلدُ آلافَ النجوم
ثم يعود هادئاً
مرةً أخرى إلى هيئته السابقة
ستطفو على مياهاك
من رَوْحِ المتحررة
شجرةُ نيلوفر هائلةُ
تنبت ملطخةً بالدماءِ
ولا أحدَ يدري
أين تكمن
جذورها.

الضوء

راحلٌ أنا إلى ينبوع الضوء
نعم، الطريقُ طويلة
وممهدةٌ بأحجار الصوان الحديديّ
مسورةٌ بأشواك الالسى
الطريقُ منحدرٌ

مثلُ الشعاع
إننى أصددُ مرتكزاً على ركبتيّ المرتجفتين
دمى الساخنُ ينسكبُ من ركبتيّ
اللّتين سمرهما إختوتى
الحفقان يُجنُّ فى صدرى
ويتثرُ الترابُ فوق رُموشى
وقلبى قارورة خاوية
بينما أنا راحلٌ إلى ينبوع الضوء.

كم هو جميلٌ هذا النورُ المتدفقُ
فى عليائه

عادلٌ فى تواضعه
رأيتُ جزءاً مقدساً منه
فى روحِ أمى
التي تشعُّ بهاءً
رأيتُه بازغاً فوق الراية المنيقة

الذى تدفق ذات مساء

كالسيل من ضلوع يسوع

تدفق كالغفران نحو الوهاد

ليصب في كثووس اليأس الفارغة

لأناس يتجمعون حول مائدة الخطيئة

الضوء انه دم الطبيعة

وتاج الليل ورداء النهار

إنه الإله «أكنى»

والذى يخلق وهو يحتضر

مثل أم تموت عند المخاض

الإله «أكنى» ذو الأحداق النارية

والذى تخفق روحه كل ربيع

فى الذرة والفكر الإنسانى

ومن أجله تشتعل الضفاف المقدسة

لنهر «الجانب» الغزير بالقرايين .

وراحل أنا إلى ينبوع الضوء .

الضوء مرمر المناجم السماوية

وبه ينحت الفن بالحلم الخالد

أجساد آلهة بيضاء كالثلج

وفى حضنه يولد دانتى العبوس

وهوميروس العملاق

وفى حضنه تصوير الحكمة أغنية

يَرشُّهَا الشعراءُ في الليل العميق

من كتوس النجوم

ليصدِّحُوا بها للبشر في النهار .

الضوءُ إنه يمنح نفسه للجميع

يتوزعُ على الجميع

ولكنه يَبْقَى كُلاً لا يتجزأ كالحُبْزِ المباركِ

بل إنه هو الحُبْزُ المباركُ

الذي يَتَنَزَّلُ كلَّ صباحٍ على مائدتنا

كسَرِّ التَّجَسُّدِ المضرجِ بالدماء .

وراحلُ أنا إلى ينبوعِ الضوء .

كم ألف ألف عام

ينبغي أن أمضي على هذا النحو؟

كم مرة يجب أن أسقُطَ

في الجرح الغائر

على الطريق التي تفتَّحُها

مطرقة غايتي التي تهشم الصخور

أد إنني لا أعرفُ

ولكن يا إخوتي الذين تُصَلِّبُونَنِي

دعوني وحيداً في رحلتى

وحيداً وصامتاً لدرجة أن أسمعَ دقات قلبي

موسيقاى المفضلة من بين آلاف الألحان

أرجوكم الا تنشروا ظلالكم

فوق طريقى المضيئة

المؤدية إلى الشمس

هذه الظلال مثل جناح الغداف المظلم

ولا تدعوننى كذلك

إلى ولائكم التى يُعْرِبدُ فيه الفجورُ

من العبث أن تُمنُّوا قلبى بالعدارى

قلبي قارورةٌ خاويةٌ

وأنا ذاهبٌ إلى ينبوعِ الضوء.

الظهيرة

تلك هي الساعة التي يتوقف فيها
العملُ في البَيدَر

حيث يشتدُّ اللُّهاتُ تحتَ الشمسِ .
ينام الفلاحون .

في الكهف البعيد يتأوه النسيم العليل
ويموت في سجنه المغلق .

ينقبض قلب المدى في شبكة نارية
يخفق بمشقة في الصمت المشع .
أى نحيب، أى حلم، أى أريج
ترسله أعواد القصب المشذبة في الصباح !!

تنامُ الغاباتُ على حوافِ الجبلِ القائمةِ
وقد غَطَّاهَا بَرَقٌ فضي

بينما تمضي سحابة لها لونُ الحليب
موغلةً في زرقة السماء
تاركة على الصخر
جدائل هفافة من الصوف الناعم .

ها هو رَمَحُ الضوء الدامي
تستقبله الأرض

ينشق قلبها ينبوعاً بجوار الشجرة
يتنهدُ مغشياً عليه

رافضاً أن يموت فوق الزهرة
التي يرويها.

ثمة جواميسُ قد هجرت أنيارها
تنام في المستنقع
وخيوطُ اللُّعَابِ الفضية تنسابُ من فمها.
العرباتُ بجانبَ الأكوام
بخطامها الضخم تنظر للفراغ.

هذه هي الساعة يا روحى
حيث أكون وحيداً
مثل الجدجد القابع على القمة.
وفي الهدوء الخالص
أنتشى بأغيتى
مثل الشمس التى تنتشى وحيدةً بضوئها.

الحمام الشرقى

من أغصان الاشجار تتعقد قبة «الحمام»
يتفتح متائبا بابه الداخلى
هذا الباب الأبنوسى العريض الصلب
الذى لا يتوقف الطرُق عليه بالمدق

يتصبب عرقاً على الدوام
وهو يصّر منهكاً

وراء «الجميلات» اللواتى
تدخلن على مهل

عاريات ، فائنات كلهن
لقد طوين أذرعهن

على صدورهن الضخمة البناء
وعليها تتكدس أكوام نهودهن
بحلماتها الجميلة الداكنة

وعلى الأرض
يسمع رنين صنادلهن المزينة بالصدف
ولهاث صدورهن العذب
اصواتهن الرخيمة

تتحول فى الحمام إلى طنين يأتى
من أعماق الغور
مثل النجوم السابحة فى الضباب الظليل
تبعث عيونهن

بومضات ندية

ويلفُ البخارُ أجسادَهُنَّ بأوشحتهِ المبتلة
هذه الاجسادُ التي يسبحُ فوقها العرقُ
الخورياتُ تَسْتَحْمِمنَ

يستلقى بعضهن على حجر «العقد» الساخن

وهنَّ تحلمن بنظراتٍ واهنةٍ

وعبر القبة التي تثر الضياء

يتغربلُ شعاعُ الشمسِ البيضاء

مثل مطرٍ منهمرٍ من اللألي

ويصيرُ البخارُ السابحُ

بحيرةً فضيةً

تعمُ فوقها بجعاتُ اللذةِ الشرقية .

تلتصقُ الثيابُ بأفخاذهنَّ

مثل خثارة اللين

تُنضَى الثياب

لتتحولَ الاجسادُ الى تماثيلَ

وتحلُلنَ شعورهنَ ضفيرةً بعد ضفيرة

فتسوج كالبحار

حيث تتساقطُ فيها حباتُ اللؤلؤ

أه من شعورهن

شعورهن التي تجعل الحمائم كُلهُ

يبدو طافياً

بينما الحجر المرمرى

يُعتمُّ بأمواج هذه الشعور

ذاتِ الرغوة السوداء .

إنهن تُمشطن رؤوسهن
 بأمشاطٍ محللةٍ برسومٍ من الذهب
 تذهبُ أصابعهن بعيداً بعيداً
 إلى آخر شعورهن التي لا آخر لها
 بتمهلٍ ودلالٍ
 سابحةً دائماً في وميض الخواتم الماسية
 إنهن يشعرون تارةً بالاغماء
 وتارةً أخرى تقشعر أجسادهن
 عندما تسقط من القبة قطرة باردة
 في فجوة مؤخرة العنق المشتهاة .
 ها هي الصنابيرُ المائية
 الصنابيرُ المرمرية
 يفتح الواحدُ تلو الآخر
 بخيرٍ يشير الضوضاءُ
 يصعدُ البخارُ الرماديُّ
 نفثة إثر نفثة
 الأحواضُ الفارغةُ
 تنعم كلها بالحياة .
 يفيض الماءُ في كل ناحية
 يغنى بعذوبة
 الحورياتُ تستحمن
 وهن مجتمعاتٌ حول الأحواض
 تلك إلهاتُ الجمال

تَحْتَضِنُ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا
وَتَخْلُطُنْ نَهْوَ دَهْنٍ
تَتَدَاخِلُ أَذْرَعُهُنَّ وَسِيقَانَهُنَّ الرِّقَاقَةَ
وَسَرَائِهِنَّ الْمَعْطَرَةَ
وَالَّتِي تَفُوحُ مِنْهَا وَتَتَشَرُّ حَبَاتُ الْمِسْكِ
يَجْلِسُنَّ عَلَى الْمَرْمَرِ
عَرِيضَةِ أَفْخَاذِهِنَّ
تَشْرَبُ لَذَّةَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
وَهَا هِيَ الطَّاسَاتُ الْمَذْهَبَةُ
تَرْنُ عَلَى الْأَحْجَارِ
الطَّاسَاتُ الْخَشْيِيَّةُ
وَالَّتِي هِيَ الْآخَرَى تَنْفَطِرُ أحيانًا
مِثْلَ الْقُلُوبِ
وَهِيَ تَدُورُ وَسَطَ مَشَاهِدِ عَرَى
لَا يُمْكِنُ وَصْفُهَا
حَتَّى الصَّلْصَالُ الْمُنْعَشُ
يَهْتَاجُ الْآنَ وَهُوَ بِرَحِيقِ الزَّعْتَرِ يَفُوحُ
مَمْتَزَجًا بِرَحِيقِ الْأَزْهَارِ
فِي خِلْطَةٍ كَانَ يَأْكُلُهَا أَجْدَادُنَا
حَيْثُ يَذْهَبُ بِهِ الشُّعُورُ
لَتَغْدُو حَرِيرِيَّةُ
كَمَا يَذْهَبُ بِهِ الْقَوَامُ
حَتَّى يَصْبِحَ مِثْلَ الرِّغْوَةِ
بِعَجِينَتِهِ الْبَارِدَةِ وَطِينِهِ الزَّلَقِ
تَتَنَعَّشُ الْحُورِيَّاتُ

تُنَعَّمْنَ بِطَوْنِهِنَّ فَتَصِيرُ مِلْسَاءَ

مثل حصى النهر

تَغْلِي الْمِيَاهُ

وتغسلُ تلكَ النيرانَ المعبودة

تُزِيدُ الرَغْوَةَ

كى تطهر مرة أخرى النظيفات

فى أضوائها اللزجة الرغوية .

تنحدر المياهُ من كل جانبٍ إلى أسفلَ

من حولِ حجرِ العقد

كى تملأ حتى المجارى بالعطر

لقد اغبرَّ الحجرُ بالصلصال والجصَّ

الذى يَتَزَعُّ الشَّعْرُ

ومع تدفقها تَتَدَخَّرُجُ وتحملُ

اكواماً داكنةً من العُقْد

ولفائف الإبط

والزغبِ العُشْبِي

لتلك التماثيلِ السَّاطِعَةِ

المفعمة بالحياة

والتي صارت الآن خائرة القوى .

إنهن . . تملأن الطاسات لمرةٍ أخيرة

كما تفرغنهن للمرة الأخيرة أيضاً

تَغْلِي الأحواضُ من جديد

وتملأ الضوضاءُ الحَمَامَ

تتدفق المياهُ وهى تغلى

والحوريات تستحمن

تشتعلُ جلودُهُنَّ مثلَ ورودٍ وهاجَةٍ

وبأحداقٍ ناعسةٍ

والطاساتُ فوق رؤوسهنَّ

يسرعن الآن خارجاتٍ من الحمام

صفاً بعد صف

وهن يحتضن نهودهنَّ

لاهثاتٍ منهكاتٍ

يتَهَزَّهزنَّ من البخار

وهن قرمزياتٌ مثلُ الخزامى.

آه يا للشعرِ المتَمَوِّجِ

على صدورهنَّ العارية

آه للشعرِ المبتلِ المثلَّ بالقطرات

التي تنسكبُ كالندى الفضى

على الأقدامِ الخافيةِ

كيف أصف رائحتكن

كيف أصف زيتكن

عندما تُجففن أجسادكن وتلبسن ثيابكن كالأصنام

دعوني أقبلُ أصابعكن

التي تغمسُها في عمق عجينة الحناء

كما لو كانت تنغرسُ في قلبِ يَدَمي

دعوني أقبلُ شعوركُنَّ

التي تفوحُ منها في الليل

تحت القمرِ على الوسادة

رائحةُ اللُّبَّانِ الأصيلِ

حَوَّاجِيكُنَّ الْمَكْحُولَةُ
وَرَمَوْشَكُنَّ السَّحَابِيَّةُ
وَصُدُورُكُنَّ الْمَزْدَانَةُ بِالْقِلَادَاتِ الذَّهَبِيَّةِ
كُلُّهَا تَصْبَحُ الشَّعْلَةُ الْمَلْتَمَعَةُ
لِفِرَاشِ الزَّوْجِيَّةِ
دَعُونِي أَقْبِلُ سُرَّاتِكُنَّ
حَيْثُ تَخْفَيْنَ فِيهَا
الْحَشِيشَ الْمَجْلُوبَ مِنْ بِلَادِ الْعَرَبِ
وَالْمَسِكَ الْإِفْرِيقِي .
تَتَهَادَيْنَ الْآنَ إِلَى بُيُوتِكُنَّ
مَثَقَلَاتٍ بِالْحُلِيِّ
لِيَصْبَحُ بِلَاطُ الْمَدِينَةِ نَضْرًا
مِنْ خَطَوَاتِكُنَّ
وَلِيَلْدَعَ الْبَرْدُ أَذْقَانَكُنَّ
وَيُخَدِّدَكُنَّ الْقَرْمُزِيَّةُ
مِنْ خِلَالِ الْخِمَارِ الرُّطْبِ
وَالْأَطْرَافِ الْهَفْهَفَةِ
لِتَفُوحَ وَتَغْمَرَ رَائِحَةُ الْحَمَامِ الْمَزْعَرَّةِ
الْحَارَاتِ وَالْمِيدَانِ وَالطَّرِيقِ .
وَالْجُزْءُ الْمَتَبَقِيُّ مِنَ الْخَبْزِ
الَّذِي تَأْخُذُهُ مَعَكُنَ إِلَى الْحَمَّامِ
وَتَضَعُهُ فِي الطَّاسِ
وَتَغْطِيهِ بِالْمُنَشَفَةِ

ليطلق اريجه بالتوايل الغربية
لأن في ذلك الحين

سوف يشعرُ العابرون

• في شوارع المدينة الشرقية •

أن «مايو» يزدهرُ

على آثارِ أقدامِ كُنْ

وعلى الأرصفةِ النظرةِ

يعبرُ الربيعُ

الربيعُ يعبرُ .

إلى تمثال الجمال

بهذه القصيدة يستهل الشاعر ديوانه «أغاني وثنية». ومن عادة الشاعر أن يستهل دواوينه بقصيدة يرفعها إلى ربة الشعر، يطلب منها الإلهام. ولكن الوضع مختلف هنا. فهذه القصيدة موجهة إلى تمثال الجمال ولكن تمثال الجمال ليس له وجود يسبق القصيدة، بل إن القصيدة (أو الشاعر) هي التي تخلق تمثال الجمال.

تمثال الجمال. أى التمثال الذى يجسد الجمال المثالى، الجمال الإلهى. فالمرمر الذى سوف ينحت منه التمثال من جبل الأولمب، جبل الآلهة الهيلينية. ولكن المرمم الإلهى هو فقط المادة الأولية ولا يمثل جمالا فى حد ذاته، خالق الجمال هو الشاعر، هو الذى يقوم بتشكيل المادة الإلهية.

والجمال له قوة التخليد، تخليد من يغوص فيه. وهذه إشارة إلى تأثير الفن الجميل على المتلقى. ولكن الفن لا يخلد الموجود فقط، فالخلود فى هذه الحالة قد يدل على شئ من الجمود، بل إن الجمال الفنى يخلق أيضا رحيق الحياة.

ومن ناحية أخرى، فإن القصيدة تبدو لأول وهلة تجسيدا للشهوة إلى حد ما، خاصة أن الجمال يتجسد فى هيئة امرأة. والشهوة بالفعل أساسية فى الحياة، فالحياة تبدأ وتستمر بفضل الشهوة. ولكن الشهوة فى القصيدة ليست الشهوة الجنسية الضيقة. فالشاعر يوضح فى البيت الثالث أن عرى تمثال الجمال، أو عرى جسد المرأة، إنما يماثل عرى روح الشاعر. وروح الشاعر يجب أن يكون عاريا، أى يكون نقيًا، يكون تمثيلا للحقيقة الكاملة غير المشوبة بأى زيف، وألا يستر أيضا الشاعر هذه الحقيقة أمام أعين الناس.

ولذلك فإن الرغبة المثارة هى أيضا رغبة النقاء، رغبة معرفة الحقيقة. والمرء، أو الشخص العادى، يتعذب، لأنه لن يستطيع أن ينال المرأة العارية، لن يستطيع أن يصل إلى نقاء وصدق روح الشاعر.

وهنا يبدو التناقض. فكيف أمكن للمرء أن يغوص فى عيني التمثال ولا يستطيع الآن أن يلمسه؟ ولكن هناك فرق بين الحالتين. ففي الحالة الأولى يسلم المرء ذاته للفن، أما فى الحالة الثانية فهو يرغب فى إمتلاكه. وتمثال الجمال كأى إله أو إلهة له معبد وهيكل ويطلب القرابين. ويعرف الشاعر أن أنسب قربان للإلهة هو الشاعر نفسه. لأن الجمال أو الفن يطلب دم الشاعر، يطلب كل شئ من خالق الجمال، حتى حياته. ورغبة الشاعر فى تقديم نفسه كقربان إنما هى رغبة المبدع أن يفنى نفسه فى الجمال الذى صنعه بنقاء الروح.

بداية القصيدة توحى أننا مقبلون على واقعية معربة في حانة شعبية تشتعل بالأضواء الحمراء .
والتفاصيل التي تليها لا تنفى ذلك ، تلك التي تصف داليدا واستعدادها الدائم لإرضاء زياتنها ، بل تؤكد . ولكن واقعية القصيدة لا تتحدد بذلك . هي ليست فقط واقعية وصفية . فالشاعر الذي له دوره في القصيدة لا يتمتع فقط بالقدرة الوصفية ، بل أيضا بالقدرة على التحليل والإكتشاف . ولقد تطورت لديه تلك القدرة من واقع تجاربه الشخصية . ولذلك هناك بعد المستوى الأول ، مستوى وصف الحانة ، المستوى الثانى ، مستوى إدراك الشاعر لحقيقة عالم الصالونات في الطبقة الأرستقراطية - وهي تقابل الحانة في الطبقة الشعبية ، طبقة الكادحين - حيث انحراف الحياة الجنسية للعاهرات ذوات المستوى الرفيع اللاتى تشبعن رغبات كهول الطبقة الأرستقراطية وترتوى رغباتهن من كلابهن ! وإدراك الشاعر لكل ذلك لم يأت بالفحص من بعيد . بل أن القصيدة توحى أنه كان شابا بريئا إنخدع وأحب امرأة من هؤلاء العاهرات وقد قوبل حبه بالسخرية طبعاً ، فتألم الشاعر وتفتحت عيناه على الحقيقة .

أما المستوى الثالث فهو يجمع بين رد فعل الشاعر ومعرفة له . فالشاعر يأتى للحانة لى يبيع حبه لساقية الجمعة ، أى يتظاهر لها بالحب وهو يعلم أن ذلك تدنيس للحب . وهو يعرف تمام المعرفة أن الحب ليس حقيقيا بل زائف في الحانة أيضا ، وهو يؤكد ذلك ببراعة بصورة «المغنى الضريف الذى يغنى بعيون منطفئة» . فلا حب ولا حياة لا فى الطبقة الأرستقراطية ولا فى طبقة العمال . ولذلك فلأننا يمكن أن نعتبر أن الشاعر بكونه خارج الطبقات ، لا ينصاع لأيدولوجية تمجد طبقة وتدين طبقة أخرى . وهكذا يجب أن يكون الشعراء .

تخلى

رغبة في الانتحار لا يشرح الشاعر الدافع إليها ، ويرجى تنفيذها بسبب مسؤولياته تجاه أحبائه وأقاربه وقدرته الشعرية التى وهبته الآلهة ، ولكنه يتخيله أيضا بكل تفاصيله وينهى بها قصيدته .

ورغبة الانتحار هذه ليست مجردة من المكان والزمان ، بل تبدو كأنها تولد أو تتجسد فى القصيدة أثناء نظر الشاعر فى أعماق البئر أمام منزله الريفى ذات مساء . والشاعر ينظر فى أعماق البئر ، وفى نفس الوقت يسمع أمه وجدته تغنيان وهما منهنمكتان فى عصر العنب ، وإخوته يرحون حولهما . وبهذه الطريقة يكون الشاعر قد أكمل صورة الحياة الريفية السعيدة التى لا يستطيع هو أن يشارك فيها . فهو ينظر فى البئر ، وهو بهذا يكون قد فصل نفسه عنهم ، وتبقى حاسة السمع لتدله على أهله وتمد القارئ بالمعلومات الأساسية .

والشاعر بالنظر فى البئر قطعاً ينقطع عن الحياة ولا يستطيع أن يفكر إلا فى الموت . فالبئر نفسها تجذب الشاعر إليها ، والشاعر يبرر الرغبة فى الإنتحار وهو يأمل أن تظهر مياه البئر روحه .
والقصيدة واقعية فى مجملها وتفاصيلها . والكثير من صورها الشعرية تولد من تلك التفاصيل . أى أن الشاعر يحول الواقع الذى يعايشه إلى شعر .

والشاعر لا يسبح بأسباب الحزن الذى يدفعه إلى الإنتحار . ولكنه فى نفس الوقت يفسر الشعور الذى تمكن منه وسيطر عليه بالتخلى ، وتخليه فى عنوان القصيدة ذاتها . وهذا احساس انسان يشعر بالغربة بين الأهل والناس . هم لم يتخلوا عنه ، بل أن الناس «يقطفون له أكاليل الغار» . أى أن شعوره بالتخلي ليس موضوعياً ، بل شخصى . فهل السبب أنه يعرف ما لا يعرفون؟ فهناك فى القصيدة إشارة إلى «وشم الشمس الذى يدنس جبينه» . فهل الشمس ترمز إلى المعرفة والعقل؟ فالشخص الذى يعرف الكثير قد يفقد حبه الطبيعى للحياة وغريزته الأصلية فى البقاء . فهل المعرفة قد قطعت من الناس؟ والشمس فى القصيدة يقابلها القمر . وللقمر دور رئيسى فى القصيدة . فالوقت مساء ، وقت ظهور القمر ، وهو بالفعل قد ظهر ، والشاعر لا ينظر إليه وهو فى السماء ، بل يراه وهو منعكس فى مياه البئر ، وهو الذى يدعو الشاعر أن يأتى إليه ، أى أن القمر هو الذى يدعو الشاعر إلى الإنتحار . فهل القمر يرمز إلى الأحاسيس؟

وحتى بعد موته ، لن يعرف أحد لماذا انتحر الشاعر ، وما الذى كان يعذبه ، ويجعله غريباً وحيداً .
نظرة الشاعر فى البئر تولد الرغبة فى الانتحار ، تولد القصيدة .

الضوء

الضوء بالنسبة للشاعر أصل وجوهر كل الأشياء ، أصل وجوهر الوجود نفسه .

الضوء نقى فى مصدره ، إليه يذهب الشاعر ، وإليه يرجع الشاعر .

أما فى هذا العالم فإن الضوء ليس بتقائه وكماله الأول ، بل نرى أجزاء منه متجلية فى أشخاص وأشياء ومظاهر وآلهة . ولأن الشاعر - وليس أى شخص آخر - له قدرة أن يرى تجليات الضوء ، فإنه يتزع إلى الضوء فى تقائه وكماله الأول . والشاعر يحس أنه مغترب فى هذا العالم ، وأنه هاجر إليه من مكان آخر ولذلك فإن ذهابه إلى منبع الضوء هو رجوعه إلى أصل الوجود وإلى أصله شخصياً .

والضوء هو المرمز السماوى الإلهى الذى منه ينحت الشاعر الفن . (فكرة مشابهة موجودة فى قصيدة «إلى تمثال الجمال»).

والشعراء هم الذين لهم القدرة على شرب أشعة الضوء لينقلوها بعد ذلك إلى عامة الناس . لأن الشعر أيضا يتجلى الضوء فيه . ومع ذلك فإن الضوء ، كما يؤكد الشاعر ، ليس مخصصا للشعراء فقط ، بل لكل الناس ، يصل إلى الناس في تجل مفهوم لهم إذا استشعروا هم ذلك بالطبع .

أما الرجوع إلى الضوء ، فهو ليس سهلا . والرجوع لن يتحقق أثناء حياة واحدة . وهناك محن وإغواءات وإغراءات كثيرة ، من مؤامرات الناس حتى حب العذارى . والشاعر يجب ألا ينصاع لكل ذلك ، ألا يثنيه كل ذلك من مواصلة طريقة نحو الضوء ، نحو الأصل ، نحو الجوهر .

الحمام الشرقي

قد يتسائل القارئ ماذا يمكن أن يقال في قصيدة يستحوذ فيها الوصف على المساحة الأكبر؟ ولكنني أريد أن ألفت القارئ إلى خاصية ذلك الوصف . ففي هذه القصيدة نرى ، دون أدنى شك ، التكنيك السينمائي . نرى هذا التكنيك أو الأسلوب من فاتحة القصيدة . وهناك بعض التفاصيل تضيع للأسف في الترجمة ، حيث أن تركيب الجمل في اللغة الأرمنية يختلف عنه في اللغة العربية . فلتخيل أن أول سطر يبدأ من القبة ثم يتقل إلى الباب الداخلى الذى يفتح فى اللحظة ذاتها لنرى الحوريات وهن يدخلن . وطبعاً هذه هى حركة الكاميرا .

والقصيدة تموج بالحركة . مثلاً (١) دخول الحوريات (٢) بداية الإستحمام وإختلاف الطريقة وأوضاع الحوريات ثم إستغنائهن عن آخر سائر على أجسادهن . أى أن هناك حركة كاميرا تتعد وتقترب لكى تخلق التأثير الجمالى الصحيح .

والمشهد فى الحمام طبعاً ، أى أن المكان لا يتغير . ولكن الوقت يمضى . ولذلك يلجأ الشاعر إلى خلق المناظر داخل المشهد الواحد . فهو ينقل نظرنا فجأة إلى تفصيل ما ، كأن الكاميرا تبدأ منظرًا جديدًا . مثلاً عندما يقول الشاعر : «ها هى الصنابير المائة ، الصنابير المرمرية ، يفتح الواحد تلو الآخر» ، هذا منظر جديد ، فالكاميرا تركز على الصنابير والكاميرا تتبع الصنابير صنبورا صنبورا والماء يبدأ فى الجرى منها الواحد تلو الآخر ، وكأن حركة الكاميرا نفسها هى التى تفتح الصنابير .

ولا أريد أن أطيل ، فلن يصعب على القارئ أن يقرأ القصيدة وكأنه يرى فيلماً . ولكن الأمر الذى يستحق الدراسة هو علاقة الشاعر بالسينما . من المعروف أن السينما كانت بدايتها أواخر القرن التاسع عشر ، بينما كتبت هذه القصيدة بعد عام ١٩٠٩ وقبل عام ١٩١٣ . فهل كان الشاعر

قد تعرف على ذلك الفن الوليد وهو طالب فى بلجيكا مثلاً ، وهل كانت السينما متطورة كما نراها فى القصيدة؟ أم أن الشاعر لم يرى السينما إطلاقاً وطريقة وصفه ليست إلا استلهاما شخصيا؟ وفى هذا الصدد يجب أن نشير إلى نقطة أخرى . فلنسأل من هو الشاعر فى هذه القصيدة . أهو الرجل الشرقى الذى يكتب عن الحمام الشرقى ، أم هو الغربى الذى يصف بعيون المستشرق ؟ لا هذا ولا ذلك .

الشاعر هو الشرقى الذى ذهب إلى الغرب ورجع . ولذلك نجده مع وصفه الفاضح للحمام الشرقى يكتب عنه بمنطق الغرب الذى يحلل ويقدم كل التفاصيل بأمانة وثاقبية . فالشاعر لا يستسلم للعرايا ، بل يصنع منها تماثيلا للجمال . وليس هناك أى استحواذ للحواريات من قبل الشاعر ، بل أنه يرى أن استحمامهن وتطهرهن وتجملهن هو فقط من أجل أزواجهن . ولكن لكل ذلك أثره العام غير المباشر أيضا ، فالمرأة الخارجة ناضرة من الحمام تشيع بين الناس نشوة الحياة .

قاهان تيكيان

« شاعريوخ بالحققة ولكنك ليس بك الحققة »

فاهان تيكيان (١٨٧٨ - ١٩٤٥)

ولد في حي «أورتاكيوغ» في اسطنبول. وقد كان خارج تركيا في ١٩١٥ فنجأ من المذابح الأرمنية. إشتراك في رعاية الأيتام بعد الحرب العالمية الأولى. مات في القاهرة.

شاعر يصنع شعره من تجاربه ومعاناته الشخصية، ونجدها في شعره تارة بطريقة صريحة وتارة بالتستر على الأسباب. وهو متألم أيضا بمصير الشعب الأرمني الذي شتته مذبحة ١٩١٥ الكبرى، ففي ديوان «من منتصف الليل حتى الشروق» يصور أهوال المذابح والتفسيمة المعذبة لشعب مهدد بالفناء. وهو مع كل هذا شاعر الحب، حبه هو للنساء، وليس حبهن له.

تميل لغته إلى التخلص من الشاعرية ليقنعنا بجدية التجربة الوجودية التي يقدمها. ومع ذلك فهو شديد الالتصاق بقوالب نظم الشعر، وقد ألف الكثير من قصائده في قالب السوناتا الذي يتطلب براعة فائقة من قبل الشاعر.

الحسنات

ستظلُ حسناءً إلى الأبد

تلك التي عبرت يوماً إلى جوارك

ومستَ بعطر جمالها عينيك كزائرٍ إلهي
تلك التي لم تلتفتْ خلفك لتراها مرةً ثانية
ولم ترغبْ أن تُقابِلها ولو مرةً أخرى.

وحسناً أبدية تلك التي كانت تنمو ببطء أخاذ

تحت شمسٍ نظرتك الساحرة

والتي مثل زهرة تتأرجحُ في نسماتِ الربيع

ظلتُ في وجدانك

نضرةً فواحةً منذ أن رحلت.

وحسناً تعرفُ أنتَ اسمها المبارك

والتي كانت على وشك أن تقعَ في غرامك

كانت تُوقن أنك تعشقها وانتظرتُ مرتبةً
ولكنك أثرتَ ألا تزعمَ قلبها وحسناً فعلتُ.

الحسناتُ هن من عبرنَ

خلال أشواقك

ورحلنَ والآن يُنادينك من بعيدٍ.

نداء الحب

جاءني هاتفٌ لا سلكيُ
يُنَبِّئُنِي أن امرأةً ما
على ضفاف الأمازون
تهفو إلى حبي.

لقد لاطفتُ بتأثر واضح
الأمواج التي حملتُ إلى النِّبأ
سألتُ الأمواج هل كنت معها
هل تصفين ملامحها ولونَ عينيها؟

غير أن الأمواج لم تحرّ جواباً
تركنتي لا أعرف شيئاً
عن مصير ذلك الكائن.

لا بدّ أنها كانت
وحيدةً ومسكينةً إلى حد
أن تهفو بالنداء إلى.

وحيدتى

ها أنت الآن يا وحيدتى
تأملينتى بياسٍ
وأنت تنظرين إلى
من قاع المرأة
إننى مثلك وبك انظرُ إليك
طويلاً مثقلاً.

ياترى ، أينأ أشدُ شفقةً على الآخر
أنا أم أنت
ننظر فى صمت إلى بعضنا البعض
كانت إلى جانبك أختك التى ماتت
رفيقتك القديمة فى النور
تلك التى ما زلنا نرثيها حتى اليوم .
كانت قد جُرِحَتْ فى التوُّ
عندما رأيتُ فى الحلم
أننى ألُهِتُ فى الظلام
وأنا أجرُّ عربةً ضخمةً تحملُ الأثاث
بينما يرافقنى ظلُّ أسود .

كم كنتُ أخاطبها فى قلقٍ وخشية
رفيقتى . . . إننى لا أرى بوضوح
هل ترين أنت ؟

ورغم أننا كنا نغضى جنباً إلى جنب
لم تنبس رفيقتي
بينت شفة .

لم أكن أعرف أن المسكينة
قد فارقت الحياة في تلك اللحظة
ولن تستيقظ أبدا
ولن تنطق مطلقا .
رأيتها أنت بعد ذلك
أما هي فلم ترك قط .

بينما تنظر إلى من قاع المرأة
وأحرق أنا في هذا القاع
أبصرها طافية ، لا نهائية
مثل رأس قديس مغمور في الماء .

آه يا وحيدتي
كم يرتعش قلبي
عندما بك أراك
وبدمعك أتوسل إليك الآن
الآن تهجريني أنت أيضاً .

إبنسى

حَرَمْتَنِي - يا إلهي - نعمة الإبن إلى الأبد
هذا الجانب المقدس من الحب
حَرَمْتَنِي ومنعت النعمة بمغاليق لا فكاك منها
وبلا هوادة أعدمتني في داخلي
كان سيقف متصباً إلى جانبي .
حين يتقوس ظهري
مُمْتَلِئاً بعصير حياتي التي مضت
أنا كَنَفٌ له وهو سَنَدٌ لي
وحين أغلق عيني في عينيه
تشرق شمسٌ جديدةٌ

غير أنني سوف أبقي مُشَرِّداً إلى النهاية
أنتقل من باب لباب
الشمسُ بعضُ العطف لدى الأبناء الغرباء
سأظل مرتجفاً أبحثُ
في عيونهم وأرواحهم عن ابني
وسوف ألقى حتفي غريباً أمامهم .

تصفية الحساب

هذا وقتُ تصفية الحساب . ماذا قد تبقى ؟

ما الذى أبقى لى الحياة ؟

إنه ما قد منحه للآخرين

يا للغرابة ، ليس سوى ذلك

عطفٌ خفى ، بركاتٌ مستورة ، إشفاقُ القلبِ القلقِ
وأحياناً منحهم دموعاً صامته .

كلُّ ما منحه للآخرين

عادَ وافرأ حلواً وأشدَّ قوةً

ليستقرَّ فى روجى إلى الأبدِ

وما أخذه الحبُّ منى

لم يضع أبداً عند الله

لقد ردهُ إلىَّ وتعطرت بعبقه حياتى .

يا إلهى ، هانذا على الرِّغم من عذابي

وجفاف ينبوع السعادة فى قلبى

ما زلت أنتشى بهذا النبيذ المعتنق الذى لا ينفد .

لن أقولَ ماذا تبقى ؟ ماذا بقى من أعوادِ القصبِ اللدنة

فى أغوارِ الأرض

ماذا بقى من السديانة

ذات الجذع القوى

إنها تتعزى عزاءً لا نهايةً له

بأنها ارتوت من الشمس .

الحسناوات

الشاعر يخلق الجمال من كل شيء، حتى من خوف اللقاء مع المرأة التي تأسره، حتى من خوف البوح لها بحبه.

وفي القصيدة ثلاث حالات كل واحدة منها تمثل تطورا بالنسبة إلى ما قبلها. وكل حالة تقدم حسناء من «حسناوات» القصيدة.

الحالة الأولى نتاج لحظة. الثانية على العكس تمتد عبر سنين طويلة. ولكن لا الحسناء الأولى ولا الثانية عرفت أى شيء عن شعور الشاعر نحوها. وهذه ليست مستغربة بالنسبة للأولى لأنها تمضى في طريقها حيث المئات من المارة، ولكن الأمر ليس كذلك بالنسبة للحسناء الثانية التي كبرت تحت نظرة الشاعر، فلا بد أنه كتم مشاعره بطريقة ناجحة جدا حتى أنها لا تشك للحظة أنه يحبها.

أما في الحالة الثالثة، فإن الحسناء، رغم كتمان الشاعر لشعوره كالعادة، تحس بعشقه لها وتنتظر إفصاحه عن شعوره. ولكنه لم يفعل، ويعلق أنه حسنا فعل. وهذا التعليق من اسرار الشاعر التي يحاول القراء أن يجدوا إجابة لها.

ولكن الشاعر لا يئى على حاله لأنه يهفو إليهن وسوف يهفو إليهن إلى الأبد. وهذه الرغبة والشوق إليهن وهن بعيدات عنه وإلى الأبد هو ما يجعلهن حسناوات ويكسبهن الجمال، وهو ما تستلهمه القصيدة.

وحيدتى

فقد الشاعر إحدى عينيه في حادث هجوم عليه، فكتب هذه القصيدة التي يركز فيها على مأساته ولا يشير أبدا إلى الهجوم أو المهاجمين عليه.

قصيدة واقعية. فالشاعر يريد أن يطمئن على عينه السليمة ولذلك ينظر في المرأة. وهذه النظرة، نظرة العين في العين تخلق القصيدة. المرأة تجعل من العين الواحدة عينين، وكأن الشاعر يريد بهذه الحيلة أن يعوض فقدانه للعين الأخرى. تمثل القصيدة تراسلا بين العين الحقيقية والعين المنعكسة في المرأة أو بين الشاعر والعين المنعكسة في المرأة. وهو يحكى لها حلما كان قد رآه بعد فقدانه لعيته. وهذا الحلم رآه الشاعر بالفعل. يؤكد ذلك تفصيل لا تبدو له أهمية شعرية وهو أن الشاعر كان يجر عربة ضخمة وهذه العربة كانت محملة بالأثاث بالذات وليس بأى شيء آخر. أما جر العربة، فمن المؤكد أنه يدل على القهر، على أنه كان مرغما على ذلك ولم يكن جر العربة

الثقيلة بمحض إرادته . الشاعر مرغم ، ولكن في نفس الوقت يشغله هم أثقل ، إنه لا يستطيع أن يرى بوضوح . أما حال الرفيقة التي يخاطبها والتي تجر العربة معه فهي أسوأ ، فقد ماتت . ولهذا فإن حلم الشاعر أشد وطأة من واقعه ومفزع أكثر .

وهذا الموت بالنسبة للشاعر إستشهاد ، فهو يرى العين الأخرى في المرأة «مثل رأس قديس مغمور في الماء» . وربما يكون هذا رده الوحيد على الذين هجموا عليه وفقأوا عينه .

سياما نطو

« شاعر الكاتبة القومية »

سيامانطو (١٨٧٨ - ١٩١٥)

إسمه الحقيقي أدوم يرچانيان.

ولد في مدينة «أجن» في أرمينيا التاريخية. كان ضمن المثقفين الأرمن الذين أقتيدوا إلى الصحراء وقتلوا في مذابح ١٩١٥ الكبرى.

وكان قد هرب من اسطمبول إلى الخارج (القاهرة، ثم جنيف وباريس ليدرس في كلية الآداب في جامعة السوربون) هاربا من المذابح التي اقترفها السلطان عبد الحميد ضد الأرمن في ١٨٩٦، فأصبح شاعر الكارثة القومية واضطهاد الأرمن على يد الأتراك. وهو شاعر يدعو أبناء الوطن إلى الثأر والبطولات المستحيلة ويتنبأ بالنصر الأكيد. وأبطال الشاعر قد تضخموا ليصبحوا أفكارا ترمز إلى معاني التضحية والثأر والوطنية والقوة. وهو بذلك ينتمى إلى المدرسة الرمزية. رجع إلى اسطمبول في ١٩٠٨ بعد إعلان الدستور. ذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليدعو المهاجرين إلى الرجوع لأرمينيا التي تبتعت.

أسلوبه فذ فريد، وهو تيار جارف ومنهمر يرسم مشاهد مأساوية ذات جسامه ملحمية. وفي مرحلة من ممارسته للشعر استلهم أسلوب «كتاب المأسى» لكريكور ناريجاتسى.

شعره حر لا يتقيد بالعروض والقافية ولكنه ذو إيقاع داخلي.

نختار من شعره قصيدتين تنعدم فيهما المبالغة الخطابية.

حفنة من الرماد

وا أسفاه، كم كنت ضخماً فخماً مثل قصر
أعتلى أسطحك البيضاء

لأتأمل الليالي التي تنهمر بالنجوم
حيث أصغى إلى الفرات الهدار من أسفل

لقد علمت ودموعي تنسكب بغزارة
أنك غدوت خراباً فوق خراب

خربت في يوم مروع، في يوم مذبحة دموية
وأن جدرانك العالية قد أصبحت حطاما
تتداعى فوق أزهير بستانك الذي يحيط بك

هل أصبحت رمادا تلك الغرفة الزرقاء
التي كم أبهجت طفولتي السعيدة
وراء جدرانها وفوق سجاجيدها
حيث حياتي تنمو وتنبث لروحي الأجنحة؟

هل دمرت إذن تلك المرأة المؤطرة بالذهب
والتي حلقت في أعماقها الأثيرية
أحلامي وآمالي وهواي وإرادتي «الحمراء»
حيث ظلت لأعوام تنعكسُ نورا على فكري؟

هل جفَّ الينبوعُ الذي كان يُغنى في الفناء
هل أصبحت هشيماً أشجارُ التوت والصفصاف
هل جفَّ الجدولُ الذي كان يترقرقُ وسطَ الأشجار
هل جفَّ؟ هل جفَّ؟ هل حقا قد جفَّ؟!

أه ما أكثرَ ما أحلمُ بذلك القفص
حيث يسكن طائرُ «الحجل»
الذي كان يقاقي بصوت شجي
مع شروق الشمس، وأمام شجيرات الورد، لدى موعد يقظتى

صدقنى يا بيت عائلتى
لسوف تحضر روحى بعد موتى
مثل يمامة منفية لتقف على أطلالك السوداء
لكى تبكى وهى تنشد وتسفح دموعها البائسة .

ترى من الذى سوف يجلب
حفنة من رمادك المقدس
فى يوم موتى، ليخلطه فى نعشى الحزين
برفاتي الذى يشدو بالوطن !

من يا ترى سوف يجلبُ يا بيتَ عائلتى
حفنةً من رماد رفاتك، حفنةً من رمادك
من ذكرياتك، من آلامك، من ماضيك
حفنة رماد ليثرها على قلبى .

دموعى

فى وديان الوطن

كنت وحيداً مع حلمى ذى الأجنحة الطاهرة
كانت خطواتى رشيقةً

مثل خطوات «أيل» أشقر جميل
كنت أرتعُ مرحاً متشياً تسكرنى الزرقة والأيام
عينى مفعمة بالرضى والأمل
وروحى محتلة بالآلهة

ثم يقبل الصيفُ موفوراً الخيرات
سلال فواكه تتابعُ سلة وراء سلة
تهدى من أشجار بستانى

إلى الأرضِ وإلى

وأنا فى عجب

من اتساق قوام الصفصاف ذى الأفرع السامقة
أقطع فرع نايى الغامض لأبتكر أغانىً

كنت أغنى للغدير الماسى ولطيور الوطن الجميلة
كنت أعزف الألحان الشجية اللانهائية

للينابيع الإلهية

ولنسمة الصباح التى تشبه فى لمساتها
حنان الأخت

كل تلك الأشياء كانت تصاحبُ تمتاتِ أغنياتى السعيدة

هذه الليلة أخذتُكَ في يدي أيها النايُ الرخيم
لقد تعرَّفتُ عليكَ شفاهي
كقبلة حية منذ أيام قديمة
ولكن نفسي أنطفأت فجأة وماتت
حيث استيقظت الذكريات
وبدلاً من أغنياتي
انسكبت دموعي
قطرة قطرة
قطرة.

حفنة من الرماد

الشاعر فى هذه القصيدة لا يصب سخطه على الذين دمروا بيت عائلته ، لا يدعو إلى مقاتلتهم والثأر منهم . فهناك موضوع يستولى على تفكيره ، وهو بيت العائلة نفسها . والترجمة الحرفية للتعبير هى البيت الوطنى ، أو البيت الذى فى الوطن . فيجب أن نتنبه إلى أن البيت مع كونه بيتا حقيقيا ، يمثل أيضا الوطن ، أو البيت الكبير ، حيث يشير الشاعر أيضا فى القصيدة إلى أنه شاعر يشدو بالوطن . وسيطرة البيت على تفكير الشاعر فعلا مطلقة ، وهو لا يتذكر إلا هو ، وكأن لم يسكنه أى أشخاص أو أفراد من العائلة . من الممكن طبعا أن يقال أن ساكنى الدار كانوا قد تركوها هارين من مذبحه وشيكة ، مثل الشاعر الذى سمع عن دمار الدار وهو فى الغربة . ولكن الشاعر يتذكر أشياء كثيرة فى بيت العائلة دون أن يتذكر أى شخص . إذن العلاقة بين الشاعر والبيت كانت حميمة إلى درجة إقصاء الساكنين الآخرين عنه ، إلى حد تجريده - فى ذاكرته - من الساكنين الآخرين . ولكن هكذا أيضا فكرة الوطن ، فهى فكرة مجردة ، لا تشمل بالضرورة الناس الذين يعيشون فيه . وهذه العلاقة الحميمة تجعل من تدميره ألما فاجعا مستمرا للشاعر ، مستمرا إلى بعد موته أيضا . وإذا كان من المستحيل ماديا أن يرجع الشاعر إلى بيته المدمر أو إلى وطنه من غربته القهرية ، فسيبقى الشوق إليه غلابا ورغبة التوحد معه مرة أخرى قوية عارمة . ولذلك يتساءل ملحا من سوف يستطيع أن يجلب حفنة من رماد البيت المقدس ، أو الوطن المقدس ، ليشرها على قلبه بعد موته .

دموعى

فى القصيدة زمان . زمن السعادة اللامتناهية فى الماضى ، كان يتغنى بها الشاعر فى حينها ، وزمن الحاضر الذى لا يشير الشاعر إلى حالته . وبين الزمنين فترة كان الشاعر قد تخلى فيها عن غناؤه وعزفه للنأى . فهل كان ذلك بسبب تبدل الحال ، وفقدان السعادة ؟ فعندما يتذكر الشاعر نايه ذات ليلة ، يفشل فى أن يغنى أو يعزف أو يبدع ، لأن ذكريات الأيام السعيدة التى ولت دون

رجعة ، تسكب من عينيه الدموع قطرة وراء قطرة وهو يتابعها ساكنا مشلولاً .

والجدير بالذكر أن الحياة الجميلة كانت في وديان الوطن . فهذه أيضاً قصيدة وطنية ، ولكن الشاعر هنا لا يشير إلى العوامل التي أدت إلى تبدل الحال ، مع أن الغالب الأعظم من شعره لقو صرخات ضد الظالمين ودعوة أبناء الوطن إلى البطولات وبذل الحياة من أجل الوطن . ففى هذه القصيدة لا يريد الشاعر أن يختلط ذكر قتلة قومه بسعادة الأيام التي عاشها وطهارة دموعه المنسكبة .

إندرا

« شاعر ينزع للأبدية فيأخذ الوجود معه »

إندرا (١٨٧٥ - ١٩٢١)

إسمه الحقيقي ديران تشراكيان . أما إندرا (إله الصاعقة والنور الهندي) فهو نتاج تغيير ترتيب حروف إسمه ديران .

ولد في حي «إسجودار» في اسطمبول .

شاعر يجول في العالم الخارجي ليشرى عالمه الداخلي . وهو رسام أيضا ، إلتهق لفترة بكلية الفنون الجميلة في اسطمبول . ذهب إلى باريس في ١٨٩٨ ، وحاول أن يعيش فيه برسمه الكاريكاتورات . وبعد هذه الزيارة لعاصمة الغرب ، جاء إلى مصر ، ليجد في أهراماتها تجسيدا لإيمانه الفلسفي . وقد عمل مدرسا في مدارس أرمنية عديدة في اسطمبول وخارجها بين ١٨٩٥ - ١٩١٥ . ألقى القبض عليه وأقتيد إلى طرق النفي في مذبحه ١٩١٥ الكبرى . استطاع أن يهرب من الموت ، ولكنه فقد توازنه العقلي . قبض عليه مرة أخرى في ١٩٢١ ومات أو قتل على طرق النفي قرب مدينة «دياربكر» .

شاعر تعذبه نزعتة إلى الأبدية وذو نهاية مأسوية ، أنتج أجمل الصفحات التي تسمو إلى الكمال .

أهم أعماله «العالم الداخلي» (نشر عام ١٩٠٦) ، عمل ثرى فريد يصعد بالتجربة الشخصية من خلال ملاحظاته الدقيقة والشعرية إلى افاق الفلسفة . وهو يسعى أن يجد الكمال في الطبيعة تارة ، وفي المرأة تارة ، يخفق في سعيه ، ولكنه في محاولته هذا يخلق جمالا شعريا . ومن ناحية أخرى ، فإن مبدأ الوصول إلى الكمال يتعارض مع مبدأ الاحتفاظ بالذات ، فالشاعر ينشد الكمال من خلال الحب ، ولكنه ينجذب أيضا إلى الموت منبهرا به ، يسعى إلى النور ولكنه يسعى أيضا إلى الظلام . لم يفهمه معاصروه ، فشرع إلى شرح «العالم الداخلي» . في سلسلة مقالات في ١٩٠٦ .

له أيضا ديوان بعنوان «حديقة السرو» (نشر عام ١٩٠٨) يحتوى على أربعين سوناتا ، وهي إستكمال منظوم «للعالم الداخلي» . إلى جانب صفحات وصفية أخرى عن رحلاته ، ودراسات أدبية وفلسفية ، ونفسية وروحانية .

له جسارة لغوية ، يؤلف الكلمات الجديدة لتجسيد احساسه وتجاربه الجديدة .

من «العالم الداخلي» المطر

لا يزال المطر يهطلُ برفقٍ فوقَ
أشجارِ السرو
ها هي الآلامُ كلها تتأبُّ
بعد أن استيقظتُ
مللٌ هائلٌ عتيقٌ يظللُ نافذتي
الألوانُ الرماديةُ المقبضةُ
تأرجحُ في الأعلى فوق السرو
فوق العالمِ
وتبكي تقطرُ كآبةً بلا نهاية
وبهذا البكاء البطيء الصامتِ الحزين
الذي ينسكبُ بلا نامة
فإن هذه الرمادية العدمية
تدفعُ كل شيءٍ إلى البكاء
هذه الألوانُ التي تشبهُ لونَ العدم
الذي يتوقعه المتشائمُ ويتخيله
هذا العدمُ الذي يهبطُ على العالمِ قادماً
من حقيقةٍ مظلمةٍ
لونٌ باطشٌ يبعثُ الرهبةَ
ولا ينبسُ بينت شفه

يسقطُ مثلَ كتلةٍ واحدةٍ ونهائيةٍ
فيها تختنق كلُّ الأحلام.

.. تمطرُ ، تمطرُ برفق
في تأرجح الأشجار القائمة
في النواح الهائل للسرو تمطرُ برفق
تنهمرُ ذراتُ الرذاذ الدخانية من المطر
رخوة سائلة تطوقُ السرو وتغمره
وعند الحدود الضبابية للفضاء اللامتناه
تأرجحُ ذواباتُ السرو المعلقة
وهي تُحلقُ مذهولة في الأبدية.

حركة متقطعة وعاجزة للريح
التي تطردُ ظلالاً من عتمة المياه الراكدة

تحت السرو

وفوق السطح الحاد للغدران الساكنة
التي تلتفُّ حول السيقان المبتلة للنباتات المرتجفة.
يرتعش حشدٌ من أشجار السرو

تحت الريح

حيث يتحللُ نسيجُها
فترسمُ فوق الفضاء الرماديُّ بألوانها السوداء

رعبٌ هياكلها المترنحة

ينطلق نعيثُ الغراب من القمم الباردة
من أطراف السرو المغتمة
وتبدو الغربانُ الطائرة مثلَ

قطع تتزع منها

وكأنما السُّرُورُ يَتَّهَدُ غُرْبَانًا .

ينهمرُ المطرُ بلا توقفٍ

المطرُ ذو الرذاذِ اللطيفِ يَنْدَى

كأنه مُلَاطِفَةٌ عَنِيدَةٌ لفكرة

الإنشغالِ بالذاتِ

هذا المطرُ المرعبُ المستحيلُ

يأتى من الأجواءِ الرماديةِ العاليةِ

كأنما يسقطُ من سَيِّكَةٍ ثَلْجِيَّةٍ

للرؤى المتشائمةِ

تتحولُ سُحْبُهُ إلى مطارداتٍ فى المدى .

الأفراحُ الصغيرةُ التى تمورُ فى رَوْحِي تنطفئُ

عندما تسقطُ المياهُ على الشرارةِ

تتأوهُ الشرارةُ وتنطفئُ

ها هى الأفراحُ كُلُّها

يُطْفِئُهَا المطرُ الأسودُ

وينطفئُ كُلُّ الشررِ الذى كان يواسى

حزنَ قلبى المقعمِ بالمرارةِ السوداءِ

وقد أصبحَ رأسى

مجردَ رمادٍ مُوحِلٍ .

من «العالم الداخلى» الضوء

أحرق دائماً مطعوناً بالأحلام يائساً
فى دروب الكحول المضيفة
تتمادى فى ابتعادها فى الكأس البلورية
أليس هذا اليأس الذى لا ينتهى
يأس رغبة نهمة تنبعث دائماً
وتتجدد بغبطة وهمية
ولكنها مؤاسية
هذه الرغبة تطل فى عيني
المثالية المحرومة والمجنونة
ترنوا إلى حيث تلمع ومضة
انعكاسة تطير وتمضى
أو تلبث بلا حراك ذاهلة
نقوش من الضوء
فوق شفاة إناء نحاسي
أو فوق انحناء حافة
أو زاوية إناء معدني
الوميض المتكسر تحت المجداف
فى بؤبؤ القارب أو فى ينبوع
الشعاع الذى يتفد فى مصفاة الغابة
البريق الساطع المرتجف فى حوض موجة

الضوء المنسكبُ في الكنيسة
توهجُ النار، أشعةُ تسقط على البللورِ
رقرةُ الماسِ، البهاءُ الذهبي
لسحابة تطيرُ في الفجر أو تسبحُ في المساء

الضوءُ الخافتُ لنافذة الدَّيرِ
بريقُ ألوانِ قوسِ قزحٍ
في «مقطع الزجاج»

قطرةُ ماء أضيئتَ
أشواك مصباح بعيد في الليل
لهيبُ نجم «الدبران»
تألقُ نجم «ريكل»
وهجُ «سيرْيوس الكبير»
شعلةُ «عطارد» الفضية الساكنة

قبل طلوع الشمس
كلُّ شيء يلمعُ . يتوهجُ . يبعث أشعة كالسَّهامِ
يتلألأ يشتعلُ .
كلُّ إشراقة لا تبهرُ العينَ فَحَسْبُ
بل إنها تُطربُ
كأنها تُحبُّ

تَجذِبُنِي . تَطَوَّقُنِي . تَغمرُنِي .
آه، كيف أصدقُ في الضوء!
إن عيني قد تتشوشُ

لكن كياني المضيء راسخٌ

وروحى لا تزالُ تحدِّقُ مثلَ نَسَرٍ
هى ومضاتُ فكريةٌ
أحللُ أغوارها التى أغوصُ فيها

وفى قطراتها
أنغمسُ كما فى بحيرة الإلهام
كما لو كنتُ فى دروبِ حدسيةٍ متشابكةٍ
رُوحى ترتشفُ الضوءَ ، فأستغرقُ فيه
كلهاث طيف كحلم طيف
الضوءُ . إنه نقاءُ كلِّ شئٍ . وكلُّ شئٍ يهفو إليه .
إلى الضوءِ .

من «العالم الداخلي» زهرة البنج

ذات مساء
بينما كنتُ أتجولُ في القرية مع «إيرين»
وكان الوقتُ متأخراً
دُفَعْتُ فجأةً، ربما بفعلِ عادةٍ قديمةٍ،
لألتفتَ إلى الوراءِ
إلى خلفيةِ كوخٍ كُنَّا قد مررنا بجواره
رأيتُ نفسَ زُهورِ «الفرييون» الشكسنة
وهذه زهورِ «الشامغيداخ» المألوفة أيضاً
وفجأةً أبصرتُ «زهرة البنج»
يا إلهي لماذا شحبتُ هكذا؟
كانتُ هي . نعم لا سبيلَ إلى الشك في ذلك
كانها كانت تواجهني . هي وحدها مجردةً
تقفُ منتصبَةً تحت حائط الكوخ المطلِّى بالطين
ضخمةً ترفعُ أجنحتها، غبراء .
سامحيني يا إيرين
إذا تركتُ يدك لأدثو منها بسرعةٍ
أعرفُ أن ذلك قد بدا لك
تصرفاً أحمقَ فقط .
لو كنت تعرفين من البداية
كم أضنَّانِي البَحْثُ عنها
لما حزنت وأنت تسمعين صرخةَ فَرْعِي ودَهْشَتِي

وأنا أترك يدك لأنظر إليها لأدنو منها
أدرى أن انتباهي المعلق بها
إن لم يكن قد بدأ من بعيد في ظلال المساء
وكأنه عناق لها
فقد تبدى وكأنه إنحناء
أمام هذا النبات الجبار الكئيب .
إغفر لي أنني قد نسيتُ السعادة
التي منحتنى إياها
حين لاحت لي «زهرة البنج» المقشعة
نسيتُ العذاب الذي سببته لي
وأنا أبصرُ فتتها الشيطانية المشعوذة
كبلتني بأوراقها الناعمة المقرزة
حتى إنني نسيتُ بسحرها الطاغى
عبق جسدك الأسمر الفواح
نسيتُ كل شيء في زفرتها الكريهة التي ملأت
خياليمي بشوق مشمئز
لا لا ينبغي أن تعتقدى
أن حركة الاقتراب منها
تعدُّ إنكاراً لسلطانك على
يا إيرين العذبة التي لم تتدمر من شيء
من يدري أن نفس الحماسة التي جعلتني مولعاً بك
هي التي جعلتني مفتوناً «بالبنج»؟
من يدريك يا إيرين
أنت التي كنت حزينة

لدرجة صرقتك عن
مشاركتي فرحة العثور على الزهرة السامة
بل ودفعتك إلى احتقارها
إن الروح التي خلقت لتسجم معك وتُحبك
لن يثرها البنجُ أيضاً
والعكسُ صحيحٌ كذلك؟
وأن الذي يؤخذُ بسحر الأسرار المطلقة
والغايات النهائية
لن يؤخذَ بك أنت أيضاً
يا عذرائي السمرَاء؟
ألا تعرفين أن الذي يحلمُ
بالمثعة المزوجة المفعمة بالعذاب
والأسرار والرُّعب والتضحية
سوف يعشق المرأة المليئة بالغموض
والطبيعة العميقة الهائلة؟
يعشقتُ أنت
لأنك مليئةٌ بالظلال
ويحبُّ هذه الزهرة
لأنها تفورُ بالسموم؟
أليست الشخصية منسجمةً
متوحدةً في ذاتها
بحيث يضيعُ اختلافُ الأفعال
في وحدة ينبوعها؟
ألا تتحولُ كلُّ الرغباتِ

إلى ميل واحد وحيد
لا يمكن إدراك كُنْهه
وكلُ الأشياءِ المرغوبةِ
والأشياءِ المكروهةِ
رغم أنها تبدو متناقضةً
هى نتاجُ جنسٍ واحدٍ
لا يمكنُ تحديدهُ ؟
مع أن زفرتك
عاطفتك المسكرة
نورانيةٌ بلا حدود
تغذيني بحنان
بينما عصيرُ البنجِ المسكرُ يُسمِّمُنِي ،
مع أن حلاوتك تُوحى إلى بفكرةٍ أبديةِ الحياةِ
أما الزهرةُ المرةُ فهى تدعونى
إلى التفكيرِ فى القبرِ
رغم أنك أنت يا إيرين تستطيعين
أن تغمرينى بالحياةِ
فإن زهرة البنجِ قادرةٌ
على أن تقتلنِي .

من «العالم الداخلى» الأهرامات

ها هى متراصة بثقل هائل
كانها جبال ترتفع بتأملات خارقة
كانت الأهرامات تبدو وكأنها
تحيط وتكبح حماقة الجبال

بسموها ودقتها
توحى إلى الجبال بالعقل والتدين
فى أقدم الأشكال
وأعظمها عدلاً.

إنها فوق اختلاف الديانات والفلسفات
التي تنحنى فى التراب ناعية فتاءها.
كل المعتقدات والزندقات
تبدو متحدة

فى دين أصلى خالص
لا يرجو شيئاً من المطلق
بل كان يعيد كل شئ إليها
وفى كل مكان
كان يعيد إهداء نفسه إليها.
أكوام الصخور الهلالية
كانت تعلو وتعلو
حتى تصل إلى المطلق
حيث تستكين.

لقد كانت الأهراماتُ
تمثلُ ابتلاعُ الأبديةِ
للازمة الحضارية الأرضية .
الأهراماتُ تفوَّصُ في السماء
حيث تتحدُّ الجهاتُ الأربعُ للأرضِ
وترتفعُ الحيوَاتُ
إلى السَّمْتِ ،
إلى الموقدِ الخفيِّ للقوى
جميعُ الكائناتِ متحدةٌ في هدفها .
إهداءُ العالمِ لنفسه
مرفوعٌ على الأحجارِ
إلى الأعلى حيث الكاملُ .

فإن كانت الأهراماتُ
قبوراً للفراعنة
فهى تعدُّ تصغيراً للدُّنيويَّةِ الهائجةِ
وإقراراً أمامَ الخليفةِ
بتسليمِ النفسِ في صمتٍ
وإن كانتُ حاويةً للأسرارِ الدينيةِ
فهى نفىٌ شديدٌ عميقٌ
للحسياتِ الدائمةِ التَّاجُجِ
وصولاً إلى العذريةِ الروحيةِ .
وسواءُ كانتُ أوعيةً للضياعِ أو سبيلاً للخلاصِ
فهى تبدو تكفيراً لا ينفدُ

إنها نصبٌ قائمةٌ

لتعظيم التحرير من الجسدية

خلاصٌ وتقديسٌ بالقانون

حيث تهربُ الاشكالُ إلى اللا شيء

وباختفاء حدود الأنا الغائبة

ووحدة المتعدد

كانت تتوجهُ في الفضاءِ إلى البؤرةِ الذريةِ

تأكيدٌ للمبدأ الغورى

الذى لا يتغير أبداً.

كانت تحددُ إتجاهَ الكرة الأرضيةِ

وانجذابها خارجَ مدارها

وكانها ماردٌ يهيمُ في السماءِ

يسعى إلى الأبديةِ.

كانت تشكياً خاشعاً

للصفر الضخم الذى ترسمه الأرض

في الفضاءِ.

يا «أدوناي» لم يكن ثمة شيءٌ

من غرور مصر

بل تواضعٌ هائلٌ ومهيبٌ.

كانت هى الوعىِ بـعدميةِ العالمِ

الهائلةِ

تنتصبُ دائماً هناك

من أجلِ التحديقِ فى الأبديةِ

وقد تحولتُ إلى أساطيرِ.

المطر

واقعة مطول المطر علي أشجار السرو خارج نافذة الشاعر . ولكن هذا المنظر المألوف يوقظ فيه مشاعر الملل والكآبة والعدمية إلخ يحللها الشاعر إلى نهاياتها، مستلهما صورته الشعرية كلها من الواقعة ذاتها. إن للشاعر قدرات وصفية هائلة، حيث يأتي وصفه لتفاصيل الواقعة بأبعاد وجدانية، شعورية، فلسفية. ولا نجد في القصيدة أى شعور أو فكرة لم يولدها تفصيل معين.

ويجب أن ننوه أن أشجار السرو تمثل للشاعر النزعة إلى الأبدية، فهي تخرج من الأرض وترتفع عالياً نحو السماء. ولكن في الظروف الموصوفة في القصيدة هذه النزعة «تأرجح مذهولة».

والقصيدة أيضاً صراع من قبل الشاعر ضد العجز الشعوري والفكري والوجداني الذي يتغلغل فيه بسبب الواقعة نفسها. هذا الصراع يقوده الشاعر بالجهد الإبداعي. ومع أن الشاعر في نهاية القصيدة يعترف بالهزيمة: «أصبح رأسى مجرد رماد موحل»، فإن القصيدة نفسها هي شهادة انتصار.

الضوء

أمام الشاعر كأس ممتلئة بمشروب كحولي. ولكنه لا يشربه. أو أنه لا يلجأ إلى إحتساء الكحول ليهرب من واقعه. الشاعر ينظر في الكحول ويرى فيه انعكاسات الضوء. الشاعر يائس، نعم، ولكن اليأس يقوده إلى حيث توجد أى تنويع ضوئية. والقصيدة أغلبها وصف لهذه التنويعات، وهو «يراهها» أى يتخيلها في «دروب الكأس المضيئة». ولذا، فبالتحديد الطويل في الكأس يشوش عينيه، ولكن لا تشوش روحه التي هي مصدر الخيال. وعلاقة الشاعر بالضوء تستحق التعليق، فهو لكي يحلل أغواره يغمص فيه، أى أنه لا يستطيع أن يصف الضوء من خارجه، بل أن درجة معرفته بالضوء مقرونة بدرجة انغماسه فيه. هي معرفة داخلية، معرفة صوفية. ولأن الشاعر يختم قصيدته بتأكيد أنه «كل شئ يهفو إلى الضوء»، فيجب أن نقيس سموه الشخصي بدرجة إذابته هو شخصياً في الضوء، علماً أن الدرجة النهائية هي التوحد الكامل مع الضوء. ومن المؤكد في هذا الصدد أن الشاعر بوصفه لتنويعات ومظاهر الضوء كما تستطيع العين أن تراها يسعى إلى الضوء وهو الشكل الأول والأخير لكل الأشياء.

زهرة البنج

تبدأ القصيدة بطريقة عرضية غير مبالية، ولكنها تتطور فجأة إلى ازدواجية نزعة الإنسان نحو الحياة والموت. فالشاعر يتجول في القرية مع إيرين، وهي حييته ويراها الشاعر كتجسيد للضوء. ولكنه يلمع فجأة زهرة البنج، فيترك يد إيرين وينجذت نحو الزهرة. وهو يكشف لها ولنا أنه كان يبحث عن هذه الزهرة منذ أمد بعيد. ثم يحلل إنجذابه المزدوج نحو إيرين والزهرة، نحو الحياة والموت بنفس الدرجة. ولا شك أن شعوره صادق ولكتنا نرى في الأمر تأثير الفلسفة الهندية «حيث يضع اختلاف الأفعال في وحدة ينبوعها»، وهي أيضا الفلسفة الصوفية حيث أن الطريق إلى الله هو الطريق إلى الموت.

ولكن ماذا عن إيرين، ما هو رد فعلها لهذا التصرف الغريب، ماذا تقول للشاعر بعد شرحه الفلسفي المطول، حيث يساويها مع زهرة مقززة في مظهرها، سامية في مضمونها؟ لا تعطينا القصيدة أية إجابة. ذلك لأن الشاعر المنغمس في تأملاته الفلسفية يفشل أو يرفض أن يراها كإمرأة.

الأهرامات

جاء الشاعر زائرا إلى مصر في عام ١٨٩٨. وفي كتابه «العالم الداخلي» جزء خاص عن انطباعاته وتجاربه النفسية في مصر، منها هذه المقطوعة. والهرم بالنسبة للشاعر أكثر الأشكال الهندسية كمالا. لأنه يبدأ بقاعدة مربعة وراسخة في الأرض وتنتهي بنقطة في السماء. أي أن الهرم رمز لسمو الإنسان عن دنيويته حتى يصل إلى المطلق. ومكانه على الهرم يبين مدى تحقيقه لهذا الهدف. فإذا استطاع أن يصل إلى القمة فإنه أصبح نقطة، أي أنه فقد أبعاده المكانية والزمانية وتلاشى تماما. وهذا هو التوحد الصوفي المراد مع الأبدية. ويتبع هذا التفسير أن الأهرامات ليست علامات غرور مصرية انسانية، بل بالعكس تدل على «تواضع هائل ومهيب».

أقيدك إساهاجيان
«شاعر اللحظة التأملية»

أفنديك إساهاجيان (١٨٧٥ - ١٩٥٧)

ولد في مدينة «الكساندرابول» («كيومري» حالياً) في أرمينيا. حياته حياة المتجول. في ١٨٩٣ نجده في أوربا يدرس الفنون الفولكلورية والأدب في جامعة فيينا ثم ليبزج. يرجع إلى أرض الوطن في ١٨٩٥ وبعد أربع سنوات يذهب إلى أوربا مرة أخرى ليدرس الفلسفة والأدب في جامعة زيوريخ. يرجع إلى أرض الوطن في ١٩٠٢ ويتجول في مدن القوقاز وروسيا وتركيا. من ١٩١١ إلى ١٩٣٦ نجده في برلين وباريس والبندقية. ثم يستقر في أرمينيا السوفيتية.

اشتهر بقصائده الغنائية القصيرة. يستلهم فيها الأساليب التعبيرية لشعراء القرون الوسطى، يقرنها بالتأملات الفلسفية أحياناً.

له أيضاً قصيدة طويلة، هي «أبو العلاء المعري»، يصور فيها هرب الشاعر من بغداد مشمئزاً من دناءة الإنسان ورحلته في الصحراء الواسعة نحو الشمس التي ترمز للنقاء والعدل.

الحياة حلم

ينحنى الصفصافُ
على الغدير،
يُمعنُ النظرَ في صمتٍ
للمياهِ المسرعةِ.

في هذه الحياة
التي تشبهُ الحلمَ،
كلُّ شيءٍ يأتي
ويختفي إلى الأبد.

الصفصاف يبكي
حانيا رأسه،
المياه المرحه
تغدو وتروح.

خـلـود

مثل ثوانٍ عبرتُ القرونُ
فوق قمةِ جبلٍ أرا راتُ العتيقةُ
ومضتُ.

صواعقُ بلا عددُ
تكسرت سيوفها على المأس الثلجى
ومضتُ.

وكم من أجيال مذعورة من الموت
مرت عيناها على تلك القمة المضيئة
ومضتُ.

والآن حان دورك للحظة
فانظر إلى الجبهة الشامخة
وامض.

حجر

يا ترى أين يكمن الآن
ذلك الحجر
الذي سيغدو
ضريحى .

كيف لى أن أتأكد
أننى لم أجلس حزينا
خلال حياتى أنا الهائم
فوق ذلك الحجر .

الحياة حلم

صورة مألوفة من الطبيعة، صورة شجرة الصفصاف المنحنية على الغدير، يجعلها الشاعر مادة للتأمل.

والشاعر يرى مفارقة بين حزن الصفصاف ومرح الغدير. بل يرى المفارقة بين من يتأمل الحياة فيمتلئ بالحزن ومن يعيش الحياة بلا تأمل فيجرب مرحا. التأمل يمتلئ بالحزن لأنه يرى أن أى شئ لا يدوم. أما غير المتأمل فيذهب إلى نهايته الحتمية التي يجهلها - إلى فنائها - بفرح. والعلاقة بين التأمل وغير المتأمل غير متبادلة مع أنهما متجاوران، فالأول يرى الثانى ويدرس أحواله، أما الثانى فهو يجهل وجود الأول ولا يلتفت إليه. الأول يفجع لمصير الثانى، أما الثانى فلا يعي مصيره. والتأمل هو فرد واحد، أما الغير المتأمل جموع الناس التي لا تنتهى، فالذى يختفى بلا أثر يأتى غيره فى الحال. والحياة حلم بالنسبة للمتأمل لأنها تجري دائما أمامه ولا يستطيع أن يحتوئها أو ينغمس فيها، ولكنه لا يستطيع ألا يراها أيضا. التأمل هو الشاعر.

خلود

الجيل رمز الخلود، وجبل «أرارات» رمز خلود الشعب الأرمنى. فالأجيال المذعورة من الموت (من بطش الأعداء المعتدين) تنظر إلى القمة إيمانا بأنها قد تموت ولكن الشعب لن يموت. أما حياة الفرد فهي لحظة مقارنة بخلود الجيل، فليرتق بنفسه بالنظر إلى الجيل الخالد، أى بالإيمان بخلود الشعب.

حجر

الجدل بين الحتمية والصدفة. الحتمية أن تموت ويوضع حجر على مقبرتك ليغدو ضريحا. والصدفة أن تجلس على نفس الحجر أثناء حياتك دون أن تدري. فجأة يصبح للحجر الذى سيغدو ضريحا له بعد موته أهمية كبيرة بالنسبة للشاعر الذى ربما قد أنهى رحلة حياته أو هكذا يشعر. ولكن هذا الإهتمام بذلك الحجر المجهول يوازيه إدراك أنه قد فاتته تملك ذلك الحجر عندما جلس عليه بدون أن يدري قبل سنين. فالحجر الذى استراح عليه الشاعر من أحزانه سوف يكون شاهدا أبديا لخلاص الشاعر من أحزانه.

هوقانيس تومانيان

« شاعر أبدع للشعب فلقبه الشعب بشاعر كل الشعب »

هوفانيس تومانيان (١٨٦٩ - ١٩٢٣)

ولد في قرية «تسينغ» في مقاطعة «لورى» في أرمينيا. ذهب إلى مدينة «تفليس» واستقر هناك. مات بالسرطان في موسكو. دفن في «تفليس» في جورجيا. أعلن في بداية عمله كشاعر: «إلى الطبيعة وإلى الشعب، أيها الكتاب الأرمن». هو ابن القرية وقريب جدا من نفسية الشعب وقلبه. فالطبيعة الوطنية والصور الريفية وخاصة سحر مسقط رأسه بقمم جباله العالية ووديانه السحيقة قد أثرت فيه. وهو الشاعر الشعبي الذي يستلهم التراث الشعبي من قصص وحكم في إبداعاته. كان يحب الناس وكان محبوبا من الناس، وبسبب شعبيته الجارفة لقب «شاعر كل الأرمن».

له قصائد غنائية وقصص شعرية ورباعيات. كتب أيضا قصصا قصيرة وحكايات للأطفال.

شعره يتميز بلغة بسيطة جذابة وأيضا باللون المحلى الذى يجعل شعره ذا حلاوة خاصة وحيوية.

مباركة قديمة

تحت شجرة الجوز الخضراء العملاقة
يجلسُ أجدادنا وآباؤنا
سادة القرية
يجلسون القرفصاء
بقاماتهم العالية
يشكلون حلقة
من المرح والفرح .
كنا ثلاثة أطفال ريفيين
نموج بالحياة والنشاط
ثلاثة من زملاء الدراسة
نقفُ أمامهم
حاسري الرؤوس
خاشعين نضعُ أيدينا على قلوبنا
نؤدى بصوتٍ حادٍ قوى
أنشود قمر سعيدة
وننتظر رأيهم .
وحيثما انتهت أغنيتنا المرحّة
قتل رئيس الحفل المتجهم شاربه
ورفع كأسه
ومعه كلُّ الكبار فى المجلس

كلهم باركونا قائلين
«عيشوا أيها الأطفال
ولكن لا تعيشوا مثلنا» .

ثم انقضت تلك السنون وهم انقضوا كذلك
وامتلأت أغنياتي المرحّة بالأحزان
وها أنا أتذكر باكياً ذلك اليوم
أتساءل لماذا كانوا حين يباركوننا
يقولون «عيشوا أيها الأطفال
ولكن لا تعيشوا مثلنا» .

رحمكم الله يا أجدادنا التعساء
إن الألم الذي أضناكم يحدق بنا أيضاً
وها نحن في أوقات الفرح أو الحزن
نقول أيضاً مثلكم
حين نباركُ أبناءنا
«عيشوا أيها الأطفال
ولكن لا تعيشوا مثلنا» .

مباركة قديمة

هناك المرح الشكلى والحزن الدفين كما يحسهما كبار رجال القرية ، وهناك أيضا المرح الغير مشوب بالحزن كما يحسه أطفال القرية ومنهم شاعر المستقبل . فالأطفال تنقصهم تجربة الحياة التى سوف تجلب لهم الشقاء وتعلمهم أن الحزن يغوص فى القلب أكثر من الفرح . ولكن معرفة الكبار بهذه الحقيقة لا تمنعهم أن يتمنوا للصغار ألا يدركهم الحزن . والكبار يعرفون أيضا من تجربتهم الشخصية أن الصغار لا يعلمون شيئا عن الحزن ولذلك يلقون أمنيتهم بطريقة مبهمه : «عيشوا أيها الأطفال ، ولكن لا تعيشوا مثلنا» . والغريب أن الأطفال يكشفون غموضها عندما يكبرون ويمرون بتجارب مؤلمة ، ولكنهم ، مثل آبائهم ، يستخدمون نفس الألفاظ لمباركة صغارهم . كأن كل جيل يتمنى المستحيل للجيل الجديد .

يغيا دميرچيا شيان

«شاعر الصدق المخيف»

يفيا دميرچيباشيان (١٨٥١ - ١٩٠٨)

ولد فى حى «خاسكيوغ» فى اسطنبول .

كان كاتب مقالات ويوميات وقصص قصيرة ونظم الشعر أيضا . لم يهتم بنشر أعماله الشعرية فى كتب فبقيت منشورة فى الصحف والمجلات إلى أن صدرت مختارات من أعماله الشعرية والثرية فى عام ١٩٥٥ فى باريس . حياته كانت مليئة بالآلام النفسية . تملكته رغبة الإنتحار تعللها فكرة النيرقانا الهندية ، ونتجت عنها محاولة فشلت فى عام ١٨٧٤ ومحاولة أخرى أنهت حياته .

ويغيا دميرچيباشيان له نصيب كبير فى تطوير وتجميل «الاشخاراپار» ، وهو مؤلف عدة قواميس ، أبدع كلمات جديدة لتستطيع اللغة الأرمنية أن تسير العصر .

قصائده المتوترة عاطفيا تتميز بالصدق الشديد المخيف .

أطل على قبري

دعني يا إلهي أغادرُ قبري ذات ليلةٍ
أخرجُ من مهدي

الذي رَضَعْتُ فيه دون جدوى

أخرجُ من حجرةٍ عُرْسِي

التي عانقت فيها ظلِّي البارد

كي أزورَ المكانَ الأسمى والدموعُ في عيني .

أحضن بين ذراعَيَّ الشاهدَ الرُّخامي

(زوج شجر الصفا) مثل كثر مضى

أقرأ النقوشَ الذهبية الحروف

ذات الحكمة القائمة وفي عينيَّ الدموع .

ولأنني بلا أمٍ تأتي لتبكي فوق قبري

فالأمُّ وحدها هي التي تبكي بصدق

سوف أشبع بكاءً على حياتي

التي عبرت إلى الهاوية .

قلبي فارغٌ وكان ينبغي أن يغمره الحبُّ

أملؤه بدموع مرة تذيبُ حتى النار

ويلي ، هذا هو اليومُ الوحيدُ

الذي قدّر لي أن أعيشهُ على الأرضِ .

وحيد

السنين التي تقبعُ ورائي
تُعَذِّبُنِي بِالذِّكْرِى المُريرة
للبهجة التي مرتُ
السنين التي تلوحُ أمامي
تحجرني بالجنون المخيف المرتقب .
لقد أخذتُ السنين الغابرةُ
معها كلَّ شيءٍ، كلَّ شيءٍ
أما السنينُ القادمةُ
فلا أتوقعُ أن تأتي بأى شيءٍ
فقط سوف تجلبُ مزيداً من الشكوك
لعقلي
ومزيداً من خيبة الأمل
لقلبي
ومزيداً من الغموض الكثيف
لروحي
تأتي السنينُ مسرعةً مثل نذيرِ الشؤم
ثم ترحلُ بطيئةً بطيئةً
إنها دوماً تذهبُ مُثَقَلَةً
تلك السنواتُ الجديدةُ
التي أضحتُ قديمةً .

ها هي الأسيرة قد حُزِمَتْ

واحداً بعد الآخر

والاطباق قد رفعت عن المائدة

واحداً بعد الآخر

والاصوات خفت هي الأخرى

صوتاً صوتاً

منزلي الآن - سريرٌ وحيد

ومائدتي الآن - طبقٌ واحد

وليس ثمة من صدى

لصوت كائنٍ حيٍّ.

إنني أكلُ طعامي

وطعامي يأكلني

وحيداً أتجولُ في غرفتي

أرى أشباحَ جمجمتي تتجولُ معي

وعلى الجدران

تمضي متعانقةً أطيارُ أحبائي

تتجولُ متعانقةً أطيارُ السنوات الغابرة

السنوات الطيبة القديمة القاسية

تمضي وهي تعرضُ أمامَ عيني

صورَ السعادةِ الصافيةِ

أما السنينُ الآتية

فسوف تحملُ لروحي

ارتعاشاتٍ سوداءٍ.

هكذا أريد أن أموت

أتعلمون على أيّ نحو أريدُ أن أموت؟
متحرراً . وقد تعلقَ جسدى فى الهواء
مشدوداً إلى الطرفِ اللامعِ
للسوطِ النارىِّ
الذى يمزقُ الأعزبَ الأبدىَّ
وقد كبَّلهُ وأشعله بالشهوة الحارقة
الأعزبُ الذى يضربُ العاصفةُ
يجعلها تجرى على البحرِ بأقدامِ رغوية
وأجنحةٍ رعديّةٍ مثلَ المعتوه
ويطاردها ويبعثرها مزقاً مزقاً .
وأنا وحدى داخلٌ فى نسيجِ اليأسِ القائمِ
أمضى ساحبا السوطِ النارىِّ
إلى المهاوى العميقة
لأقذف به مع اليد التى تمسكه .
لكى تبقى العاصفةُ بلا رعد
واله الصواعق بدون ذراع
ويبقى اسمى بلا ذكرى
أو لكى أصبح ذكرى وحشيةً
باقية فى السماء والأرض
تظل ملعونةً بشفاه مضطربة
وأيدٍ مضطربة
إلى أبد الأبدين .

البحر مستيقظا والبحر نائما

هَمَسَتْ المَوْجَةُ قَائِلَةً لِلزُّورِقِ
تَعْطِينِي الرِّيحَ زَيْدًا أَيْضَ
كَمَا تَعْطِيكَ شِرَاعًا أَيْضَ
حَتَّى نَصِيرَ أَنَا وَأَنْتَ فِي فِتْنَةِ امْرَأَةٍ.

وَلَكِنْ أَلَسْنَا أَسْمَى بِلا رِيحٍ
عِنْدَمَا تَغْفُو الرِّيحُ وَيَنَامُ الْبَحْرُ
تَبْحُرُ أَنْتَ بِالْمَجْدَافِ
وَأَصْبَحُ أَنَا مُحِيطًا.

أطل على قبرى

قصيدة غريبة تنتهى بالتناقض . فالشاعر لم يستطع أن يعيش حياته ويرى أنه كان ميتا طوال حياته . والتناقض أن اليوم الوحيد الذى يعيش فيه هو بعد موته ودفنه . يخرج الشاعر من قبره ويكى على حياته التى مرت خاوية من الحب . وهذه الدموع هى التى تبرهن على إن لوجوده معنى ، وأنه ، فى هذه اللحظات ، لحظات البكاء ، يعيش . فقد كانت حياته خاوية من الحب ومن القدرة على البكاء على ذلك الخواء .

وحيد

قصيدة يصارع بها الشاعر الجنون الذى تجلبه الوحدة . والشاعر يصف حالته بدقة . وهو لا يحتمل الوحدة ، فيخلق من خياله كائنات أخرى تناطحه . فالطعام يصبح كائنا وعندما يأكله الشاعر ، يرد عليه بأن يأكله . وعندما ينضب الواقع يخلصب خيال المريض نفسيا ، يرى الشاعر الأطياف على الجدران . وقد يتعرف الشاعر على أحياء الماضى ولكن المستقبل مجهول ولذلك لن يجلب إلا «إرتعاشات سوداء» مبهمة سوف تفقده وعيه ليحل الجنون .

هكذا أريد أن أموت

قصيدة تسم بالصدق الشديد ، فقد انتحر الشاعر فعلا بالطريقة التى رغب فيها ، بشق نفسه . والشاعر لأنه لا يستطيع الحياة يريد أن يموت وأن يدمر كل شئ معه ، وبالذات الإله الذى قد قرر مصيره بأن يعيش راغبا فى الموت . وهذه الرغبة ، كما يفسرها الشاعر نفسه ، هى نتيجة شهوة جنسية لم يستطع أن يشبعها فاستعبده .

البحر مستيقظا والبحر نائما

جلال السكون ، الذى يسعى الشاعر أن ينعم به .

بدروس توريان

« شاعر تبحر و روحه نمرداً هند مصيره »

بدروس توريان (١٨٥١ - ١٨٧٢)

ولد فى حى «إسجودار» فى اسطمبول . مات بالسّلى وهو لم يكمل عامه الحادى والعشرين .
أعظم وأشهر الشعراء الرومانتيكيين . رومانتيكيته ليست محاكاة تيار ما ، بل تنبع من شخصيته
ومن واقع حياته وتجربته النفسية البائسة وهو يتعذب من المرض ويعرف أن الأجل قريب . قصائده
قوية فى تدفق العاطفة وجريئة فى تعبيراتها وانصوّر الشعرية . عدد قصائده ٣٩ ، منها ٢٦ ألفها
عام ١٨٧١ . كتب أيضا عدد من المسرحيات ساعدت على تطور الفن المسرحى الأرمنى .

البحيرة

لماذا أيتها البحيرة . . أنت مشدوهة
لا تتراقص أمواجك
هل تطلع بشغف في سطح مرآتك
وجه امرأة جميلة؟

ربما كانت أمواجك
مفتونة بزرقة السماء
وبتلك السحب المعشبة بالضياء
تلك السحب التي تشبه زبدك .

دعيني يا بحيرتي المكتبة
أكن حميماً معك
فأنا مثلك مغرم
بالصمت والاستغراق في التأمل .

وبقدر ما فيك من أمواج
بقدر ما يصطرع في جبهتي من أفكار
وبقدر ما لديك من زبد
بقدر ما بقلبي من جراح وآلام .

فحتى لو انفزطت في حضنك
أسراب وأسراب من نجوم السماء

فلن تكونى مثل روحى
التي تشتعل بلهب أبدي .

فى أعماقها لا تموتُ النجوم
والزهورُ لا تذوى
والسحبُ لا تنهمرُ بالماء
أنت والجو هادئان .

أيتها البحيرة أنت ملكتى
من نسمة تتجعدين
ولكنك تحتفظين بى
فى أعماقك المضطربة .

لقد أعرضتُ عنى الكثيراتُ ورفضتني
قلن : « ليس سوى شاعر »
وقالت امرأة « إنه شاحبٌ يرتعش »
بينما قالت أخرى : « سيموت » .

لم تقل واحدة : « إن هذا الشابٌ بائسٌ
تُرى لم هو غاضبٌ ؟
هو جميلٌ وربما
لو أحيته لا يموت » .

لم ترث له إحداهن فتقول
«يتمزق القلبُ مما أَلَمَ بهذا الشاب
يا ترى ماذا كتب له في لوح القدر الحزين
ليس ثمة مكتوب بل حريق».

ذكريات ورماد.. هذا كل ما هناك
فلتصطخب أمواجك أيتها البحيرة
فإن بائساً قد رأى
وجهه في أعماقك.

الغادة التركية

فى المساء والأفق يشتعل باللهيب
تمضى عربة مثقلة بطيئة كنعش
وبها غادة مستلقية تخفق هناك
يا إلهى ، هى فتاة الغسق
توشك أن تظن أنها لو نظرت
فسوف تقضى عليها .

كأنها تمثالٌ من شمع العسل الأبيض
كم هى شاحبةٌ وكأن البرقع الشفاف
كفنٌ محكمٌ فوق ورودها بالناصلة
يضيئها الله بعينين
لو أنها ابتسمت
تظن أنها سوف تمضى الآن .

هى تود أن تنظر لكنها سرعان ما يغشى عليها
يصعدُ الدخانُ من قلبها كالبخور المتقد بالحب
هى ملكةُ العطور والأضواء
فراشةٌ منهكةٌ تلتمسُ قلبَ الزهر
تخالها لو تحركتُ
بأنها سوف تنطلقُ على الفور .

صدرها مضطرب كالبحر
لكم تتوق إلى أن تحب ويُغشى عليها من قبله عميقة
تتوق إلى أن تفنى وتذوى وتموت من تعب الحب
تتمنى أن تعصر آخر قطرة من كأس الحب الناري
حين تستحي تقول لنفسك
سوف تشتعل حالا .

هي «نحلة القلب» كما وصفها «لامرتين»
الزهرة التي يستنشقها القلب، عسلها هو الحب،
أسميها عذراء قلبها سماء حب
لا نهائي لا يحدّها أفق
لو تكلمت
فسوف تظن أنها سوف تنتهى .

هي تحترق، دوما تحترق، لا تفنى
كالمصباح الذي أوقدته المرأة المحتاجة فى المعبد
مثل النجوم التي تشتفى الليل لكى تتلأأ
هي نور متوهج انفلتت من ضلع الحب
حتى لو ماتت أمامك
فستقول : سوف تولد الآن .

موتسى

لو أن ملاك الموت الشاحب
هبطَ بابتسامة عريضة أمامى
فتبخرتُ روحي وتبددتُ ألامى
إعلموا أننى ما زلتُ حيًا.

لو أن شمعةً نحيلةً مثلى
رأت الموت أمام فراشى
ومضت بشعاع باردٍ
إعلموا أننى ما زلتُ حيًا.

لو أنهم أدرجونى مثل حجرٍ باردٍ فى الكفن
وقد اغتسلت جبهتى بالدموع
ثم وضعونى فى النعش الأسود
إعلموا أننى ما زلتُ حيًا.

لو دقَّ الناقوسُ الحزينُ
مثل الضحكة المجلجلة للموت الحاقد
ثم خطا نعشى خطواته البطيئة
إعلموا أننى ما زلتُ حيًا.

لو أن هؤلاء الناس الذين يغنون للموت
الناس ذروا الأردية السوداء والوجوه المتجهمة
نشروا في كل مكان البخور والصلوات
إعلموا أنني ما زلت حيًا.

لو أنهم أعدوا مقبرتي
وبالنواح والأسى
فارقني الأحبابُ
إعلموا أنني ما زلتُ حيًا.

لكن لو أن مقبرتي ظلت بلا علامة
مجهولة في أحد جحور البرية
لو ذبلتُ ذكرأي
آه عندئذٍ سأموت.

تمرد

آه وداعاً أيها الإله وأيتها الشمس
أنتما اللذان تلتمعان فوق روحى
إن أنا إلا نجمٌ أمضى لألحق بالسماء
وما هذه النجومُ إلا اللعناتُ الفاجعةُ
للأرواح البريئة البائسة
تلك التى تطير لتحرقَ جبهة السماء
إن هذه النجومُ تضاعفُ العناد
والزينة التى تتشكل من النار
لهذا الإله باعث الصواعق .
ماذا أقول؟ إصعقنى يا إلهى
أصعق هذا الفكر المكابر لتلك الذرة التى
تجروُ على الغوص فى أعماق السماء
لتصعد سلم النجوم السامق .
سبحانك ، يا خالق الكائن المرتجف
والضياء والنبات والأمواج والكلمات
أنت الذى ورد جبينى ونور عينى انتزعت
أسكت لحن شفاهى وأخمدت ثوئب روحى
منحت السحاب لعينى والوجيب لقلبي
قلت بأنك عند باب الموت سوف تبتسم لى .
إنك تحتفظ لى بلا شك بحياة أخرى أبدية
حياة بلا نهاية من الضياء والعطر والصلوات

لكن لو توارى هنا وسط الضباب
نفسى الأخير دون همس
سأتحول إلى صاعقة شاحبة
تلتف حولك وتزمرُ بدون انقطاع
سأصبحُ لعنة وأنغمسُ فى ضلعك
وأنعتك بالآله الحقود .
آه إننى لأرتجف ، شاحبٌ أنا
يموج داخلى بحُمم كالبحيم
ما أشبهنى بتنهيدة بين أشجار السرو السوداء
حيث يجف ورق الخريف ويدنو من السقوط .
آه امنحونى ومضةً من أمل
ومضةً من أمل لأعيش
هل سأحتضن بعد هذا الحلم القبر المظلم ؟
كم هو أسود هذا المصير يا إلهى
هل كتب هذا المصير بالرميم ؟
امنحوا روحى قطرةً من نار
فما زلت أرغب فى أن أحيأ وأحب
أسقطى يا نجوم السماء
إمنحى ومضةً حياة لعاشقك البائس .
ها هو الربيع حولى ولا ورد لجينى الشاحب
وكل أشعة السماء لا تمنحنى ابتسامةً واحدة
هذا الليلُ ليس إلا تابوتى الدائم
والنجوم شعلات والقمر يبكى ويجوس الوهاد

هنالك من ليس لهم من ييكنى عليهم
من أجل هؤلاء كان القمرُ .
إن من يرقُدُ على فراش الموت
يشتهي أمرين : الحياة أولاً وأحداً ييكنيه .
عبثاً قدرت لى النجوم أن أحب
وعبثاً كان الحب الذى علمنى أياه البلبل
وبلا جدوى كان العشق الذى ألهمتنه الأنسام
وعبثاً عكس الموج الصافى فتوة شبابى
وبلا معنى كان هدوء الغياض من حولى
وكتمان الأوراق للأسرار التى لم تبج بها
حتى لا تضطرب أحلامى السامية
التي سمحت لى بأن أحلم بها دوما
عبثاً إذن كانت الأزهار ونباتات الربيع
وكلها خشعت فى سكون أمام هيكل أفكارى
آه كل هذه الأشياء سخرت منى
وما هذا الكون سوى سخرية الإله .

نـدم

أمس كنت فى غفوة سوداء
أتصبب عرقاً بارداً
وحرائق من الورد الذابل
تشتعل على وجتى
وعلى جبينى يلمع شحوب النهاية
كنت فى صحوة الموت
سمعت تأوّه أُمى
آه حين فتحتُ عيني المتعبة
رأيتُ هذه اللآلىء الذائبة
دموع أُمى ، لآلىء الحنان الحقيقى
كان فى أعماقها ألمٌ بلا حدود
وأنا كنتُ ذلك الألم الأسود
عصفت دموعها برأسى
وفجرت كل هذا السيل القاتم
آه اغفر لى يا إلهى
إننى قد رأيت دموع أُمى .

الغادة التركية

العربة التي تستلقى فيها الغادة التركية تشبه «النمش» والبرقع الشفاف على وجهها يشبه «الكفن»، ذلك لأنها مسلوبة الحرية، مسجونة ضد إرادتها. يجب أن نتذكر أننا في عام ١٨٧١ في عصر الحريم في اسطنبول. وهذه الفتاة التي لمحها الشاعر وهي تمر في العربة قد تكون من حريم أحد الأعيان، ولكن الشاعر الرومانتيكي يراها كعذراء. والدنيا محرمة على الغادة التركية وهي محرومة من الحب. في خيال وتقدير الشاعر ترغب العذراء أن تحب وأن تُحب و«تموت من تعب الحب». والعبارة الأخيرة موحية جداً، فالشاعر الرومانتيكي لا يكتفى هنا بالحب العذري، بل يريد حبا كاملا. وفي الوقت نفسه فإن ممارسة الجنس بدون عاطفة (والغادة التركية مضطرة إلى ذلك في الحريم) لا يعتبر حبا على الإطلاق. و«الغادة التركية» تظهر لنا كقصيدة رومانتيكية لها كل مظاهر الرومانتيكية من كلمات وصور، ولكن يمكن قراءتها أيضا كقصيدة سياسية ثور ضد أوضاع قائمة دون أن تستطيع عين الرقيب الرهيبة أن تلاحظ ذلك.

أما الفقرة الأخيرة من كل بيت فإن الشاعر يستخدمها لكي يبين الحالة المتناقضة للغادة، حيث الشيء قد يكون عكس ما يظهر به، وأن هناك دائما مفاجأة على عكس توقعنا. إلى أن يصل الشاعر بنا إلى نهاية موحية: «حتى لو ماتت أمامك، سوف تولد الآن». أي أنها لا يمكن أن تموت، فهي طراز ورمز، رمز الإحتياج إلى الحب برغم كل الموانع والمحرمات. والقصيدة انطباعية أكثر منها وصفية. فكيف نفسر انطباع الشاعر على هذا النحو المعين؟ ذلك أن الشاعر أيضا يريد أن يحب ويجد استجابة لحبه.

موتى

الشاعر مريض بالسل ويحس بدنو الأجل ولكن القضية التي تشغله ليست الموت، بل النسيان. وهو لا يخشى الموت، بل يتخيل نفسه وقد مات، ويصف بكل دقة وشجاعة كل الخطوات والمراسم التي سوف تلى موته، إبتداء من فراش الموت وحتى فراق الأحباب لقبره. والشاعر يخصص بيتا من أربعة سطور لكل خطوة من تلك الخطوات التي تلى موته، ويؤكد في السطر الرابع من كل بيت أنه مازال حيا. فكيف يكون الشاعر على قيد الحياة بعد موته؟ هذا هو التناقض في القصيدة. البيت الأخير يقدم لنا الإجابة. لأن الناس لا تزال تتذكره. أما إذا «ذبلت ذكراه» عندئذ يموت، كما يبين لنا في آخر سطر من القصيدة، والتي بها يحل تناقض القصيدة.

تمرد

من أشهر قصائد الشعر الأرمني على الإطلاق . والسبب طبعاً جرأته غير المعهودة ، وأيضاً جرأة الصور الشعرية التي تمور بها القصيدة .

لا يريد الشاعر شيئاً مبالغاً فيه ، فقط أن يعيش وأن يحب . ولكن القدر (أو أي كلمة أخرى بنفس المعنى) قد حكم عليه بالموت الوشيك . والتمرد (والترجمة الحرفية هي «التذمر» ، وهي تدل على نوع معين من القصيدة يتمرد فيها الشاعر على الواقع المعاصر وضد الضغط والظلم والاضطهاد ، ويعيش مأساة داخلية تولد الأفكار الفلسفية) هو تمرد على الإله الوثني الذي يتصف بالجبروت كذلك على الإله المسيحي الذي يتصف بالحب . الإله الوثني يمكن أن يدمر الشاعر بسبب جرأته ، أما الإله المسيحي فلا يهتم بالحياة على هذه الدنيا ، بل بالآخرة . ولكن الشاعر يرفض الحياة الأخرى لو كانت مرهونة ببقائه محروماً من أن يحب ويُحَبَّ في هذه الدنيا . «وما العالم إلا سخرية الإله» كما ينهى الشاعر قصيدته ، لأنه يخلق الإنسان بتزعجات معينة ثم يحبط إشباع تلك التزعجات .

ندم

وقصيدة «تمرد» يجب أن تقرأ مع القصيدة القصيرة التي تليها ، «ندم» . فتكشف أن حبا من نوع آخر (وربما أسمى) كان وراء مولد القصيدة الأولى ، حب الأم لابنها ، وآلامها التي بلا حدود بسبب آلام ابنها . والشاعر الابن يؤلمه تألمها أكثر من آلامه التي يعانيها بسبب مرضه . هو يستطيع أن يتحمل آلامه وفكرة دنو الموت ، ولكنه لا يتحمل آلام أمه ولذلك يفجر «كل هذا السيل القاتم» الذي هو القصيدة الأولى «تمرد» .

سایا ط نوقا

«شاعر لا تحده التقاليد الشعرية»

ساياط نوفا (١٧١٢ - ١٧٩٥)

ولد في تفليس . يعتقد أنه تجول في بلاد القرس والهند ومختلف أقاليم الدولة العثمانية . ذاع صيته في تفليس وعاش خمسة عشرة عاما في بلاط ملك جورجيا ، وفصل من عمله بسبب الشك بأنه على علاقة مع «آنا» أخت أوبنت الملك . وبأمر الملك أصبح قسيسا ، وقد نسخ «كتاب الماسي» لناريجتسي في الدير الذي نفى إليه . مات في تفليس أثناء حملة أغا محمد خان .
يمثل قمة فن «الأشوغ» .

ألف ساياط نوفا (قد يعنى لقبه صياد الأغاني ، أما اسمه الحقيقي فهو أروتين) قصائده الغنائية بثلاث لغات ، واشتهر بين شعوبها ، ٦٨ قصيدة باللغة الأرمنية ، ٣٢ قصيدة باللغة الجورجية ، و ٨٥ قصيدة باللغة الأذربيجانية .

وقصائده الأرمنية مكتوبة بلهجة مدينة تفليس ، مليئة بالكلمات والتعبيرات الفارسية والتركية إلخ ، لم يكن همه الأول نقاء اللغة بل أن تستيع الفئات الشعبية أغانيه .
أما سبب عظمتة فهو ليس بسبب استاذيته في نظم الشعر «الأشوغى» فحسب ، بل لأنه طوع الأنماط التقليدية ليعبر عن تجارب شخصية واقعية أمتز لها وقام بتحليل أبعادها العاطفية والتفسيية والفلسفية .

الكمائنجا

من بين كل آلات الموسيقى أنتِ الملكةُ
أيتها الكمائنجا
لا يقدرُ الرجلُ الوضعُ أن يُقدِّركِ
فأنتِ ممتنعةٌ عليه أيتها الكمائنجا
حاولي أن تلحقي بالأيام الطيبة أيتها الكمائنجا
لا أحدٌ يستطيعُ أن ينزعكِ مني
فأنتِ رهانُ العشاق أيتها الكمائنجا.

من الفضة : أذنك
يزين الجواهرُ رأسكِ
ومقبضُكِ من العاج
وبطنكِ منقوشةٌ بالصدف
وتركِ من ذهب
وحديدكِ نافذة
من ذا الذي يجهلُ قدركِ
ما أنتِ إلا لآلئُ وماس أيتها الكمائنجا.

قوسكِ المحلاة بالذهب
تصدرُ نغماتٍ بألف لون
أما شعركِ فهو من ذيل «الراش»
حين تبوحين بالقافية الجميلة

يسهر كثيرون حتى الصباح

وينام الكثيرون كأنهم مخدرون

أنت كأسٌ ذهبيةٌ ممتلئةٌ بالنيذِ الحلو المذاقِ أيتها الكمانجا .

تعطين للساقى من غناء أضعافَ ما يمنحه من نشوة

أنت معظمةٌ فى الايوان

وحين يجرى وقت الراحة ترقدين على الرف

ينعقد المجلس من جديد

تشيعين ندى حُلوا وصفاء

تصطفُ حَوْلَكَ الجميلات

وأنت نصفُ المجلس أيتها الكمانجا .

تُسعدين الكثيرَ من القلوبِ الحزينة

وتشفين داءَ المريض

حين ينبعث صوتُك الحلو

ينشرح صدرُ المغنّى

لا أعنى إلا أن يقول الناس

« طابت الحياة لمن يعزف عليك »

ومادام ساياط نوحا حيا

سترين الكثير أيتها الكمانجا .

ضراعة

إننى أتضرعُ إليك أن تسمعني يا نورَ العين
قلبي مفعمٌ بالرجاء

أن أراك بخير يا نورَ العين
إنى لأعجب من خصامك لى

قولى ماذا فعلتُ يا نورَ العين

كم شبت الدنيا من الدنيا
بينما أنا محرومٌ منك يا نورَ العين.

ما هذا الذى تفعلين بى

وكان أحداً ما عرف الحب سواى

جنتُ بعشقتك

وها أنذا أسعى بلا وعى

لا أظن أن أحداً أصابه مثلُ هذا الألم من قبل

ولن يطيق أحد مثقال ذرةٍ منه

إن قلبى يشوى بنار عشقتك

مثل طائر السمان يا نورَ العين.

صيرت أصدقائى أعداء

فكيف أتخذُ العدوَّ صديقاً

لم أعد أذكرُ يومى الذى مضى

أما الغدُ فيريدنى أن أسعى بجِدِّ

أقسم بالله إنه لأمر عسير

أن أنجو مما حلَّ بي

ما أنا الا كزورقٍ صغيرٍ
أما عشقك فيمَّ عظيم يا نور العين .

كم أتوق إلى أن أتغنى بك وأشيب بحسبك
طوفتُ عشرة أعوام مثل رسول الملك
في يدى الشبابة وأنا مثل «غريب»
أقدر أن أطوف سبعة أعوام أخرى
آه يا معبودتى «شاهسانام»

ليس لى سواك يا نور العين .

سأصبر مهما تزا حمت الهموم من حولي
ولن أنطق بالآه من قلبى
وضعتُ مصيرى بين يديك وحدك
لا أسمى ملكة سواك

لقد قال سياط نوحاً أيتها الظالمة
إذا متُّ فلن أسمى موتى موتاً
إذا ما بكيت على ناشرة شعرك يا نور العين .

لأنك أشد فطنة

إنك لأشدُّ فطنةً

من أن تجعل عقلك يقودك إلى الحمق
بالله عليك ، لا تأخذنى بما تراه

من رؤى فى منامك

آه لقد احترقت وانتهيت منذ زمن

فلا تبدأ فى كَيْى من جديد

كل ما اعلمه أنك ستمتنى ، فلا تلتمس ذرائع أخرى .

أيها الملك أنت رستم زال

ما من حكيم قُدِّرَ له أن يحكم بمثل حكمتك

أنت جميلٌ أيها الملك وشعبك مبرز بين الشعوب

إقطع رأسى أيها الملك

لو رأيت أننى بمثل ما تظن من السوء

فلترع الله فى برهة ولا تعاقبنى بلا جريرة .

الجريح ينبغى طبيباً يعطيه الدواء لا ألماً

ومهما يكن العبد محروماً

فلا ينبغى أن يخون سيده

فليكن قلبك طاهراً

ولا تصدق فى أقوال العذال

إن من ينشدُ حب الله

لا ينبغى أن يردنا من الأعتاب .

ليس كل أحد بقادر على أن يشرب مائى
فلمائى مذاق آخر
وليس كل أحد بقادر على قراءة سطورى
لأنها بعيدة الغور
لا تظن بأن أساسى رخو كالرمال
بل هو من الحجر والخص
أنت كالسيل العرم الذى لا يجف
فلا تتعجل خرابى .

هل ترى رمل الشاطئ ينقص
مهما أخذت منه الريح؟
وسواء وجدت أو فئت
فإن الطرب لن يغيب عن المادبه
ولو أننى غبت أنت فقط الذى يلحظ غيابى
لكن لن تنقص شعره من رأس الدنيا
لا تحفر قبر سيات نوثا
فى الهند أو الحبشة أو بلاد العرب .

الدنيا نافذة

ما الدنيا إلا نافذةٌ

وأنا سئمت الدروبَ

من نظرَ إليها جَرَحَتْهُ

وأنا سئمتُ الجراحَ

ما أجملَ الأمسَ إذا قورنَ باليوم

لقد سئمتُ حتى من الغدِ

لا يبقى الإنسانُ على حاله

لقد سئمتُ الأغاني .

لا أمانَ للغنى

كله يذهبُ حتى القليلُ لا يبقى

أما الإنسانُ الإنسان

فهو الذى يصون كرامته ولا يحنى رأسه

لا دوامَ لهذه الدنيا كما يؤكدُ الحكماء

أتوق إلى أن أطيّر مثل البلبل لم تعد تغوينى البساتين .

من ذا الذى يضمن العيش من الصباح حتى مقدم الليل

كل شيء بيد الله

دخول الإنسان وخروجه

لقد تَفَشَّى الكذبُ بين الناس

حتى لم يعد طريق للصدق

سيدٌ واحد وعشرون لا يملكون شيئاً

لقد سئمتُ الأسياد .

مهما طالمت متعتنا فلا بقاء لهذه الدنيا
فلتلعن رذائلك
أيها الجاهل يا ابن آدم
آه لقد نقد صبرى
وما عدت أطيق سخرية الخلق
ها هم أصدقائي قد باتوا خصومي
لقد سئمت الأعداء .

قال ساياط نوفا
طفح كيل الأحزان
لا أنتظر مجدا ولا سعادة
فقد ملأت المرارة كأسى
وأنا أبكى مثل البلبيل
تكاثر الشوكُ فى الورد
حتى ليمنعه من التفتح فى أوانه
لقد سئمت حتى قطف الورد .

كمانجا

بعد كل هذا الوصف والمدح للكمانجا الذى هو القصيدة كلها، يأتى السطر الأخير ليؤكد أن الذى يعطى الكمانجا قيمتها هو الذى يعزف عليها، ينشد أشعاره بمصاحبتها، هو الشاعر نفسه، ساياط نوقا.

ضراعة

قد تكون هذه القصيدة هى التى جعلت الناس تشي للملك أن الشاعر يحب أخته أو ابنته، وربما قدم أعداء الشاعر هذه القصيدة كبرهان على أنه يحب الأميرة.

لأنك أشد فطنة

الكلام موجه إلى الملك الذى كان يعمل ساياط نوقا شاعرا مغنيا فى بلاطه حينما أتهم أنه على علاقة حب بأخته أو ابنته. وكلام الشاعر الموجه للملك والذى كان يتغنى به أيضاً موحى جداً. فهناك كلمات توحى أنه فعلاً كان يحبها وربما صدته تلك الأميرة: «لقد احترقت وانتهيت من زمن». وهو فى الوقت نفسه محاور ماهر يريد أن يشي الملك عن اعتقاده بقوله أن الملك قد ستم منه ويريد أن يخلق أعذاراً أخرى كي يتخلص منه أو يطرده ليرد عليه الملك: «لا لم أسام منك يا ساياط نوقا». وفى هذه القصيدة كلمات شهيرة جداً نقشت بعد موت الشاعر على قبره يؤكد فيها ساياط نوقا قدرته وعبقريته كشاعر، وأنه شامخ وعميق فى شعره، وأن قوته فى شعره، أما الملك فسيطرته على الشاعر وليس على شعره. والشاعر كإنسان يمكن الاستغناء عنه ولكن يبقى شعره.

الملك يمكن أن يطرده من بلاطه ليهيم الشاعر من بلد إلى بلد ويلقى حتفه غريباً وينساه الناس، ولكن شعره سيبقى. الملك لا يستطيع أن يفهم كل أسرار شعر ساياط نوقا، ولكن يستطيع أن يفعل ما يشاء بالشاعر نفسه. والبيت «ليس كل أحد بقادر» يؤكد ذلك. فبعد السطرين الأول والثانى اللذين يشيران إلى الشعر، يشير السطر الثالث بإيهام إلى الشعر والشاعر معاً. والذى يمكن للملك أن يقضى عليه هو الشاعر وليس الشعر. وهكذا يمكن للملك أن يخرّب أساس الشاعر حتى لو كان من الحجر والجص.

الدنيا نافذة

قصيدة تتبع تقاليد وتستخدم أساليب الشعر «الأشوغى»، ولكنها تبدو حديثة جداً بسبب موضوعها، وهو شعور الشاعر بالسأم من كل شيء. وهذا السأم يشمل أيضاً سأم الشاعر من المواضيع المعتادة والتي كان يكررها ناظموها هذا النوع من الشعر الغنائى. فيؤكد أنه سئم الجراح وسئم أغانيه أيضاً. والقصيدة شديدة الخصوصية، فالشاعر هو الإنسان الذى لا يحنى رأسه، هذه هى القيمة الكبرى، قيمة عزة النفس والإعتزاز بالنفس.

وينهى الشاعر قصيدته بإعلانه أنه سئم حتى «قطف الزهور»، وهى هواية أو نشاط تدل على حب الجمال والإستمتاع بالطبيعة والذوق المرفه، وراحة البال أيضاً، ولكن هناك معنى آخر خفى. فلمن تقطف الزهور؟ للحنينة. أى أن الشاعر قد سئم حتى من الحب بسبب الهجوم الشديد الذى تعرض له لا لشيء بل أنه فقط أحب.

والقصيدة مكتوبة فى ١٧٥٩، عام طرده من البلاط، فهل هى آخر قصيدة ألفها، لأنه فعلاً سئم الأغاني، سئم فنه الذى به أصبح ساياط نوفاً؟

باغدا سار تبیر

« شاعریک عه الصدیق لیسموبه ، ویک الوطنه أده ینعصه »

باغداد سار تبير (١٦٨٣ - ١٧٦٨)

ولد في مدينة جيساريا (قيصرية) . ثم هاجرت العائلة إلى اسطنبول .

ذاع صيته كمحقق للنصوص القديمة وناشر واشتهر كشاعر وملحن وهو لا يزال شابا .

ضمن المؤلفات القديمة الكثيرة التي حققها بمقارنة المخطوطات المختلفة وكتب المقدمات لها «كتاب المآسى» لكريكور ناريجاتسى وسلسلة «الهايرينات» نسبت لاحقا إلى ناهاييد كوتشاج .

كان أول ناظر لكلية أسسها البطريك هاجوب ناليان في الأربعينات من القرن الثامن عشر في اسطنبول . وكان يدرس فيها التاريخ والفلسفة والموسيقى . وكان عالم لغة وألف كتباً عن القواعد اللغوية بـ «الكرابار» و «الأشخارابار» .

وديان باغداد سار تبير للقصائد الغنائية طبع سبع مرات ببعض التغييرات والإضافات ، ويحتوى على ١٧١ قصيدة ، دينية ودنيوية ، لحن جزءا منها هو شخصا . وبفضل معرفته المتعمقة بمختلف الأشكال الشعرية ، يمزج في قصائده بين الشعر الشعبي الغنائي ، والمعروف باسم «أشوغية» ، والذي وصل إلى قمته التعبيرية على يد ساياط نوقا ، وبين الشعر الكلاسيكى الرصين .

وباغداد سار تبير عالم لغوى أيضا ، فقد قام بتنقية «الكرابار» من الشوائب اللاتينية التي علق بها ، وألف بها الكثير من قصائده الدينية . وهو من أوائل من قاموا بتهذيب وتقنين اللغة العامية وجعلها اللغة المكتوبة الحديثة ، «الأشخارابار» ، وألف بها قصائده العاطفية خاصة .

قومي من نومك الملكى

من نومك الملكى
قومي يا ذات الدلال قومي
فقد بزغ شعاع الشمس
قومي يا ذات الدلال قومي

هيتك جميلة وجهك مستدير
مثل القمر فى التمام
أنت بلا شبيه فى أى مكان
قومي يا ذات الدلال قومي

بجمالك الذى تتحلين به
تجعلين العالم عبداً لك
حتى لا تلفحك الشمس
قومي يا ذات الدلال قومي

بالقلب الغائب أنى لى أن أنوح
أيتها الوردة الحمراء التى لا تعرف الذبول
أنظرى، كم أنا بائس
قومي يا ذات الدلال قومي

ها هو القيظ وما هي الريح السَّموم
أقبلا يودَّان إحراق جمال أوراقك
ويَقذفانك في سواد الليل
قومي يا ذات الدلال قومي

تلك التي أشبَّ بها لا مثيل لها
ومن بين الأحجار الكريمة تنفرد بجمالها
في عام ألف وسبعمائة وثمانية
قومي يا ذات الدلال قومي .

عذاباتى و ضجرى من هؤلاء

كم سئمتُ هذه الحياةَ الزائفةَ
و أنصاف المحبينَ والخائنينَ
هؤلاء الأصدقاء الذين لا أثقُ فى مودتهم
وهؤلاء الأصحابَ
الذين يأتى ودهم من اللسان
لقد تكدرتُ وضجرتُ حقاً نفسى .

كم هو جليل أن تجد محبا وفيا
كم هو جديرا بالشناء ، كم وددتُ
منذ زمن بعيد أن يكون لى
مثلُ هذا الصديق لتطيبَ نفسى .

سأل سائلُ الإسكندر الأكبر
الذي قهر العالم « أين هى كنوزك؟ »
وأشارَ إلى كل الذين كانوا يحومون حوله
فهمتُ ومن رده سُرَّتْ نفسى .

أى عظمة تعدلُ أن يحصلَ الإنسانُ
على صديق يتحد فيه الجسدُ والروح؟
أن يجد شخصى البائس رفيقا كهذا
عندئذ أقول لقد سئمتُ نفسى .

قومي من نومك الملكى

هذه القصيدة قد تبدو عاطفية ، وهى بالفعل منشورة ضمن القصائد العاطفية . ولكن كلمة «الملكى» تفتح لنا إمكانية قراءة أخرى . فـ «ذات الدلال» ليست فتاة ، بل هى الوطن الذى فقد حريته واستقلاله منذ عدة قرون . ويرى الشاعر أن هناك أخطارا تهدد بمحو الوطن بصفة نهائية : «ها هو القيظ وها هى الريح السوموم أقبلأ يودان إحراق جمال أوراقك» . وهو يريد أن يسجل فى التاريخ نداءه إلى الوطن كى ينهض ، ولذلك يضم تاريخ كتابة القصيدة فى آخرها . والتاريخ ليس مكتوبا بالأرقام ، بل إن الشاعر يلجأ إلى النظام القديم ويدونها بالحروف ، حيث كل حرف من حروف الأبجدية الأرمنية ترمز لرقم ، ويجمع الحروف فى كلمة ليس لها أى معنى آخر . وهذه القصيدة هى إحدى قصيدتين فى شعر باغداسار تبير اللتين تتضمنان تاريخ كتابتهما ، وهذه الحقيقة لها دلالتها طبعاً .

عذاباتي و ضجري من هؤلاء

قيمة الصداقة الحققة . تقدمها القصيدة بطريقة تصاعدية .

فى البيت الأول يعبر الشاعر عن ضجره من الصداقة الزائفة المنافقة . أما فى البيت الثانى فهو يفصح عن توقه الشديد إلى الصديق الحق . فى البيت الثالث يعطى لنا مثلاً من التاريخ ، حيث أن اسكندر الأكبر ، قاهر العالم ، يؤكد أن كنوزه الحقيقية هم أصدقاؤه الذين لا يبارحونه جواره . وفى البيت الأخير يعلن الشاعر أن لا شئ آخر فى الحياة يرتقى إلى مرتبة الصداقة . وهو يشبه علو الصداقة عن أى شئ آخر فى الدنيا ، بعلو الروح على الجسد . وبذلك يكون قد وضع أيضاً كنه الصداقة المرجوة وهى تركز على القيم الروحية وليس على مجرد الصفات المادية .

والشاعر إنسان يبغي الكمال ، ولذلك نجده يضجر من أنصاف المحيين فى البيت الأول ، وهو يعترف أن شاغله الأكبر منذ سنين طويلة هو إيجاد الصديق الحق فى البيت الثانى ، وفى البيت الثالث نجد الشاعر يؤكد أن حتى الإنسان الكامل (اسكندر الأكبر فى نظره) يحتاج إلى الأصدقاء ويعتبرهم أكثر قيمة من البلاد التى أكتزها أو فتحها ، وتأتى ذروة الفكرة فى البيت الأخير حيث يؤكد الشاعر أن الإنسان (وهو يصفه بالبؤس ويشير إلى نفسه) لا يسمو إلا بصديق يشاركه القيم النفسية العليا .

ناغاش هوقناطان

«شاعر التفاصيل الجميلة»

ناغاش هوقناتان (١٦٦١ - ١٧٢٢)

ولد فى قرية «شوروط» فى «ناخيتشيفان» .

نستقى المعلومات عن حياته من «قوغب» كتبها ابنه ناغاش هاجوب بمناسبة موته . عاش فترة فى «تفليس» ، وحسب المصادر الجورجية كان المغنى والرسام الملكى فى بلاط الملك فاغطانك السادس ، ألف فيها على سبيل المثال أغنية عن جميلات جورجيات . عاش أيضاً وألف فى مدينة «يريفان» .

هو مؤسس الشعر «الأشوغى» فى القرن السابع عشر . وهو شاعر وملحن ومغنى وعازف . وكان أيضاً فناناً تشكيميا ورسام منمنمات .

وقد تأثر ناغاش هوقناتان بالأساليب الشعبية ، وله قصائد فى الحب والربيع والفرح ، وقصائد هزلية وتأملية . أما الربيع فهو يأتى بالخيرات والحياة وأيضاً بالحب الذى هو معنى ومتعة الحياة .

يكتب بلغة عامية موسيقية جميلة .

أغنية للربيع والفرح

عندما يحل الربيع وتسطع الشمس
تهب الرياح الجنوبية وتذوب الثلوج
تخضر الدنيا، وتزهر الأشجار .
لنحتس النيذ يا أصدقائي
ولنكل أمرنا إلى الله .

تحت الشجرة المزهرة ينعقد مجلس الصحاب
يحملون في أيديهم كؤوس النيذ الأحمر الرائق
وتسقط الزهرة البيضاء فوق الكأس .
لنحتس النيذ يا أصدقائي
ولنكل أمرنا إلى الله .

أنت لا تعرف ماذا سيلد الغد
إن حياة الانسان تشبه الزهرة البرية
تفتح اليوم وتذبل غدا .
لنحتس النيذ يا أصدقائي
ولنكل أمرنا إلى الله .

ها هو ربيع جديد يقبل ، شمس جديدة مزهرة مجللة بالنعم

وسوف نرى كيف سيفتح البنفسج والورد
ويصغى الناس لغناء البلبل وهديل الحمام .
لنحتس النيذ يا أصدقائي
ولنكل أمرنا إلى الله .

خذوا النيذ الأحمر واسكبوه من القنية
أحضروا ذبيحة الضأن المشوية فوق الآنية الفضية
وحولها الأرز الشهى المتبل باللوز والقرنفل .
لنحتس النيذ يا أصدقائي
ولنكل أمرنا إلى الله .

فلنجلس على الأرض الخضراء وسط العشب ومن حولنا الماء
ولنحتس معا النيذ الأحمر
ولتبادل الزهور والورد الشذى .
لنحتس النيذ يا أصدقائي
ولنكل أمرنا إلى الله .

حلال أن نشرب فى هدوء وسلام
دون عريضة أو شجار أو غضب
نشرب باعتدال ولطف كي نبتهج فى حب .
لنحتس النيذ يا أصدقائي
ولنكل أمرنا إلى الله .

إجلس «يا ناغاش هو قنطان»
إيك واستغفر لذنوبك
إن الدنيا فانيةٌ لا تدوم لأحد.
كلوا واشربوا أيها الصاحب الكرام
واطلبوا البركة من الله الآن وإلى الأبد.

أغنية للربيع والفرح

أغنية مناسبة للمآدب .

عن الاستمتاع بالحياة وبخيراتها من مشرب ومأكل فى أجمل الفصول مع صحبة خيرة وأذهان صافية دون تفريط ودون تفكير فى الغد بل الاتكال التام على الله .

وهذا الاستمتاع الهادئ المتوازن يجعل الإنسان فنانا ، يجعله قادرا على تذوق الجمال الذى يحيط به ، والذى قد يترأى فى التفاصيل الصغيرة ، مثل الزهرة البيضاء التى تسقط فوق الكأس الملىء بالنبيذ الأحمر ، والذى ينتهى كل بيت من أبيات هذه القصيدة بالدعوة إلى احتسائه .

ونهاية القصيدة تبين الصراع بين رغبة الإنسان فى الاستمتاع بهذه الحياة وخوفه من أن ذنوبه مستوقع به العقاب فى الحياة الآخرة . ولذلك يبعد الشاعر نفسه عن الصحبة ، ولكنه يطلب منهم فى نفس الوقت أن يواصلوا الشرب والأكل وأن يطلبوا من الله أن يباركهم ، أى يواصل توفير خيرات الدنيا لهم .

نرسييس موجاتسنى
«شاعرا نزل الشعر منه السماء للأرض»

نرسييس موجاتسى (١٥٧٥ ؟ - ١٦٢٥)

ولد فى قرية «هاسجيتشاف» فى اقليم «موجك» فى أرمينيا التاريخية.

كان راهبا قام بعمل تعليمى تنويرى فى أديرة عدة - دير «امرتولو» فى «باغيش» ودير الصحراء الكبرى لمقاعة «سيونيك» ودير جزيرة «ليم» فى بحيرة «قان»، حيث كان هو مؤسسها وتوفى فيها أيضاً.

كان أعظم ممثلى الفكر الفلسفى فى زمانه.

كتب قصائد ذات مضامين دينية ووطنية وتنويرية. فى قصيدة «كنت طفلاً متمرساً فى الفكر» ينتقد الأمراض الاجتماعية مثل الولع باكتناز المال والرشوة واستغلال القوى للضعيف، والكثير من نقده ينصب خاصة على رجال الدين، فقد كان غرضه تأسيس اديرة تتحلى بالطهر.

وقد نظم الشعر بعدد من الأشكال : «نربوغ» (أضاف إليه موضوعات جديدة، مثل حب الوطن والعلم)، «فوغپ»، «داغ»، «كانتس» (أضاف إليه أعمال الوطنيين من أبناء الشعب)، محاورة (قام بتطويرها بصياغة مادة شعبية هى الجدل بين السماء والأرض صياغة فنية).

يكتب بـ«الكراپار»، ولكن أسلوبه سهل ومفهوم، حتى أنه فى بعض الأحيان يقترب من مستوى اللغة العامية، كما فى قصيدته الرمزية «جدل بين السماء والأرض».

جدل بين السماء والأرض

السماءُ أم الأرضُ يا أصدقائي
أيهما أعظمُ من الأخرى
لو قلت : السماءُ مرتفعةٌ
لرأيت أن فاكهة الأرضِ أكثرُ .

قالت السماءُ للأرض :
إن لي ميزةً عليك
فكلُ النجومِ الساطعةِ الباهرةِ
تبرغُ من أضلُعِي .

قالت الأرضُ للسماء :
منزُ الله بلا عدد
إن زهوراً بستة آلاف لون
تنبتُ كلها في ترابي .

قالت السماءُ للأرض
إن لي ميزةً عليك
تخيلي : لو أنني منعت عنك الندى
فبم تتزينُ زهورك؟

قالت الأرضُ للسماء
مَنْ الله بلا عدد
أَنْتِ إِنَّمَا تَأْخُذِينَ النَّدَى مِنَ الْبَحْرِ
وَيَنْبُوعَ الْبَحْرِ عِنْدِي
لَوْ سَحَبْتُ يَنْبُوعِي لَدِيَّ
قُولِي : مَنْ أَيْنَ يَأْتِي نَدَاكَ ؟

قالت السماءُ للأرض
إِنْ لِي مِيزَةٌ عَلَيْكَ
لَوْ صَحَا جَوِّي وَسَلَطْتُ لَفَحَةَ الشَّمْسِ فَوْقَكَ
فَإِنْ كُلُّ زَهْوَرِكَ سَوْفَ تَذْبَلُ .

قالت الأرضُ للسماء
مَنْ الله بلا عدد
سَتَخْرِجُ الْمِيَاهَ مِنْ أَغْوَارِي
كَيْ تَتَزِينَ أَزْهَارِي .

قالت السماءُ للأرض
إِنْ لِي مِيزَةٌ عَلَيْكَ
أَقْدِرُ أَنْ أَرْسِلَ كِرَاتَ الثَّلْجِ
فَتَحْجِبَ كُلَّ زَهْوَرِكَ .

قالت الأرضُ للسماء
مَنْ الله بلا عدد

كم عندى من وديان وغدران
ستبتلع كرات ثلجك

وسوف يتحول الثلجُ إلى سيول
تفيض به بحارى
ثم يصير سحابا جديدا
تكتمل به كل أزهارى .

قالت السماءُ للأرض
إن لى ميزة عليك
ما من فتى شجاع
إلا وابتلعه ترابك .

قالت الأرضُ للسماء
مننُ الله بلا عدد
عندما يستردُ الله
هبةَ الروحِ منه

فلو لم أطو الجسد فى ترابى
فسوف يملأ عفته الدنيا
حتى إن الملائكة سوف تهرب
وترجُ الأرضُ والسماء .

قالت السماءُ للأرض :
إن لى ميزة عليك
كلُّ الملائكة فى درجاتها التسع
تبزغُ من أضلعى .

قالت الأرضُ للسماء :
مننُ الله بلا عدد
كلُّ الأنبياء والرسل والقديسين
يولدون من جنباتى

قالت السماءُ للأرض :
إن لى ميزة عليك
أنا سماواتُ سبع
فى أدناها الشمس والقمر

إن الشمس والقمر والنجوم
كلها تبرزُ من بين أضلعى
والله الخالقُ العظيم
يجلس على عرشه فوقى .

قالت الأرضُ للسماء :
مننُ الله بلا عدد
كل سماوتك السبع سوف تهوى
وستظلمُ الشمسُ والقمرُ والنجوم

ويوم الحساب فإن الخالق العظيم
سينزل بعرشه إلى الأرض
لأن يوم الحساب
سيكون في الأرض .

تدلت السماء،
ولامست برأسها الأرض :
لا تدعى شكواى تثقل قلبك
لقد شكوت لك مرة أو اثنتين .

أنت أساس الكنيسة
أنت قبر الراهب القديس
أنت بخورٌ يملأ المبخرة
وعليك يستقر القانون .

يا جميع الأبناء، تعجبوا
فالأمر عجيبٌ حقاً
تواضعوا أنتم يا أبنائي
وضعوا هاماتكم على الأرض .

هل هناك ما هو أسمى من السماء؟
إنها تمسح الأرض بجبينها .
الأرض التي تمشى فوقها اليوم
ندخل ترابها غداً .

جدل بين السماء والأرض

العلاقة المتبادلة بين الروح والجسد، بين السماء والأرض، شغلت الإنسان من قديم الزمان وطفئت على التفكير العام في القرون الوسطى. وفي قصيدة «نرسييس موجاتسى» يتطور الجدل حجة مقابل حجة، مارا بثلاثة مراحل تتدرج إلى أعلى. الأولى هي الطبيعة ومظاهرها من زهور وندى، شمس ومطر، بحور وسحب، إلخ، ومحور هذه المرحلة هي الزهور، أجمل وأكمل ما في الطبيعة، فتحاول السماء أن تبرهن بحججها على أن الزهور لا تستطيع أن تحيا بدونها، أما الأرض فهي تثبت بحجج مضادة أنها - أى الأرض - قادرة على إحباط كل محاولات السماء بإلحاق الأذى بالزهور. المرحلة الثانية هي الإنسان، وكيف أن الأرض الطيبة تحتضن الإنسان في ترابها بعد مماته لتمنع انتشار رائحة العفن الكريهة والتي لا تستطيع أن تحملها حتى الملائكة. فهو أقسى من يوم الحساب. أما المرحلة الثالثة فهي مبنية على الإيمان بالملائكة ويوم الحساب ومن يمشرون بها من رسل وقديسين، وقمة هذه المرحلة هي الله الخالق. وتتصر الأرض في كل مراحل الجدل وتعترف السماء بانتصار الأرض.

بجراحة كبيرة ينصر الشاعر الأرض على السماء، ينصر المادية التي تحتوى على قيم روحية على المثالية البحتة. وقصيدة «جدل بين السماء والأرض» تدل على نزعة لعلمنة الشعر.

ناهابيد كوتشاج

«الشعب الشاعر»

ناهابيد كوتشاج (؟ - ١٥٩٣)

فى الثمانينيات من القرن التاسع عشر نسبت «الهايرينات» خطأ إلى شاعر أسمه ناهابيد كوتشاج، ولد فى قرية «خاراجونيس» إحدى قرى بحيرة «فان» فى أرمينيا التاريخية.

ومجموعات «الهايرينات» التى أكتشفها الباحثون فى المخطوطات القديمة لا تحمل إسم مؤلفها أو مؤلفيها. وهناك نظرية أن «الهايرينات» هى إبداعات شعبية انتقلت شفها عبر الأجيال والعصور، وقام أناس موهوبون بصياغتها فنيا وتدوينها ولم يوقعوا باسمائهم على اعتبار أنهم ليسوا مؤلفى تلك «الهايرينات».

ولكن القارئ لا يسعه إلا أن يحس بأن وراء تلك «الهايرينات» شخصا مبدعا واحدا مختلفا عن كل الشعراء الآخرين. ولهذا فإن القارئ يحبذ أن يسمى ذلك الشخص باسم ما، وليكن الإسم الذى اقترن بـ «الهايرينات» فى البداية، أى ناهابيد كوتشاج.

وهذا الشاعر الأسطورى هو ممثل الشعر الدنيوى، فلأول مرة يتحرر الحب من كل الموانع وخاصة الدينية منها، ويفصح عن نفسه بصراحة ومباشرة، وهو حب يشمل الحب والعاطفة والعقل. ونجد فى شعر كوتشاج تمجيد مسافر للحب، وهناك قصائد سرديّة ووصفية تتميز بصراحتها دون أن تقع فى الفجاجة.

غزليات

حين جاء الحب إلى هذا العالم ، حل في قلبي
ثم غادر قلبي وأنطلق يرحل من بلد إلى بلد
صعد إلى رأسى أقام في تلافيف عقلى
وحين طلب من عيني الدَّمْعَ سكبت له الدماء .

هبطتُ من ذلك الجبل منادياً
« أين هو الأخضر ؟ »

فأجابنى أحدهم
« الجبل أخضر والوادي أخضر
فالذى يحب يصبح حتى عرق قلبه أخضر
أما الذى لا يعرف الحب
فله قلب أسود ووجه أخضر » .

من أين أيتها الغريبةُ أقبلت وأحييتنى
حين اندلعت نار فى ردنك
سكبتها فى حضنى
صهرت ذهب حبك فى بوتقة قلبي
صيرته قرطاً وعلقته فى أذن قلبي .

— يا عقد اللؤلؤ ، امنحيني قبلة كيلا أموت
— سأمنحك ألف قبلة أيها الأسمر الخشن الشعر الجسور
شرط أن لا تتباهى

حين تسكر فى مجلسك فلا تحسن القول
تتفاخر بالقبلة التى تأخذها دون أن تعرف الحياء .

العالم كله يعرفُ أننى أحبك منذ صباى
لقد أمسكت بأذن قلبك
وييدى علقتُ القُرْط
يسرى حبكُ فى نخاع عظامى
فحبك هو لبنُ أُمى
لا سبيلَ إلى فصله عنى
عبثاً تشغلين بالك .

تومئين لى حين تخرجين من بيتك
لكى أقع فى هواك
ما عسى يفعلُ حُبى وحده بدونِ رفقة حبك
الحبُ المتبادلُ بين اثنين
يكونُ أشهى من اللوزِ والسكرِ
أما الحبُّ من طرف واحد
فهو أقسى من يومِ الحساب .

كم يعذبني القلقُ الشديدُ ويُخيفُنِي
ها أنذا عاشقُ في أولِ حبهِ الفتَى
أخشى أن يتزعوا مني شمس حياتي

إذا نزعوا الشمسَ مني
فليتزعوا إذن الحبَّ من العالم
وإذا ما نزعوا الحبَّ من العالم
فليتزعوا إذن عيني من وجهي .



عيني تلوم قلبي
«أنت تحبُّ وهم يُفترون عليَّ بألفِ شر»

قلبي يقول لعيني
«فلتفقدى بصرك إذا كنتِ كاذبةً
الذي لا يعجبُ العينَ
لا يقدرُ أن يخدعني
ولو كان له ألفُ لسان» .



من حكمه الحبُّ ولا يجدُ دواءَ لعذابه
فليحفرْ لنفسه قبراً يواريه حياً
لكن ليتركْ فُرْجَةً

في القبرِ ناحية القلب
كي يصعدَ منها اللهبُ الأرجوانيُّ
ليقول من يعبرُ به :
«إذ حكمك الحبُّ أحترق قلبك» .

أبصرتُ غادةً حسناءً تنهاديَ

فهمتُ «آه ياللوجه الوردى» .

فاستدارت وقالت

«نعم أنا حسناء . هل تقدر على مواجهة جمالى؟

منحنى اللهُ وجهاً جميلاً ولك عينان

قف تأمل

منحنى اللهُ الجمالَ وأعطاك ناراً

تحرقُ بها نَفْسَكَ» .

يا قمرى المخلق فى الأعلى

إلى أين ترحلُ فى هذا الليل العميق؟

أنتَ تُشْرِفُ على آلاف الأسطح

حيث ترقدُ الجميلاتُ نائمات

ينحسر القميص عن الصدر البَضّ وقد فكت الأزرار

وأنت تتحسس بنورك نهديها

لقد ارتد شعاعك للسماء فأطفاً النجوم .

لو أننى شربتُ خمر لونك

شربتُ وسكرت

لو أننى دخلت فردوسَ حضنك

دخلتُ وقطفتُ تفاحَ الصدر

لو أننى استلقيتُ بين النهدين ونمتُ

لما بخلت بروحى لو طلبها ملكُ الموت .

أنا صبيٌّ وأنتِ صبيةٌ
إذن حانَ وقتُ الحبِّ

نحصرُكَ كالقوسِ

كلما جَذَبْتُهُ لاني
نهدُكَ مثْلُ العنقودِ يترجرجُ فوقَ صدركِ
كالصباحِ حُضْنِكَ كلما فَتَحْتُهُ أضواءَ .

يا شَمَامَتِي الصَّغِيرَةَ

كيفَ أَسْتَوَلِي على حُضْنِكَ

كالبحرِ الزَّاخِرِ حُضْنِكَ

والبحرُ يداوِي الحمى

لو أَنِّي بَطٌّ بَحْرِيٌّ صَغِيرٌ

أَدْخُلُ حُضْنِكَ وَأَسْبِغُ فِي بَحْرِهِ

ثمَ أَقْفِرُ خَارِجاً

وَفِي ظِلَالِ حَاجِيكَ أَغْفُو .

ها أَنَا أَرْدَدُ بِلَا كُلِّ

اغزِلُوا ثوبَ حَيِّي بِخِيوطِ مِن ضِيَاءِ

أَجْعَلُوا سِدَاهُ الشَّمْسِ وَلَحْمَتَهُ الْقَمَرِ

خَذُوا فِتَائِلَ الْقُطْنِ مِنَ السَّحَابِ الدَّاكِنِ

خَذُوا الْخِيوطَ مِنَ الْبَحْرِ

وَاجْعَلُوا النُّجُومَ أَزْرَاراً

أَمَّا أَنَا فَاجْعَلُونِي مَصْفُوفاً دَاخِلَ الْعُرَى .

تشردت إثني عشر شهرا في السنة
حتى تعفن التفاح في جرايبي
طوّفتُ بكل القرى والمدن
ما دلني على دواء لدائي أحد
فجأة نادتنى بنتٌ من شرفتها العالية : « تعال إليَّ
أخذك ترقد في حضني
كي لا تذهب تموت في الغربة » .



ما من ثمرة في البر أو البحر
لها مثل هذا المذاق الحلو
للقبلة التي منحنيها
من فمك برغبة من قلبك
كالثمرة التي خدع وأكلها آدم
ليخرج من الجنة
أما أنا فخرجتُ بالشوق إلى حضنك .



يا إلهي لا تلق بعبدك الذي خلقته
في يد الحب
فإن ألقيته فاحفظه
من السنة الناس
لقد خبّله العشق
حتى يستحق أن يقيد
كم هو مكروه من يعزل العاشق .

أقول : ليت من اقتنص حييته وهرب بها
كعابر فوق جسر

طغت المياه وأطاحت به

أنهمر الجليد ومحا آثار الأقدام

ليأخذها ويدخل بها البستان

ويقبل فمها في رائحة النهار .

حين جاء الحب

الحب يبدأ رحلته فى العالم من قلب الشاعر . فهو الأقدر على الإحساس بالحب والتعبير عنه فى قصائده . ولكن الشاعر يتألم أيضا أكثر به ويقع تماما تحت سيطرته .

يا عقد اللؤلؤ ، امنعيني قبلة

كلام واقعى من فتاة لا يستطيع الكلام المعسول أن يخدعها . هل يرغب الشاعر أن يقبلها حبا فيها فقط ، أم ليتباهى بانتصاره أمام مجلس أصحابه ؟

كم يعذبني القلق الشديد

الشعور الحقيقى لإنسان يحب . فلو فقد حبيبته فقدت كلمة الحب معناها ، بل لا يبقى فى العالم أى شئ يستحق الرؤية إذا رحل عنه الحب .

أبصرت عادة حسناء تنهادى

تأمل جسارة الحسناء ، والقصيدة تصوير لنفسية الفتاة الجميلة ، حيث يسعددها أن يقع الرجال فى حبها ويحترقون بالشوق إليها .

لو شربت خمر لونك

استمتاع تصاعدى بالحب الجسدى ينتهى بنشوة كبرى يتمنى الشاعر فى لحظتها أن يفارق الحياة .

ها أنا أردد بلا كلل

الشاعر يلجأ إلى صور مجازية مبالغ فيها كى يصف ثوب فتاته كيف يكون . ولكن الذى يهمه حقاً أن يكون هو تحت ذلك الثوب .

تشردت اثني عشر شهرا فى السنة

جراة الفتاة جديرة بالاهتمام ، فهى تفهم حال ونفسية الشاعر وشوقه إلى الحب دون أن يكون قد نطق بأى كلمة لها بل دون أن يكون قد رآها وتدعوه إلى حضنها . أبطال وبطلات الشاعر يقبلون على الحب والشهوة اللذين لا يتفصلان .

أقول «ليت من القتنص حبيبته»

الجميل فى الحب أن تنفرد بالحبيبة دون أن يستطيع العالم أن يجذك أو يلحقك .

ما من ثمرة فى البر أو البحر

القبلة لا تكفى . فإذا خرج آدم من الجنة فهو قد استمتع بها ويريد الرجوع إليها ، أما الشاعر فيريد أن يكمل القبلة بقاء الجسدين .

هبطت من ذلك الجبل مناديا

غريب أمر هذا الرجل الذى يتزل من الجبل وهو يبحث عن الاخضر والأخضر حواليه . ولكنه لا يحب ولذلك لا يستطيع أن يرى خضرة الجبل وخضرة الوادى . أما الحب فسوف يخضر حتى قلبه . والإنسان الذى لا يحب ليس إلا جثة اخضر وجهه قبل أن يتعفن .

کریکوريس اغطارمارتسى

« شاعريه للعامل الخلاق »

كريكوريس أغطامارتسى (القرن السادس عشر)

شاعر وناسخ ورسام منمنمات . لا نعرف عن حياته إلا القليل ، نستقى معظمه من قصائده . كان ينحدر من عائلة أردزرونى الملكية ، وكان وريث الصولجان الكاثوليکوسى . أصبح كاثوليکوسا فى عام ١٥١٢ مقره جزيرة «أغطامار» فى بحيرة «فان» فى أرمينيا التاريخية . ولكن يبدو أن وطأة المحتل وأحوال البلاد المضطربة أو جريمة التصقت به حقا أو زورا ولا ييروح بها للقاءى قد اضطرتة أن يرحل من مكان لكان ، فهناك الكثير من المخطوطات نسخها الشاعر أو أضاف المنمنمات إليها فى أديرة مختلفة . آخر معلومة عن حياته أنه كان لا يزال كاثوليکوسا فى عام ١٥٤٤ .

ألف قصائد دينية - «كانتس» - بلغة «الكرابار» ، أما قصائده الدنيوية (عن الربيع ، والوردة والبلبل ، وفلسفة الحياة ، وفى شكل رسائل موجهة إلى أحبائه له) فهى باللغة العامية ، تجد فيها أحيانا الكثير من الفاظ أجنبية ، خاصة الفارسية .

أسلوبه البسيط شكلا يكمن فيه الإبهام أحيانا . فهل ذلك الإبهام مقصود أم غير مقصود؟

من الكاثوليكيوس كريكوريس

ها أنا أتقدمُ بعتابُ المحبِّ إليك
ليتكَ تلتفتُ إليَّ وتعيِّرُنِي سَمْعَكَ
ليتكَ لا تهملُ أمرَ خَادِمِكَ
كى أكشفَ لك سرَّ قَلْبِي .

تهديني مثلَ المعلمِ
تقودني أنا الأحمقُ إلى الحكمةِ
تجمعُ شتاتِي أنا المبددُ
تضمني إلي جنابك .

لو أبعدتني عنكَ
ونسيتني ، نسيتَ عبدك
أشحتَ بوجهك عني
فلماذا إذن أبقى حيًّا؟

أحترقُ أنا عطشاً
فى الليل حتى الصباح
أخشى أن أموتَ
بعيداً عنكَ وعن الأنظار .

أجرى متدفقاً كالماء
لا أتوقف في مكان
تائه كالغريب
آه لو تعرف ، حياتي صارت حراماً .

أنت فخر الإخوة
تواسى الجميع
فلماذا أهملتني
لأعذب على الدوام ؟

مريرة حياتي وصعبة
أنتحبُ بلا توقف
تطعتني الذنوب
مصابٌ بعللٍ لا ترحم .

جرحني بالسيف البتار
وشهرَّ بي ظالم لا قلب له
أتأمل في وصمتي
وقد اعتلت روعي .

أتوسلُ إليكم يا أصدقائي
أن تطلبوا لي المغفرة
فإن ذنوبي كثيرة
ولا أعرفُ مصيري .

أغنية لربيع أغطامار

ها هو الربيعُ قد فتَّحَ الأزهارَ في البستان
هذا الفصلُ العذبُ يدفعُ البلايلَ والحمايمَ
إلى التَّغنى بالحُبِّ فوق الشجيرة الحمراء
وهي ترتدى الأوراقَ الحمراء والخضراء .
متش أنا سكرانُ
بالشمس في الصباح
وبالأحلام في الليل .

أيتها الشمسُ أيها القمرُ يا نجمَ الصباح
أيتها الشمسُ الساطعةُ المكتملةُ الضياء
أنت يا قوَّةُ جوهرةٍ ثمينة
زهرةٌ أرجوانيةٌ مكسوةٌ بالبنفسج .
متش أنا سكرانُ
بالشمس في الصباح
وبالأحلام في الليل .

أيها اللوزُ ويا زهرَ السوسن
أنت بحيرة خضراء وسط السوق
لا مدينة خوطان ولا بلاد الصين
بل حتى ولا خراسان تساوى رؤيتك .
متش أنا سكرانُ
بالشمس في الصباح
وبالأحلام في الليل .

أصابعُ الشَّمْعِ، رائحةُ البِلْسَامِيَّةِ
أنتِ لوزٌ وسُكَّرٌ، علبَةُ البَخُورِ العَطِرِ
تفاحةٌ حمراءُ أنتِ بينَ الأوراقِ
بستانٌ فاكهةٌ مزهرٌ وندىٌ في الشمسِ .
متشٍّ أنا سُكَّرَانُ
بالشمسِ في الصباحِ
وبالأحلامِ في الليلِ .

أنتِ، لؤلؤةٌ نقيةٌ لا تقدرُ بَشَمْنِ
صينيةٌ ذهبيةٌ مرصعةٌ بالجواهرِ
زهرةٌ النيلوفرُ، لونُ الريحانِ
مرسينٌ وبلساميتهُ والسوسنُ الرقيقُ أنتِ .
متشٍّ أنا سُكَّرَانُ
بالشمسِ في الصباحِ
وبالأحلامِ في الليلِ .

أنتِ زهرةٌ ملأتِ البستانَ
زنبُلٌ ساطعٌ في الفردوسِ
كواكبٌ زحلٌ ومشتريٌ ونجمُ الصباحِ
والزهرةُ التي تضيءُ القمرَ وضوءه أنتِ .
متشٍّ أنا سُكَّرَانُ
بالشمسِ في الصباحِ
وبالأحلامِ في الليلِ .

اللبان المر، بخور من الصبارة
السكر العذب الفاتح للشهية
شجرة خضراء مثقلة بالثمار
فرع نخلة تكتسى براعم الزهور .
متش أنا سكرانُ
بالشمس في الصباح
وبالأحلام في الليل .

ليغمركم الخير من كل مكان
وأنا أظللکم بعلامة الصليب المقدس
لتكن اليد اليمنى الأبوية حامية لكم
ولتنجيكم من أخطار الشر .
متش أنا سكرانُ
بالشمس في الصباح
وبالأحلام في الليل .

أغنية عن صاحب الدار وبستان الكرم الجديدين وعن البكاء

مع مطلع نور كل صباح
يقول عزرائيلُ لروحي :
« هيا : تعال أخرج من بستان الكرم » .
« كرمي » الذي غرسته بالأمس فقط .

كم حملت من أحجار الجبال
وشوك الوديان
وأقمت حول كرمي الأسوار
ثم يقال : « هيا : تعال أخرج من الكرم » .
كيف بالله أخرج من كرمي ؟
ثمة أشواكُ سامةٌ على الأسوار .

جلبت من الجبال مياهاً
حفرت ينبوعاً في كرمي
ولم أشرب بعدُ من مائي
ثم يقال : « هيا : تعال أخرج من الكرم » .

غرسْتُ فسائلَ الكرم في بستانِي
كم رويتُ هذه الفسائل
ولم أكل بعد من ثمارها
ثم يقال : « هيا : تعال أخرج من الكرم » .

صنعت معصرةً في كَرْمِي
ودفنتُ خاوية النبيذ
ولم أشربَ بعدُ من نبيذِي .
ثم يقال : «هيا : تعالَ أخرج من الكَرْمِ» .

بنيت داراً وسطَ الكروم
زيتها بنقوش من ذهب
ولم أتمتعَ بعدُ بالذي شيدته .
ثم يقال : «هيا : تعالَ أخرج من الكَرْمِ» .

غرسْتُ ورداً في حديقتي
ورداً أحمر وأبيض
ولم أستنشقَ بعدَ عطور زهوري
ثم يقال : «هيا : تعالَ أخرج من الكَرْمِ» .

أتى عزرائيل ليأخذ رُوحِي
إنعقد لسانِي من الهول
وأظلمت من كثرة البكاء عيناِي
وأسفاه . . للعمر القصير
ثم يقال : «هيا : تعالَ أخرج من الكَرْمِ» .

لقد نزعوا رُوحِي من جسدي
وأخرجوني من كَرْمِي
إخراجي من ديارِي قتلٌ لي
ديارِي التي ما تزالُ جديدةً .

ما تزالُ الفأسُ خضراءَ في كُرومي
تَفْتَحُ الكرومُ عن براعمها
يبدو العنبُ ألواناً في كُرومي
يقال لي : «هيا : تعالِ أخرج من الكرم».

يغردُ البلبلُ في كُرومي
من الفجرِ إلى الصباحِ .
والندى يسقط على كُرومي
مع مطلعِ نورِ كلِّ صباحِ .

من الكاثوليكيوس كريكوريس

تبدو أنها رسالة إلى معلمه كريكور رابوني (ويعنى المعلم) ، فهناك قصيدة أخرى عنوانها «أغنية خلوة» لها بداية مماثلة : «من الألف إلى الياء أشكو منك» تتضمن إسم المعلم . أما فى أول سطر من البيت الثانى من هذه القصيدة فيستخدم الشاعر كلمة مستقاه من رابوني وترجمتها «مثل المعلم» . وهناك تعبيرات كثيرة مثل «أنت فخر الإخوة، تواسى الجميع» إلخ تؤكد ذلك . وفى القصيدة إشارة إلى «مشهر ظالم» ، فهل تستدل من كلمة «المشهر» أن ادعاءاته (ولا نعرف من القصيدة ما هى) ليست حقيقية؟ فإن كان كذلك ، لماذا يكمل الشاعر ويكتب : «أتأمل فى وصمتى وقد اعتلت روى»؟ وهناك فى القصيدة تعبيرات قد نجد لها فى شعر عاطفى يتوجه به المحب إلى الحبيبة ، مثل «أكشف لك سر قلبى» و «أحترق أنا عطشا ، فى الليل حتى الصباح» . فهل يمكن الاستنتاج أن القصيدة موجهة - بطريقة مستترة - إلى امرأة يحبها الشاعر؟ أو أن الشاعر يوجه كلامه إلى معلمه أن ينقذه من ذلك الحب ويرجع الشاعر الأحق إلى الحكمة؟ ولكن مشاعر الحب الجياشة تجبره أن يستخدم تعبيرات عاطفية؟ وهل الشاعر «لا يتوقف فى أى مكان، تائه كالغريب» ، لأنه منبوذ من الناس ومن معلمه؟ أسئلة كثيرة تولدها القصيدة ، ولا تعطينا إجابات ، ولا نستطيع أن نعرف إن كان الشاعر يقصد ذلك أم لا . ولكن الشئ المؤكد أن القصيدة وليدة تجربة حقيقية ومأزق حقيقى لا يجد الشاعر منه مخرجا إلا أن يسجله فى قصيدة .

أغنية لرئيس أعظامار

الشاعر يتحدث عن الإستمتاع بالطبيعة فى الصباح ورؤيتها مرة أخرى متغيرة فى أحلام الليل . الشاعر سكران متشئ بعالم حقيقى أصبح كالحلم تحت تأثير الشمس وبأحلام تثير المشاعر مثل واقع ملموس . وهذا التداخل بين الواقع والحلم يعطى الشاعر الرخصة فى أن يصف جمال الطبيعة فى الربيع بواقعية أحيانا وبتشبيهات مجازية أحيانا أخرى . وهذا الإستمتاع بالحياة يباركه الدين ، كما يؤكد فى آخر قصيدته الحسية الشاعر الذى هو كبير رجال الدين أيضا .

أغنية عن صاحب الدار وبستان الكرم الجديدين وعن البكاء

لا يريد الشاعر أن يموت إلا بعد أن يستمتع بكل ثمار أعماله . ولكنه بعد أن يكمل أعماله ويرى النتيجة ، يريد أن يستمتع بها إلى الأبد وألا يموت أبداً . الموت لا يمكن تجنبه طبعاً ، ويذكر الشاعر أنهم «نزعوا روى من جسدى وأخرجونى من كرمى» ، ولكنه مع ذلك يستكمل القصيدة كأنه لم يميت ولم يخرج ، فالكرم الذى غرسه بيديه أجمل وأقوى من أن يستطيعوا نزعها من روى . والبيت الأخير تسجيل لاستمرارية الكرم (وهنا أيضا ، كما فى باقى القصيدة ، يؤكد الشاعر أن الكرم كرمه) ، مع عدم معرفتنا إذا كان الشاعر لا زال موجودا فيه أم لا .

هوقانیس طلجورانتسی

«شاعر تخلص منه «داء الهمز»

هوفانيس طلجورانتسى (١٤٤٠ ؟ - ١٥٢٥)

ولد فى مدينة «طلجوران» القريب من قيليقيا.

فى ١٤٨٩ أصبح كاثوليكوس «سيس» عاصمة قيليقيا.

له قصائد عاطفية مكتوبة باللغة العامية والأساليب الشعبية، يصف فيها قوة الحب الذى يستطيع أن يخرج الراهب من رهبانيته. أما قصائده الدينية فغالييتها مكتوبة بـ«الكرأپار»، وهى إما إقرارات إيمانية أو وصف لخلق العالم. وطلجورانتسى له قصص شعرية عن كريكور ناريجاتسى يقدم فيها معجزاته، وعن قطع رأس يوحنا المعمدان، وعن القائد الأرمنى القيليقى «ليباريد»، إلخ. أما شاغله الرئيسى فى قصائده التأملية فهو الموت. وهو فى قصائده العاطفية لا يحتفى وراء الإدعاء برمزياتها.

لا تقتليني بالحسب

ورد الربيع أنت، بل أنت بستان
عيناك بحار تهول وتسكر
حضنك فردوس حديقة فاكهة
أنت الحكم والخصم

فاقض بيني وبينك بالعدل.

لا تقتلني بالحب «يا جلاد أفندي».

دهاؤك أشد من الصليب
يا ترى هل خلقت من النار

أم من التراب

هل أنت جنية لها وجه إنسية؟
عليل أنا وسوف أشفى

لو جلست إلى يميني

يا ذات العنق الذي يشع نوراً

ويا من لك وجنات كالسنابل

كم أدعو ألا يصيبك مكروه

تبقين مثل غصن أخضر.

لا تقتلني بالحب «يا جلاد أفندي».

أنتى لى مقاومة الحب

وأول الآباء آدم

بسيبه خرج من جنة عدن

كلما تذكرت أعمال داود

ارتعشت كنبته

سليمانُ في الحداد وأنا معه أبكى
كيف أحكى قصة «فهراد وشيرين» ؟
لا تقتلنى بالحب «يا جلاد أفندى» .

الحب يتزع الحياء عن وجه الراهب
يخرج القسيس والشماس من رتبتهما
الحب يطيحُ بالعقل من الرأس
يدس به فى الظلام
لا تقتلنى بالحب «يا جلاد أفندى» .

أيتها الصورةُ الحيةُ يا زينة الدنيا
يا يوسفُ الجميلُ الذى لا شبيه له
مثل سمكة فى بحر «الحب»

تصطادها السنارة فجأة
بم تنصحين؟ أيتها الوردة التى لا تذبل أبداً .
فما زال واجباً علىَّ أن أثنى عليك .
لا تقتلنى بالحب «يا جلاد أفندى» .

يا عسلُ يا زُبْدَةَ يا لوزُ طرى
ألفُ شوكة تدخلُ عينَ الذى ينظرُ إليك بغدْرٍ
يا قوامَ السرو

يا ذاتَ الذقنِ البيضاء

حواجبٌ مقوسةٌ

وقوس مشدودة .

لا تقتلنى بالحب «يا جلاد أفندى» .

يا مدينة جميلة يا قلعة قوية منيعة
يا باقة بنفسج يا ورقة ورد حمراء
التهمت أكباد الكثيرين من البشر
كلما امتدحتك

أزددت قوة أيتها القلعة .
لا تقتلني بالحب «يا جلاد أفندى» .

أتيتُ إليك كفراشة تنجذب إلى النار .
لتحترق وتصبح جُمرَةً
عندما رأيتك يا شبيهة الشمس
روَّغتُ وما زلتُ أرتعدُ .
لا تقتلني بالحب «يا جلاد أفندى» .

من الذي صورَّكَ وأظهركَ للناسُ
يا حجراً من العقيق الأحمر يا يا قوَّة
ملكة أنت وسلطانة
لا تلوميني إذا أحببتك
يا باقة الزهر .

لا تقتلني بالحب «يا جلاد أفندى» .

وجهك الشمسُ

جبهتك الزهرة

حنجرتك تفاحة

ثدياك شمامتان

كل ما فى الجنة

هو حاضر بين أحضانك

النشوةُ قريبة منى فلماذا أرحل إلى مصر؟

لا تقتلنى بالحـب «يا جـلاد أفندى» .

قبلة من فمك تساوى مدينة يرزنجار

تساوى مُلكَ الحبشة واليمن والهند

ضفيرتاك تعدلان الصين وبلاد خوطان

وبلغـر واسطنبول ويزدان المزدهرة .

لا تقتلنى بالحـب «يا جـلاد أفندى» .

بِمَ تَتَفَوَّهَ يا طـلجـور انتسى المخبول

عقلك لا يزن جناح بعوضة

ينهض من كلماتك ألفُ شيطان

لا يتركـون للمرء طريقا للخلاص

بحبك هذا يَسْوَدُ ألفُ وَجَه

بِمَ تَتَفَوَّهَ يا طـلجـور انتسى المخبول؟

أه من تذكرك أيها الموت

كلماً تذكرُك أيها الموتُ
ارتعدتُ وأصابني الرعب
لا يوجد ما هو أمرٌ منك
لأنك تجمع مرارة كل الأشياء .

مرارة كل شيء .
هل تشبه نفسك؟
إن جهنم التي هي أشد مرارة منك
تكتسب منك مرارتها .

تذكرك «سليمان»
وتحسّر قائلاً : «وأسفاه»
احتقر الحكمة .
ماذا تُجدي الحكمة؟

هاأنذا أموتُ مثل جاهل مُعدم
جئتُ إلى هذا العالم بريئاً
وأرحل عنه وقد اسودَّ
وجهي من الذنوب .

قال الملكُ سليمان :
«لا تقل إنني ملكُ»
لدي الكثيرُ من المال والكنوزُ
ومليئةُ خزائني بالذهب .

عبيثاً تكثر أيها المكدود
لا تدري لمن تجمع مالك
أخذت الدنيا بين أحضانك
حفرت لنفسك جحيماً عميقاً.

أيها الموت هل تحمل ضغينة لابن آدم
فتصب عليه لعنتك
أم أنك عقاب ذنوبه؟
وثمرة أنت للعدم؟

لا تبالى بالنبى موسى
ولا تخجل حتى من داود
تقبض روح إبراهيم الأب
وتفنى إسحق على الأرض.

تسقط الملك «درتاض» عن عرشه
ولا تأبه بالشاعر «جوسدانئين»
ولو تصدّى لك ألف فارس
ما طرقت لك عين.

لو لبس الفارس ستة دروع
فإنك تخترقها بسهمك
وتأخذه لتلقى به فى السجن
ولا تترك حجراً إلا حطمته أمام بابه.

أَنْتَ نَسْرٌ . تَطِيرُ بِسُرْعَةٍ
نَاشِرًا جَنَاحِيكَ الْعَرِيشِينَ
وَالدُّنْيَا تَحْتَكَ مِثْلَ وَلِيدٍ
تَلْفُهُ عَلَى طَرَفِ جَنَاحِكَ .

لَيْتَ الَّذِي تُصَلِّيهِ بِسِيلِ نَارِكَ
تَجِدُهُ مُحَاطًا بِأَعْمَالِهِ الطَّيِّبَةِ
نَدِيًّا بِالْخَيْرِ عِنْدَمَا
تَأْتِي لِتَقْبِضَ رُوحَهُ .

هُوَ قَانِيسٌ طَلَجُورَانْتَسَى
عَبَثًا مَا تَقُولُ وَهَبَاءُ نُصْحِكَ لِلْآخِرِينَ
أَكْمَلْتَ عَامَكَ السَّبْعِينَ
وَأَنْتَهَيْتَ إِلَى بَابِ الْفَنَاءِ .

أغنية حسب

لا أقدرُ على مقاومة حُبِّك
قدّمتُ لى معروفاً . إتنى أموت
هاتى معك خشبةً ذهبية
واحفرى لى قبراً .

دعيتهم يحرقونى بنار الهشيم
حتى يزمجروا لهيبُ قلبى
يسقطُ كثير من الناس فى النار
فالجافُ يحترقُ ومعه «الأخضر» .

دعيتهم يغسلونى بالنبيذ
ويحضروا لى قساً
يلفوننى بأوراق الأشجار الخضراء
ثم يدفنوننى فى البستان .

أيتها اللصةُ القاتلةُ الجلادُ إذا قورن بك
ليس إلا تلميذاً فى مدرسة التعذيب
ألقيت بى فى زنزانة الحب
وبابك يفضى بى إلى «المذبح» .

أحرقت قلبى سحقته
وجعلت منه كُحلاً لعينيك
ثم عدت وسفكت دمتى
وجعلت منه حناءاً لقدميك .

ارجمونى بالتفاح
لقد طعنتى اللسانُ العذب
جعلتنى مخبولاً بنبيك الحلو
صرتُ سجين حُضنك .

حلمتُ الليلةَ أنهم مزقونى إرباً إرباً
تلعقُ الوحوشُ دُمى وتنهشُ الطيورُ لحمى
فوقى أنياب الأسد، دُمى يفيضُ مثل الماءِ
من عطشِ فليأتِ ليشربَ من دُمى حتى الارتواء .

حتى أقدامُ الشجعان تخورُ فى التراب
ليس لى سوى روحٍ واحدةٍ افتديك بها
كفاك، إنك تشوين كبدى
دعى دُمى بصيرُ نبذاً .

سقط رأسى من السحابِ
فوق جبالِ قلبى
أحاطتِ المرارةُ قلبى بالضباب
ودموع دُمى تتلألأ .

كم طعمنا من مائدة واحدة
وشربنا من كأسٍ وأخدة
نهضنا معاً، وجلسنا معاً
آه أين منا الآن ذلك الزمان؟

أين عهدك؟ أين قَسَمُكَ الذي أَشْهَدْنَا عليه الله؟
تباعِدْنَا ، عَذرنا أن فرقنا سيء الطوية
فليجز الله الشريرَ على شره
حتى يهلكَ بما فَعَلْتَ يداه .

وليجعل الله مخرجاً لحبي
طريقاً تزهر فيه الأشجارُ وتخضر
فتنبت شجرةٌ قلبي
وعليها يُغنى العصفورُ ويزقزق .

بالصبر سوف يتمُّ الأمرُ يا هوفانيس المخبول .
سوف يحين الوقت وتجيئُ هي راضيةٌ إلى من يُقبِّلُها من بعيد .

لا تقتليني بالحب

الحب يدفع الشاعر إلى وصف المحبوبة بسيل من التشبهات . أما الحبيبة ، فهي بجمالها تؤجج هذا الحب ، ولكنها تصد عنه أيضا . وبهذا تعذب الشاعر . وبهذا تنصب نفسها جلادة للشاعر سلاحها حب الشاعر نحوها ، وهي تسن هذا السلاح برفضها لحيه . وهذا الإمتاع هو الذى يدفع الشاعر أن يكثر من المديح لها . وهي بذلك تصبح أكثر قوة وأكثر متاعة . حلقة لا فكك منها . والشاعر يعلم هذا ، ولكنه يواصل المديح . فلا فكك من الحب . وكان هناك اتفاقا بين الحبيب والمحبوبة أن ترفضه المحبوبة لكي يكتب الشاعر قصيدته . كل هذا بشئ من المبالغة الساخرة من جانب الشاعر تدل عليها تعبير «يا جلاد أفندى» . فنرى تهكم الشاعر بالموقف الراض للـمحبوبة وكأنه لن يدوم ، أو أن سيطرتها العاطفية عليه ليست مطلقة ، وأنه يستطيع أن يقابلها بالمزاح .

وهذه المبالغة المقصودة نجدها أيضاً فى نهاية القصيدة ، حيث يعلق الشاعر على القصيدة ويقول إن كلامه «ينهض ألف شيطان» ، ولكنه أيضاً يبقى على هذا الكلام المنافي للآداب ، يبقى على قصيدته . فالقصيدة أهم من الحبيبة وتعلو على كل اتهامات الفسق الموجهة إليه .

أه من تذكر أيها الصوت

كلمات الشاعر التى يستهل بها القصيدة - «كلما تذكرتك أيها الموت ، أرتعدت وأصابنى الرعب» - قد تبدو مبالغاً فيها ومجازية ، وقد يعتقذ القارئ أن الموت بالنسبة للشاعر ليس إلا شعوراً فلسفياً أو مادة للتأمل . ولكن عندما نأتى إلى نهاية القصيدة ويفصح لنا الشاعر أنه قد أكمل عامه السبعين ، نعرف أن الموت قد أوشك أن ينال منه ، فنعيد قراءة القصيدة كترجمة لتجربة واقعية .

خاتشادور جيتشاريتسى

«إنسان توج حياته بالحكمة، شاعر لا يدخل بحكمته على الإنسان»

خاتشادور جيتشاريتسى (١٢٦٠ - ١٣٣١)

كان راهبا فى دير «جيتشاريس» فى منطقة تسمى الآن «دزاغجاتسور» فى أرمينيا. هذا الدير
ثان معروف فى القرون الوسطى كمركز ثقيفى، وربما كان جيتشاريتسى كبير المعلمين هناك.

كان محباً للأساطير والميثولوجيا القديمة، ملماً بالثقافة والتاريخ الهيلينى. إقتبس وأضاف إلى
تاريخ ألكساندر (إسكندر الأكبر) لكاليستينس الزائف. كتب له مقدمة وخاتمة، وأيضاً
قافيات لبعض أجزاء القصة، باللغة العامية ويتعبير سهل. عاش الشاعر فى زمن هجمات
لغول، فكان يحلم بقائد يقود أرمينيا إلى الاستقلال وكان الأسكندر الأكبر لا يزال فى ذاكرة
شعوب كفاتح فى قدرات خارقة، ويشير الشاعر فى مقدمته إلى أن تلك القصة «مثال يحتذى به
كل الأمراء والملوك»، لأنه يرى فى الاسكندر فضائل كثيرة من عدل وعلم وجسارة. ويسعى
لشاعر أن يوفق هذا البطل الوثنى مع المسيحية، فيرسم تشابهات بين شخصيتى الأسكندر
المسيح.

وقد نظم الشعر بعدد من الأشكال: «فوغب»، «داغ»، «كاتس».

يكتب بلغة تختلط فيها تعبيرات من «الكرابار» باللغة العامية بدرجات متفاوت من قصيدة إلى
خرى.

وفى خاتشادور جيتشاريتسى نجد الشاعر الإنسان الذى مر بتجارب كثيرة، تلقى الأذى من
لآخرين أحياناً، وكان هو المؤذى للآخرين أحياناً أخرى، ويستخلص من تجربة حياته حكمة،
وجهها إلى نفسه، كما فى قصيدة «جئت من عناصر الأرض الأربعة»، وإلى الآخرين كما فى
قصيدة «نصيحة روحية».

جنت من عناصر الأرض الأربعة

تشكلتُ من عناصر الأرض الأربعة
أنا الإنسان خلقت من ترابٍ
وأضيت حياتي في الظلام
وبكيت طويلاً ونُصحتُ كثيراً.

أشعلتُ النارَ في كثيرين
وأحرقتني نارُ الكثيرين
واعتللت، حتى لم أجد
لألامي شفاءً.

كنت روحاً نورانيةً
وأسقطت نفسي في الظلمات
كنت مرغوباً من الكثيرين
ثم انسقت إلى موقفٍ يرثى له.

كنت ينبوعاً حلواً عذباً
ثم ألقيت بروحي في أوحال الآثام
كنت نجماً يسطع في السماء
واخترت أن أبقى في ظلمات لا تنقشع أبداً.

يا خاتشادور، أفق من نومك
لقد حان وقتُ الندم
إن هذه الحياة جليدٌ
متى يجئه الربيعُ يذب.

الحياة حلمٌ باهظُ الثمن
تأخذك لتحرقك بالنار
فاستغفر ربك
وأفّق من نومك أيها البائس .

نصيحة روحية

يا إخوتي : هذى نصيحة منى
لا تناموا طويلاً وأفيقوا
وظلّوا يقظين
كم نحن قريبون من الموت .

الحياة حلمٌ
يستغرق المرءُ فى نوم هنىءٍ
وفى حلمه يعثر على
كنوز لا حصر لها .

ويطير قلبه من الفرح
يسعدُ بالكثر يحرص عليه
وهو واثق أشدّ الثقة
بأنه سيصيرُ أميراً ذا قصر مُنيف .

ثم يستيقظُ من نومه
فيرى أن الكثر كان وهماً
وعندئذ تعتريه الخيبةُ
ويسخر كثيراً من نفسه .

وحين يجرى أمرُ الله
ويأتى ملكُ الموت لقبض روحه
ولا يُعطى حتى برهه
لرؤية أبنائه الأحياء الصبوحين .

تعتصر الحسرة عينيه
وهو يتوق لرؤية أحبائه
يبحث عن حيلة
فلا يجدُ سبيلاً إلى الخلاص .

عندئذ يتنهَّد قلبه
ينادي أمَّ أولاده
وحين تردُّ نداءه
يقولُ لها وهو يغيبُ عن وعيه .

«أنا نصفُ جسدك
وها أنذا أدخلُ الترابُ
يا أطفالي ، أنا والدكم
أمضي ولا أعود ثانية إلى الدار» .

الآن أحسنوا لأنفسكم
إكرهوا الشر وابقوا دائماً
مع الخير أينما ذهب
كي لا تكون النارُ نصيبكم .

اجعلوا لأنفسكم سمعةً طيبةً
فالموتُ في الحقيقة
أقربُ إلى ابن آدمَ
من طرفة عينٍ ..

جنت من عناصر الأرض الأربعة

قدر الإنسان أن يكون مكوناً من أربعة عناصر (النار، الهواء، الماء، التراب) تنسجم وتتعارض، تنتج عنها نزعات متضاربة تمزق وجدان الإنسان. هذه فكرة كانت شائعة في القرون الوسطى ترجع إلى أيام الوثنية. والشاعر يقدم لنا حياته الضالة مستمداً صوره الشعرية من تلك العناصر. فمثلاً يقارن نفسه بـ «ينبوع العذب» (عنصر المياه) عندما كان طاهراً، ثم «ألقى بروحه في أوحال الآثام» (والوحد خلط المياه والتراب حيث التراب هو العنصر الطاغى في جسد الإنسان ويرمز إلى الرغبات الدنيوية). ولكن الإنسان له أيضاً وعى يعرف به طبيعته، ويرتفع عنها بإرادته. والخوف من العقاب، أو من «الحرق بالنار»، هو الذى يفيق الإنسان من غيبوبته. وهذا العقاب عادل، فقد اعترف الشاعر أنه كان قد «أشعل النار في كثيرين». كما أن دعوة «الإفاقة من النوم»، مع أنها موجهة من الشاعر لنفسه، هي تحذير لكل الناس، لأن الشاعر كان قد ذكر أيضاً «وأحرقتنى نار الكثيرين». وفي القصيدة صورة شعرية مدلولها عكس المؤلف: «إن هذه الحياة جليد، متى يجئه الربيع يذوب». فالمدلول المؤلف للربيع هو مولد الحياة من جديد، ولكن الشاعر يقيم صورة تدل على نهاية الحياة. الشاعر يصدم قارئ القصيدة بهذه الصورة ليفيق هو أيضاً من غيبوبته.

نصيحة روحية

أى نصيحة لا تجدى إلا إذا كانت نابعة من تجربة عامة يمر بها كل إنسان، أو إذا أحس القارئ أنه قد يجد نفسه فى موقف مماثل لتلك التى يقدمها الشاعر فى قصيدته. الأولى هى الحلم الشائع والتى يكتشف فيها الإنسان كترأ «ثم يستيقظ من نومه فيرى أن الكثر كان وهما». ولأن القارئ، مثل كل الناس، رأى ذلك الحلم، تصله رسالة الشاعر أن الحياة الدنيا، مهما تكن مباهاجها، وهم كبير، وأن الإنسان يجب أن يفكر فى الحياة الأخرى الخالدة. أما الثانية فهى موقف درامى مأسوى (يقدمها الشاعر بطريقة ميلودرامية مؤثرة)، عن رب عائلة يأتية الموت فجأة فلا تعذبه فكرة الموت بقدر ما يعذبه فراقه المحتوم لأولاده وزوجته. والشاعر يجعل هذا الرجل التعس يقدم النصيحة إلى أطفاله، التى تكتسب مصداقية فنية بسبب الموقف الدرامى. ولأن القارئ يرى نفسه وقد أصابه ما أصاب ذلك الرجل التعس، يتقبل النصيحة وكأنما هو الذى يقدمها. والمثير للإهتمام حقاً أننا لا نعرف متى ينتهى كلام الرجل الذى جاءه الموت فجأة ومتى يبدأ الشاعر كلامه، وقد يكون كلام الرجل هو الذى يمتد إلى نهاية القصيدة. وهذا الإبهام يجعل النصيحة موجهة إلى الأطفال والقراء فى نفس الوقت. وهكذا فإن النصيحة «إفعلوا الخير، إجعلوا لأنفسكم سمعة طيبة» إلخ) مع أنها معروفة ومعادة تكتسب فى القصيدة قوة إقناعية لا يمكن معارضتها.

خاتشادور جيتشاريتسى هو شاعر يستخلص الحكمة من تجربة حياته، يقدمها فى شعره من خلال صور شعرية وموقف إنسانى.

جوسدانٲن یرزنجاتسی

«شاعر ییجل قدرته الشعریة»

جوسداتين يرزنجاتسى (١٢٥٠ - ١٣٣٠ هـ)

ولد وعاش فى مدينة «يرزنج» (ارزنجان) فى أرمينيا التاريخية.

لا توجد تفاصيل كثيرة عن حياته . يعتقد (من قصيدة «الرويا») أنه كان يدرس فى الدير وهو فى سن الخامسة عشرة . فهل ترك الدير مدركاً أن له موهبة الشعر؟ أم أنه أصبح راهباً وبدأ ينظم شعراً دنيوياً لا يتفق مع قيم الزهد من الحياة التى كان يجب عليه أن يتهجها؟ ومع شهرته المتزايدة تعرض الشاعر للهجوم من أناس كانوا يحسدونه بسبب موهبته الشعرية ويتهمونه بالخيل والإنحلال .

وجوسداتين يرزنجاتسى أول من مارس الشعر الدنيوى ، مع أنه يؤكد أن الشئ المحسوس الذى يقدمه ما هو إلا رمز لشئ آخر روحى .

وهو فعلاً شاعر الحب . يرى الحب فى الطبيعة : «حب هو الزهرة ، وحب الشجرة ، وحب هو أغنية الطير ، وحب هو الوردة وحب الليل ، يجلس بحب أمامها» . وتسحره المرأة الجميلة وتفقد عقله : «عندما أدركنى عطرها العذب ، أفرغتني بسرعة من عقلى ، وأحرق قلى فى لحظة ، حين أبدت لى حسنهما» . ومع كونه شاعراً حسياً ينبهنا أن نقرأه بعيون الروح لا بعيون الجسد . وموضوعات قصائده تركز حول حب المرأة وجمالها ، غزل بين الليل والوردة ، صحوة الطبيعة فى الربيع ، ألم بسبب عذابات شخصية وهموم عامة . وهو يعبر عن كل هذا بحماسة يكبحها جمال الصياغة يجتاح بها مشاعر المتلقى .

٢٢ من قصائد جوسداتين يرزنجاتسى وصلت إلينا من مخطوطة كتبت عام ١٣٣٦ فى تبريز .

كتب بلغة عامية لا تخلو من تعبيرات «الكراپار» .

الرؤيا

يضمُرُ البعضُ لى الشرِّ ويحسدُونَنى
بسببِ ما أكتبُ من كلماتٍ تظهرُ للناسِ
إنهم يقولون «أنتى له أن يكتبَ كلاماً جميلاً حلواً
وحين يقرأه لنا لا نجدُ بيتنا شبيهاً له».

إنهم بلا بصيرةٍ لا ينظرون بعيونِ الروحِ
عقولهم مخبولةٌ
يجهلون من هو واهبُ النعمةِ التى تفيضُ فى كيانى
إنما أنا إناءٌ من الترابِ ولكنى أمتلكُ كترأ بداخلى
أعبرُ عن الروحِ وهذا من فضلِ ربى.

من يضمُرُ لى الغدرَ ويغى أن يسرقَ كترى
إنما يعصى اللهَ وسوفَ يحاسبُهُ اللهُ
أما من يصغى إلى ويغى ما أقولُ
فسوفَ أمنحهُ دليلاً
يعرفُ به كيف وصلت إلى هذه النعمةِ.

عندما كنتُ غلاماً فى الخامسة عشرة من عمرى
كنت تلميذاً فى الديرِ ورأيتُ «رؤيا» فى الليلِ
رأيتُ طفلاً نورانياً يجلسُ على العرشِ مثل ملكٍ
كان يشبهُ الشمسَ الجميلةَ التى تشعُّ نوراً.

ارتعتُ من جلال مجده وقوة ضيائه
فلم أجروا أن أسأله :

من أنت يا سيدي وما اسمك؟
قيلتُ الأرض بين يديه
فور رؤيتي له

وبثلاثة إيتهاالات
انحنيتُ حتى لا مستُ الأرضَ .

قلت : «أنا عبدٌ وأنتَ ملكٌ فاغفر لي»
قلت : «أنا عليلُ الروح وأنتَ طيبى»
قلت : «إني معدمٌ وتواقٍ إلى نوالك
امنحنى نصيبى من نعمتك وليكن خلعة» .

تلطفَ بى قلبه الرحيمُ مع أننى غيرُ جديرٍ بلطفه
قام عن عرشه ووضع قدمه فوقى
داسَ على ومشى ثم عادَ إلى مكانه
عن طريق آخر .
وعندما تحققتُ أمنيته نهضت بالمراد .

قلت : «رؤيتي لكَ تماماً كرؤيتي للجنة
ارحم عبدك التافه وتجلَّ لى مراراً
إنى تبرأت من هذه الحياة الخاوية
منذ تجلَّيت لى ورأيتك
منذ قبلتنى ورسمتنى خادماً لك» .

أجابني بصوت عذب وقال : «إذهب» .
وأرعبني كلامه المهول فصحوت
تَمَنَّطْتُ بالحزام ووقفتُ أصلى
وأنا أتوسل أن تعاودني الرؤيا المقدسة .

مضت أيامٌ طويلة . وأنا أبكى في صلواتي
لأننى كنتُ مشتاقاً لهيئته البهية
وما عرفتُ الراحةَ فى الصباح
كما لم أتم الليلَ
أصبحتُ كالمجنون ولم أصغِ لأى إنسان .

لم أفكرُ أبداً علامَ تدلُّ هذه الرؤيا؟
ولم أتدبرها لأننى كنتُ ما زلتُ صبيّاً ،
ولكننى بعد سنواتٍ طويلةٍ
وبعد أن تمرستُ بالعلم والمعرفة
تأملتُ الرؤيا وفهمتُ سرّها .

فوجدتُ أننى أتحدثُ بها إلى من يريد
منى الحديث

وقد دهشتُ من استرسال حديثي
دخلتُ تجربتى بالأمل العظيم والحب
وقدّمتُ روحى مقابل التجربة
إلى أن وصلتُ إلى هذه الروح .

قَبَسْتُ حَدِيثِي مِنْ هَذَا النُّورِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى كَالْمَن
أَنَا الَّذِي بَعَيْنِي رَأْيُهُ جَالِساً عَلَى الْعَرْشِ الْمُتَعَالَى
وَعِنْدَمَا حَصُلْتُ عَلَى هَدْيِي الْكَبِيرِ مِنْ هَذَا النُّورِ
سَخَّرْتُ جَسَدِي وَرُوحِي فِي خِدْمَةِ رُؤْيِيهِ الْمُقَدَّسَةِ .

كَمْ أَنَا فَرِحَ الْيَوْمَ وَقَدْ حَقَّقْتُ غَايَتِي الْكَبِيرُ
أَنَا الَّذِي بَدُونَ شَفَاءِ أَحْتَسَى النِّيْدَ مِنَ الْقَنِيَّةِ
أَنَا تَابِعُ هَذَا الْحُبِّ وَعَقْلِي لَصِيقُ بِهِ
لَا أَبَالِي بِالْكَثِيرِينَ الَّذِينَ يَضْمُرُونَ الشَّرَّ لِي
وَيَبْغُونَ الْإِيقَاعَ بِي .

أَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَالْتَّائِهَةِ فِي مَلَكُوتِ الْفِكْرِ
أَبْدُو لِلْبَعْضِ عَاقِلًا
وَلِلْبَعْضِ الْآخِرِ أَتَبَدَّى مَجْنُونًا وَجَاهِلًا
الْبَعْضُ يَبْغِضُنِي وَيَتْرَبُّصُ بِي
وَيَرَى الْبَعْضُ أَنَّيَ أَسْتَحِقُّ
أَنْ يَرَاقَ دَمِي .

جواب جديد

بعد أن أعطيتني النصيحة «الإيمان بالروح»
ترغبُ في جوابي . نعم لقد فهمت
واليك الجواب .

لا تُعَنِّفني بسبب أفعالي
إنتي ضعيفٌ وعاجزٌ فلا تُحَمِّلني عبثاً فادحاً ثقيلاً علىَّ .

إن رُوحى تواقَّةٌ دوماً للإنصاتِ إلى كلام الحكماء
جسدى معلقٌ بالشهوات
لأنه ابن هذه الدنيا
وأنا حائرٌ بين الطهرِ والشهوة
كشمعة تحترق بالنار .

أهيم قلقاً بلا ثباتٍ ولا جدوى .

صرتُ مذبذباً بسبب أضدادى الأربعة
تشدنى النارُ إلى أعلى
ويجذبني الترابُ إلى أسفل
قليلٌ من الماء يطفى لهيبَ نارى
ولكن الريح تاتى معاندةً تؤججُ نارى من جديد .

خادمٌ أنا لإرادتين عسير أن أجعلهما يلتقيان
أه لو أننى احتضن النار دون أن يمسنى أذى
أو تحمل قدمى الجسدَ وتمشى على سطح الماء
أه لو كان يدي أن امنعَ الريحَ المسرعة من الهبوب .

نَصَحْتَنِي وَكَتَبْتَ تُقَرُّعُنِي
وَأَتَيْتَ بِالشُّهُودِ وَالْبِرَاهِينِ الْكَثِيرَةِ
لَنْ أَكُونَ جَرِيئاً وَأَخَاطِبُكَ كَأَخٍ
بَلْ يَنْبَغِي أَنْ أَضَعُ وَجْهِي عَلَى التُّرَابِ
وَلَيْدُسُهُ مِنْ يَرْغَبُ .

مع الدموع خَرَجْتُ شكاوى كثيرة من قلبي
شكوتُ لِمَنْ نَظَرَ إِلَيَّ بِحُبٍّ وَأَخَوَةٍ الْقَلْبِ ،
مَا أَشَدَّ الْأَسَى الَّذِي يُسَبِّهُ لِي النَّاسُ
تَزِينِ قَلْبِي بِالْجُرُوحِ
الَّتِي عَذَّبْتَنِي بِالْأَلَمِ الْمَرِيرِ .

شَيَّدْتُ حَوْلِي سُوراً وَأَعْلَنْتُ نَفْسِي قَلْعَةً قَوِيَّةً
وَجَاءَتْ الدُّنْيَا وَهَجَمَتْ عَلَيَّ
وَأَنَا أَعْزَلُ بِلَا سِلَاحٍ

عَارِياً وَقَفْتُ أَمَامَهُمْ
وَهُمْ يَطْعَنُونَنِي مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَلَا أَثَرَ لَطَعَنَاتِهِمْ .

النَّصِفُ يَقُولُ « إِنَّهُ مَعْتَوَةٌ مَخْبُولٌ يَقْطُرُ مَرَارَةً »
وَالنَّصِفُ الْآخَرُ يَقُولُ « يَجِبُ أَنْ نَسْفِكَ دَمَ مِثْلِ هَؤُلَاءِ »
وَأَنَا أَجِيبُهُمْ : يَا جُوسِدَانَتَيْنِ ، لَسْتُ مُلْزَمًا
بِأَنْ تَصْغِي وَتَصْذُقَ كُلَّ إِنْسَانٍ

وَتَدْخُلَ إِلَى قَلْبِهِ لِتَعْرِفَ مَا يَتَوَى .

حسب الصباح

أَفِيقُوا مِنَ الْأَحْلَامِ وَافْتَحُوا عَيُونَكُمْ
أَيُّهَا النَّائِمُونَ
سَوْفَ تَرَوْنَ فِي اللَّيْلِ مَنْ لَمْ يَنَامُوا لِحِظَةٍ
هُمْ يَدُورُونَ بِهَا نِهَآيَةً بِأَمْرِ اللَّهِ
وَعَلَى السَّمَاءِ
يُسَدِّدُونَ قَوْسًا لِإِطْلَاقِ الرِّيحِ .

صَحَوْتُ مِنْ نَوْمِي . وَقَفْتُ مُتَّبِعًا لِلْحِظَةِ
وَفِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ بَدَتْ عِلَامَاتُ الصَّبَاحِ
رَأَيْتُ الْقَمَرَ السَّاطِعَ وَكَوْكَبَةً مِنَ النُّجُومِ تَخْدُمُهُ
وَقَدْ زَيَّنَّتِ السَّمَاءُ
إِنَّهَا مَخْلُوقَاتُ الْحَكِيمِ .

بَزَغَ نَجْمٌ سَاطِعٌ أَمَامَ ضَوْءِ الزَّهْرَةِ
لَهُ ضَوْءٌ جَمِيلٌ أَقْوَى مِنْ ضَوْءِ النُّجُومِ
فَلَمَّا شَاهَدَهُ الْقَمَرُ أَعْطَى أَوْامِرَهُ لِلنُّجُومِ
فَتَوَارَتْ كُلُّهَا عَنِ الْأَنْظَارِ وَخَفَّتْ ضَوْءُهَا .

عِنْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ
كَشَفَتِ السَّمَاءُ وَجْهَهَا
وَوَضَّحَتْ غِلَامَ أَسْمِهِ « الْعَذْب »
مَنْحَ الرُّوحِ لِلْكَثِيرِينَ وَنُورًا بَاهِرًا لِلْعَيُونَ

التي بَقِيَتْ في الضوء بحب
عند ظهور الشمس .

عذبٌ هو ميلادُ الضوء
أقولُ : ليتَ للإنسانِ نصيباً
من ضوءِ الصُّبَّاحِ
وللسماءِ باباً يَنْفُتِحُ مع شروقِ الشمسِ
لإلهٍ يُنْعِمُ علينا بالخيرِ .

ينظرُ الربُّ بعطفٍ لمخلوقاته
إنه في اللحظة التي تبدو فيها علاماتُ الصُّبَّاحِ
يستمعُ إلى الصلواتِ والابتهالاتِ
لطالبي النُّعمِ والهِباتِ
التي يرتجونها في الصُّبَّاحِ .

لو أن عطرأ يُعيدُ الحياةَ عند بابِ الموتِ
لانتُشَتْ وبعُثَتْ
أرواحُ الكثيرين من تَسْمُ عطرِ الصُّبَّاحِ ،
لو أن هناك حباً خالداً يعطى الحياةَ لأرواحنا
لكنتُ قد مزجتُ حظي من الحبِّ والحياةِ
بحبِّ الصُّبَّاحِ .

ليتَ لي حظاً من الحياةِ والبهجةِ عند بابِ الجميلِ
ولو كانت لحظة حبٍّ يجودُ بها عليَّ
فلتدعُ يجودُ بها عليَّ في الصُّبَّاحِ ،

وإذا كان لا بدّ من أن تُسلمَ الروحُ
أو تقبضَ روحُ المرءِ
فسوف أَرْضَى بأن أَمْنَحَ رُوحِي
فداءً لِحَيِّيتِي .

من يُرَدُّ أن يكونَ محبّاً لابنِ القيامةِ «النور»
دعه يَطْلُبُ ذلكَ الحبَّ من الذي
بُعِثَ في الصِّباحِ
من يتبع حبه يتضاعف حبه
يذهب مشتاقاً إلى بيت الجميل
يصلُ بحبِّ الصِّباحِ .

يا ربَّ ارحمُ عبدك وأعطني حظي من الروح
الذي رَغِبَ فيه الكثيرونَ ولكنَّ القِلَّةَ هي التي
بَلَّغَتْهُ في الصِّباحِ .

أنا التافهُ الحَقِيرُ
الذي يُدْعَى جوسدانين
أتوسلُ إليك : أعطني الحبَّ
من أجلِ حبِّ الصِّباحِ .

كلمات الروح لا كلمات الجسد

اليوم أَصْبَحْتُ رِيحَ الرِّيحِ
أَتَنَفَّسُ حُبًّا فِي الْبَسَاتِينِ
ذَابَ الْجَلِيدُ وَوَلَّى الْبَرْدُ الْقَارِسُ
عِنْدَمَا شَاهَدْنَا .

يَشْفَلُنِي الْيَوْمَ أَنْ تَصْفُو نَصِيحَتِي
كَعَيْنِ مَاءٍ تَنْبَثِقُ فِي الصَّخْرِ
أَتَمْنَى إِنْ أَصْنَعَ أَشْيَاءَ جَمِيلَةً
تَبْعَثُ الرُّضَا فِي قَلْبِي .

أَصْدُرُ أَوْامِرِي إِلَى الزُّهُورِ
تَنْشُرُ أَوْرَاقَهَا بِكُلِّ الْأَلْوَانِ
الرِّيحُ لِلْجَمِيعِ
لَمْ تَعُدْ هُنَاكَ سَجُونٌ وَلَا زَنَازِينُ .

جَاءَكُمْ خَيْرُ الْخَيْرِ السَّعِيدِ
رَاحَتُ الْوَرْدَةِ وَعَادَتُ مِنْ جَدِيدِ
لَكِي تَشِيرُ الْمَنَافِسَةُ وَالْعِرَاكُ
عِنْدَمَا تَتَفَتَحُ أَمَامَنَا .

الْبَلْبَلُ يَغْرُدُ بِعَذْوِيَّةِ
نَشْوَانٍ هُوَ بِعَشْقِ الْوَرْدَةِ
يَسْفَحُ دَمَ الدَّمُوعِ مِنْ عَيْنِيهِ
وَقَدْ أَلْهَمَتْهُ الْوَرْدَةُ حُلَاوَةَ الْغَنَاءِ .

جَلَسَتْ الْوَرْدَةُ عَلَى عَرْشِ الْمَجْدِ
فَوْقَ تَخْتِ عَالٍ تُغَطِّيهِ الزَّيْنَةُ
قَلْبُهَا مَتَفَتَحٌ بِالْمُرَادِ
تَمَاماً مِثْلَ مَلَكَةٍ أَوْ سُلْطَانَةٍ .

الْيَوْمَ يَغْرُدُ الْبَلْبِلُ بِعَذْوَبَةٍ
لَأَنَّ الرِّيحَ قَدْ حَمَلَتْ إِلَيْهِ عَطْرَكَ
أَصْبَحَ خَادِماً بِمَحْضِ إِرَادَتِهِ
إِنَّهُ يَحْيَا بِكَ .

مَا أَعَذَّبَ صَوْتُكَ أَيُّهَا الْبَلْبِلُ وَأَحْلَاهُ
تَجَلُّسُ مَعْنَا وَتَشْرِ السَّكَّرِ
تُسَعِّدُ كُلَّ الْقُلُوبِ الْمَغْتَمَةِ
حِينَمَا تَرَاكَ .

الْيَوْمَ يَتَسَاوَى أَمَامَكَ
كُلُّ الْعُقَلَاءِ وَالْمُبْصَرِينَ
وَلَأَنَّكَ أَنْتَهَيْتَ إِلَى عَشْقِ الْوَرْدِ
فَاحِكٍ بِسُرْعَةٍ بِرُخِيمِ صَوْتِكَ .

لَأَنَّكَ بَكَيْتَ أَمَامَ الْوَرْدَةِ
وَاخْضَلَّتْ عَيْنَاكَ بِالدَّمِ السَّائِلِ
فَتَمَّتْ عَيُونُنَا عَلَى حُبِّكَ
وَنَحْنُ مِنْ أَجْلِكَ مُتَحَدُونَ .

لماذا أَبْقَيْتَ جَمَالَكَ التِّبَاهَ بِرِيشِهِ
الَّذِي لَهُ أَلْفَ لَوْنٍ
لماذا تُبْقِي جَمَالَكَ يَجْرَحُهُ الشُّوكُ
وَلَا تَحْيِي لِتَسْتَرِيحَ مَعَ الْآخَرِينَ .

أَعْطَانَا الْيَوْمَ نِيِذَا حُلُوءًا
فَأَنَا سَعِيدٌ بِحُبِّكَ
وَلِيَكُنْ لَنَا يَوْمٌ
لِلْمَرْحِ وَاللَّهْوِ وَالْفَرَحِ .

لَنَكُنْ سُكَّارَى بِالْحُبِّ
نَحْنُ الَّذِينَ اجْتَمَعْنَا
فَالْوَرْدَةُ مُتَوَجِّةٌ بِالْجَمَالِ
وَهِيَ الَّتِي أَمَرْتَنَا .

قُلِ الْيَوْمَ كُلُّ مَا تَرُغِبُ فِي أَنْ تَقُولَهُ
لَأَنَّهُ يَوْمُ الْفَرَحِ وَالْوَفْرِ
وَلَوْ أَنَّ الْوَرْدَةَ قَدْ فَارَقَتْكَ
فَلَمَنْ يَتَوَجَّهُ قَلْبُكَ بِالْإِعْجَابِ .

أَيَّتَهَا الْوَرْدَةُ الْمَلِيئَةُ بِالْأَلْوَانِ الْفَاتِنَةِ
أَنْتِ فَخْرُ الزُّهُورِ كُلِّهَا
لَكَ كُلُّ الْمَدِيحِ
لَأَنَّ صُورَتَكَ أَخَاذَةٌ جَدًّا .

أنت أيُّها البُلبُلُ ذو روح نقيّة
يمتلئ قلبك باللهيب والنار
لسانك ذو طَرَف حاد
تترنم به غناء لا مثيل له .

أسجدُ شكراً لله يا جوسدانتين
وتقربُ إلى الربِّ الخالق بالرضا
لأنك صرت جديراً بالوردة
واستمعت إلى صوتِ البُلبُلِ .

الرؤيا

تأخذ القصيدة شكل الوثيقة عندما يصف الشاعر حلما كان قد رآه وهو فى الخامسة عشرة من عمره . وهو الآن يفسر ذلك الحلم . والحلم عجيب ، ليس فقط ظاهريا ، حيث رأى أن ملكا قد ظهر له ووضع قدمه عليه ، بل فى المضمون . فلقد تلتطف الله وأعطاه القدرة الإبداعية ، مع أن ذلك سوف يدفعه إلى أن يترك الدير إلى العالم . أى أن ترك جوسدانيتين للخدمة الدينية واختياره للحياة الإبداعية والفن كان بإذن الله . ولكن لا يجب أن ننسى أيضا أن الفن لكى يتجلى بكل نوره يتطلب من الفنان أن يضحي بكل شئ : «قدمت روحى مقابل التجربة ، إلى أن وصلت إلى هذه الروح» .

التضحية بروح لكسب روح أسمى .

حب الصباح

الجمال يخلق الحب .

يختار الشاعر وقتا من أوقات اليوم له جمال لا يدانيه جمال أى وقت آخر . هى لحظة جميلة ولذلك تجعل كل شئ ممكنا . بل تتعالى هذه اللحظة ، بفضل جمالها ، على كل شئ آخر .

كلمات الروح لا كلمات الجسد

الجمال يخلق الفن .

البلبل يحب الوردة مأخوذا بجمالها وهى التى تلهمه «حلاوة الغناء» .

أما الشاعر فهو مبدع ومتلق فى آن واحد . فهو يستمتع بسماع صوت البلبل ويصبح «جديراً بالوردة» بكتابته للقصيدة .

هوقانیس یرزنجاتسی

«شاعر یتفهم النفس الإنسانية ويتعاطف مع كل الوجود»

هوقانيس يرزنجاتسى (١٢٣٠؟ - ١٢٩٣)

ولد فى مدينة «يرزنج» (ارزنجان) فى أرمينيا التاريخية. تعمق فى علوم زمانه، أصبح راهباً فى عام ١٢٦٨. فى السبعينيات من القرن الثالث عشر كان مشهوراً كعالم باحث وكرجل يخدم الشعب. فى عام ١٢٨٠ كتب «الحدود والقوانين» للإخوان التجار والحرفيين وكان هو الذى يدير أعمال الإخوان. وكان هوقانيس يؤسس المكتبات، ينسخ وينمّم المخطوطات، يجول فى مدن أرمينيا وقيليقيا، ويكتب ويقرأ خطابات دينية موجهة للحكام والشعب. أنهى كتاب «قواعد النحو» ما بين عامى ١٢٩١ - ١٢٩٣. مات فى دير «أجنير» فى قيليقيا. جرى برفاته إلى مدينة «يرزنج»، حيث أصبحت مقبرته مكاناً مقدساً. وكان من بين ألقابه «الذى لا يقهر»، «قديس وحكيم»، «ذو المعنى الأعلى»، «ذو فضائل الحواريين». كتب قصائد دينية وقصائد يدعو فيها الناس إلى اتباع الفضائل. كتب قصيدة طويلة عن أجرام السماء. وله قصيدة عاطفية وحيدة يصف فيها بواقعية شديدة قصة حب عنيفة بينه (وهو راهب) وبين فتاة مسلمة.

نظم شعره بأشكال مختلفة: «داغ»، «شاراجان»، «نربوغ»، «قصائد شرح علمية»، بالإضافة إلى «الهائرين»، التى فيها تتبدى قدرته الإبداعية الحقة وتفرد كشاعر.

وهوقانيس يرزنجاتسى نظم شعره بالقافية المتنوعة وكتب أيضاً الشعر غير المقفى والشعر الحر.

هايرينات

ليت الإنسان الذى يعيش مجللاً
بالحداد فى الدنيا
يتذكر ذنوبه دوماً، فيجلس باكياً طوال يومه
تصبحُ الدموعُ مطهراً،
إلى أن يبيض السواد،
ولا جاء يوم الزفاف،
دون أن يعثر على ثوب للعروس!

الدنيا بحرٌ، من نزل فيه فسوف يتل حتماً
وفى البحر ركبتُ سفينةً
أبحرت بى دون أن أدري
وها أنا دنوتُ من الشاطئ
وكم أخشى أن ترتطم سفيتى بالصخر
فيتهشم كيائها البديعُ
وتبعثر ألواحها.

مقدمكم خيرٌ يا إخواني
فمرحباً بكم في هذا المكان
محزونون كلنا في الدنيا
والجراح تملأ قلوبنا
لقد صار حديثكم دواء لنا
وكم سعدنا برؤيتكم
وكم تمنينا هذا اليوم الذي ألفَ شملنا معا .

سألقبك بالمسافر لو أنني عرفتُ طريقَ سفركُ
جنتَ إلى الدنيا وليداً
قل لي : من أين أتيتَ ؟
لقد نزلت إلى بلد غريب
دلني على أسباب بقائك ؟
ستموت وتدفن في التراب
قل لي : إلى أين ستذهب ؟

ألقبه بالإنسان الطيب
ذلك الذى يتفوه بحلو الكلام
إن الكلمات لا تقدر بثمن
حتى لو إمتلأ البيت بالأحجار الكريمة
وعندما خلق الله العالم
من التراب والماء والهواء والنار
لم يزد مثقالاً . كل شئ بقدر
ووزن الكل بميزان .

خرجت الروح من التراب ،
ولعنت الجسد الذى بقى فيه
قالت : «لقد أتينا ذنوبنا معاً أنا وأنت
فلماذا يستحى وجهى أنا فى الآخرة؟»
ورد الجسد بكلمة واحدة أفحمت الروح :
«لقد كنتُ تراباً فعدتُ إلى التراب ،
أما أنتِ فإن طموحك هو الذى جنى عليك» .

تعالوا نزل، إني الشاطئ، ونصطاد السمك
ثم نحمله إلى البيت لتتضججه على النار.
أشتكت السمكة أن قفاض قلبي بالدماء
قالت: «لو أن حياتي إنطفأت

فلتجف كل مياه الأنهار والبحار».

الدنيا بحسر

السفينة هي الشاعر أو الإنسان . وقد يكون الإنسان مرغماً على أن ينزل البحر أى يولد فى الدنيا، وهو أيضاً لا يدري إلى أين تذهب به السفينة أى لا يعرف ماذا تخبى له الأيام . ولكن مع ذلك، ومع أنه لا مفر من أن يبتل الإنسان من البحر أى يعانى الصعاب وتقلبات الدنيا، فهو لا يريد أن يصل إلى الشاطئ، لا يريد أن يصل إلى نهاية رحلته الصعبة . ففى خلال هذه الرحلة أخذ الشاعر أو الإنسان يعجب بنفسه، تُعجبه سفينة «البديعة» ، فلا يريد أن تتحطم السفينة و«تبعثر ألواحها» ، لا يريد أن ينعدم من الوجود ذلك الشئ المستقل، هو الشاعر أو الإنسان ووعيه بنفسه .

خرجت الروح من التراب

الجسد يعود إلى التراب، يرجع إلى الطبيعة، أما الروح فهي خالدة فى الآخرة . يعرف الجسد أنه سوف يعود من التراب الذى جاء منه، ليس له طموح الخلود . أما الروح التى تطمع فى الآخرة فيجب عليها أن تكون حريصة على ألا تأتى من أفعال فى الدنيا ما تندم عليه فى الآخرة .

تعالوا ننزل إلى الشاطئ

لا يفكر الإنسان فى السمكة إلا كطعام له . ولكن السمكة كائن حى مثل الإنسان تماماً . فقط هو الشاعر الذى يستطيع أن يشعر بذلك . والشاعر فى القصيدة يضع نفسه مكان السمكة، يصبح هو السمكة، فتحدث السمكة تماماً مثل إنسان يهدده القتل .

نرسیس شنورهالی

« شاعریتغنی الشعب بشعره »

نرسييس شنور هالى (١٠٩٨ - ١١٧٣)

ولد فى مقاطعة «انتسيد» لإقليم «ذويك» فى أرمينيا التاريخية . مات فى مدينة «هرومكلا» (قلعة الروم) فى قيليقيا .

كان كريكور ناريجاتسى قابعاً فى دير، أما نرسييس شنور هالى فمن موقعه كرأس للكنيسة الأرمنية (كاثولييكوس) كان يسعى إلى أن ينهض بالشعب روحياً وفكرياً . يمجّد فى أعماله النور والعلم وحب الإنسان للإنسان وحب الإنسان لوطنه ، ويمد البلاد بشبكة مدارس ومراكز علمية .

ألف ولحن الكثير من الأغاني الدينية («شاراجان» ، «داغ» ، «كانتس» ، «نرپوغ») هى من أجمل تراث الكنيسة الأرمنية وتتمتع بشعبية إستمرت ثمانية قرون ، ولا تستخدم فى الشعائر الدينية فقط ، بل ويتغنى بها الشعب فى مناسبات الفرح والحزن ، داخل البيوت وخارجها . ولنرسييس شنور هالى قصائد طويلة ، أشهرها «مأساة يتيسيا» (الرها) ، وهى تحكى قصة دفاع وسقوط المدينة فى يد المعتدى ، ويواسى فيها الشاعر أحباب الشهداء ، قائلاً «الذين فقدتموهم فى الوطن ، سوف تجدونهم فى السماء» . كتب الشاعر الأغاني الدينية والقصائد بـ«الكراپار» بعد أن بسطها لتكون مفهومة من الشعب . ومن أجل تثقيف الشعب بوسيلة ترفيحية وتعريفه بالشخصيات التاريخية وبظواهر الطبيعة ألف الفوازير ، اختار لها اللغة العامية ، وهى رباعيات مكتوبة بأسلوب شيق جذاب . وهى أولى البشائر للشعر الدنيوى .

كان مجدداً فى نظم الشعر . أبدع الكثير من الأوزان ، وكتب الكثير من قصائده بالقافية (الواحدة أو المتنوعة) وكان الشعر الأرمنى يكتب بدون قافية إلى ذلك الحين .

إتهالات

يا صباح النور
أيتها الشمس العادلة
أشرقى بضوئك علىّ

يا نبع الأب
اسكب فى روحى
الكلام الذى يطيب لك

يا كثر المغفرة
دعنى أكتشف
أسرارك المحجبة

افتح أمام المؤمن بك
باب رحمتك
واجعلنى مع الذين فى الأعلى

أيها الثالوث الأقدس
الذى يرعى الكائنات
إرحمنى أنا أيضاً

رب أعنى
أيقظنى أنا الغافى
لأكون شبيه الملائكة

الأب من الأزل
الإبن من الجوهر ذاته
الروح قدس دائما

إرحم يا رحمن
إقبلنى يا غفار
إقبلنى يا محب الإنسان

يا ملك الأمجاد
يا مانح العفو
حررنى من ذنوبى

يا جامع الخيرات
ضمنى أنا أيضاً
إلى جمع الأولياء

إليك يارب أتوسل
إليك يا محب الإنسان
أن تهب لى الشفاء

كن حياة لى أنا الميت
كن ضوء لى أنا المظلم
أذب آلامى

يا عالم الأسرار
بُح لظلامي
بالسر المضيئ

أشرق بضوء أمجادك علىَّ
أيها المولود في حضن الأب
أنا المغطى بالظلال

أيها المخلص المحي
إبعثني أنا الميت
أقمنى أنا الذي تهاويت

حصني بالإيمان
ثبتي بالأمل
أسسني بالحب

أتوسل إليك بصوتي
ويدي أتضرعُ إليك
امنحني نعم الخيرات

قوّنِي أنا المتواري
بضوء القنديل
أيها القائد الماهر

يا شعاعَ المجد
أرني الطريق
حتى أسرع إلى السماءِ

يا ابن الأب الوحيد
أدخلني غرفة
عُرسِكَ الطاهرِ

عندما تأتي بالمجد
في يوم الحساب
إذكرني يا يسوع المسيح

يا مجددَ القديم
جددني أنا أيضا
وزيني من جديد

يا منعمَ الخيرات
تجاوز عن ذنوبي
وامنحني المغفرة

أسعدني يا رب
بخلاص روحي
الذي من أجله أنا في حداد

للفلاح الخبيث
لبذرتة الخبيثة
ييس الثمار

يا مانح الخيرات
سدّد عني
ديوني الكثيرة

إمنع ماء العيني
لأذرف الدموع الحارة
كي تغسل ذنوبي

أيها الصمغ العذب
إرو ظمأ روعي
واهدني إلى النور

باسم الحب «يسوع»
بحبك ألن
قلبي المتحجر

من أجل رحمتك
من أجل مغفرتك
ابعثني من جديد

دعنى أرتوى
برؤيتك المشتهاة
يا يسوع «الإله»

أيها المعلم السماوى
ضم هذا التلميذ
إلى سرب السماوين

ندى دمك يارب
دعه يبلل روحى
وسوف يهلل شخصى

أنا الواهن من الإثم
أتوسلُ بضعفى
أن تسلكنى فى الخير

يا مخلص الكل
أسرع لتخلصنى
من محنة الخطايا

يا غافر الذنوب سامحنى
أنا الذى أتبركُ بك
لأتغنى بمجلك.

إبتهالات

أشهر أغانيه الدينية . يبدأها الشاعر بمخاطبة الشمس . وقد يكون السبب أن وقت إنشادها هو وقت شروق الشمس ، ولكنها تفصح أيضا عن حب الشاعر واستمتاعه بالنور ، النور الحقيقي كظاهرة من ظواهر الطبيعة تبعث الفرحة في الروح ، والنور المجازي (أو الرمزي) ، أى نعمة الإيمان بالله ، وهى أعظم نعم الله على الإنسان ، لا ييخل بها على أحد . وهذه القصيدة يمكن اعتبارها تنويعات على لحن واحد . يريد الشاعر - الإنسان أن يقترب إلى الله ، وهذا لن يتم إلا إذا «تجاوز الله عن ذنوبه ومنحه المغفرة» ، أى بنعمة الله عليه . فكل شئ من عند الله ، حتى «الكلام الذى يطيب له» ويريد أن يستمع إليه من الشاعر . والكلام الطيب هو تمجيده لله ، أقصى ما يمكن للإنسان أن يفعله حتى يرد به الجميل .

والقصيدة تتكون من ستة وثلاثين بيتا ، تبدأ السطور الثلاثة لكل بيت بحرف من حروف الأبجدية بالترتيب .

کریکور ناریجاتسی
« شاعر نزع إلى الله فأبدع الشعر »

كريكور ناريجاتسى (٩٥١ - ١٠٠٣)

درس فى دير «ناريج» قرب الشواطىء الجنوبية لبحيرة «فان» فى أرمينيا التاريخية، ثم أصبح راهبا فيها وأحد معلميها العظام.

لا نعرف الكثير عن حياته. تحكى الأساطير الشعبية أنه أتهم بالهرطقة. كان صوفيا كما يتجلى فى رائعته «كتاب المأسى» الذى أتمه عام ١٠٠٢ قبل وفاته بعام.

له أيضاً سلسلة من القصائد الدينية - «داغ»، «نربوغ»، «كانتس» - تتميز بتزاوج الجمال الحسى العفيف مع الجمال الروحى، وهى مكتوبة بلغة جميلة، دقيقة، معبرة.

أما «كتاب المأسى» فهو كتاب شعرى ضخمة من خمسة وتسعين فصلا، يتكون كل فصل من جزئين أو ثلاثة، حيث يبدو أن الشاعر كان يريد أن يتلى فى كل يوم جزء، على مدار السنة. والكتاب فى شكل صلوات، يوجهها الشاعر من أعماق قلبه إلى الله آملا فى التقرب إليه، ولكن الكتاب فى نفس الوقت يكشف عن معرفة جامعة بأغوار النفس البشرية. فالشاعر لا يتكلم عن نفسه، رغم استخدامه لضمير المتكلم أنا، بقدر ما يتكلم نيابة عن الإنسانية جمعاء. والشاعر يتخذ للتعبير عن الذات الإلهية موقف الإنسان الذى تقهره ذنوبه وهو يسعى مع ذلك إلى الله، يبتدع أساليب شعرية مختلفة تأثر بها كتاب وشعراء لاحقون.

و«كتاب المأسى» يحث الإنسان على أن يخاطب الله مباشرة بدون وساطة المؤسسة الدينية أو الكنسية، ويعتبر تطورا حاسما فى تاريخ الشعر الأرمينى، حيث يتفصل الشعر عن الشعائر الدينية.

والكتاب رغم طوله لا يعتمد على السرد كوسيلة لخلق وحدة العمل، بل أن التيمات الكبرى تبدى فى أشكال متنوعة ولا نهائية. والمقطوعات الثمانية المختارة هى ثمانية أجزاء من عدد يربو على ٣٦٥، المراد منها تبيان تلك الوحدة.

كتب به «كراپار» تجاوز فيها القواعد النحوية، مبدعاً الآلاف من الكلمات المركبة الجديدة وقاموس ناريجاتسى هو الأكثر ثراءً على الإطلاق فى الشعر والأدب الأرمينى.

مناجاة إلى الله من أعماق القلب

لك في الأعلى

يا من ترى الخفايا

أرفع صوت التهنيدات

ونحيب الفواجع

وصرخات القلب

ثمرة الرغبات المحرقة لعقلي المضطرب

أضعها على نار الأسى الملهب

وبمبخرة إرادتي أيها الرحمن أبعثها إليك

لتشمها وتنظر إليها

بحب يفوق حبك

للقداس المنذور لك

وسط البخور الكثيف .

تقبل كلماتي القليلة بالرّضى لا بالغضب .

دع هذه الكلمات تصعد من أعماق غرقتي

المفعمة بالشاعر

دعها تصل إليك مباشرة

هذه الأضحية الكلامية

التي أقدمها طواعية

وقد أنضجتها ضراوة

خطاياي الفادحة

وإن أمثل أمامك

مدافعاً عن قضيتي

متشفعاً بالضراعة أيها الجبارُ
فلا تجعلُ ذلك يبدُو مضجراً لك
مثل يعقوب «العاق»

الذى رفعَ يديه إلى أعلى
كما اتهمه أشعيّا
ومثل جَوْرَ بابل الذى ورد فى المزمور الثانى والسبعين
بل إقبَلْهُ رَاضِياً مرةً أخرى
مثل عطر البخور المستحب فى هيكل «شيلو»
ذلك الذى بناه داودُ مجدداً
من أجل راحة تابوت العهد
العائد من الأسرِ
رمزاً لاكتشاف

روحى المفقودة
من جديد.

مناجاة إلى الله من أعماق القلب

الندمُ الشديدُ
وإرتكابُ الآثامِ بنهمٍ وشراسةٍ
يقودان سِواءَ بسِواءٍ إلى التهلكةِ
فعلى الرّغمِ من أنهما
غريبان في طبيعتهما
ومختلفان في شكلهما
ولكن لو أننا تأملنا جوهر كل منهما
فسنكتشف أنهما يبعثان نفس الشقاء
لأن في الندمِ قدراً من التشككِ
في قوة يد الجبارِ
أما الإثمُ فيشبهُ البهيمةَ ذات الأربعِ
يقطعُ الرجاءَ فاقدًا وعيه
ولهذا فإن الشيطانَ
يُثنى على الأول ويسخر منه
ويمتص دمَ الثاني مثلَ وحشٍ له بطنٌ جهنميةٌ
ويسمنُ.

مناجاة إلى الله من أعماق القلب

لو أننا هربنا منك فإنك تُدركنا
وإذا ضعفنا تمنحنا القوة
وحين ننحرف تُعيدنا إلى الطريق القويم
إذ تُبجلك تشجعنا
لو أصاب السُّقم أجسادنا وأرواحنا فانت تشفينا
إذا لطمختنا الذنوب فإنك تطهرنا
ولو كذبتنا تهدينا إلى الحقيقة
لو انحدرنا إلى الهاوية تشد عيوننا إلى السماء
إذا آيينا أن نعود بإرادتنا فإنك ترجعنا
تأسي إذا أئمنا وتُسِرُّ حين نكون عادلين
ولو اغتربنا تفتقدنا
وحين نقترِبُ ترحبُ بنا .
لو أعطينا تتقبل وإذا أبطأنا تصبرُ علينا
إذا أنكرنا تُنعمُ علينا بالكثير
تَحْزَنُ لتفَاعُسنا
وتَسْعَدُ إذا أقْدَمنا .

مناجاة إلى الله من أعماق القلب

إذا أبصرت جندياً
أتوقع الموت
وإذا رأيت مبعوثاً
أنتظر القسوة
وإن رأيت «كاتباً»
أرتقب وثيقة الضياع
وإذا أبصرت «قانونياً»
أتوقع اللعنة
وإن رأيت إنجيلياً
أنتظر نقض التراب عن قدمه
وإذا أبصرت تقياً
أتوقع التفرع
وإن حاولت الإبحار
فسوف أغرق
وإذا جربت دواءً
فسوف يقضى على
وإذا أبصرت الخير لى
هربت متشككاً بسبب أفعالي الشريرة
إذا أبصرت يداً مرفوعةً
أنحني
وإن رأيت فزاعة صغيرة
أهتزُّ

وإن سمعتُ نائمةً صغيرةً
أرتعدُ
وإذا تلقيتُ دعوةً لوليمة
أرتعش
إن مثُلتُ أمامَكَ
أفرعُ
وإذا نُوديتُ للتحقيقِ معي
أتلعثم
وإذا حققوا معي بالحق
أفقد النطقَ .

مناجاة إلى الله من أعماق القلب

سوف يرتفعُ شرفُك بي
وَيَتَأْتِي خلاصِي منك

لو عثرت علىَّ يا أمَّ الإله
لو رحمتني أيتها المقدسة
لو خلصتني من ضياعي يا طاهرة
لو وضعتني أنا المروءُ

تحت عنايتك أيتها السعيدة
لو دفعتني إلى الأمام أنا الخجول يا شفوقة
لو تشفعت لي أنا اليائسُ دائماً
أيتها العذراء

لو قبلتني أنا المرفوضُ
أيتها المبجلة من الله
لو أبديت لي عطفك يا ماحية اللعنات

لو حولت ترددي إلى الثبات

يا راحة المتعين

لو هدأت مشاعري المضطربة يا مانحة السلام
لو هديتني أنا الضالُّ يا مجيدة
لو ناصرتني ووقفت إلى جانبي

يا قاهرة الموت

لو حلّيت مرارتي أيتها العذبة
لو هدمت سور فراقى يا هادية

لو طهرت نجاستي يا ماحقة الفساد بقدميك
لو أنقذتني أنا المحكوم بالإعدام
أيتها النورانية الحية
لو كففت صوت بكائي أيتها المبتهجة
لو شفيتني أنا المتكسر يا رحيق الحياة
لو عطفت بنظرة عليّ أنا المحطم
أيتها المنعمة بالروح
لو استقبلتني بالرحمة أيتها الوصية السماوية
مباركة أنت
من الشفاء الطاهرة
والألسنه السعيدة فحسب
ها هي قطرة من حليب عذريتك
تمطر في تمنحني الحياة.

مناجاة إلى الله من أعماق القلب

ويلٌ لي أنا الخاطيءُ فقد أغضبتُ خالقِي
ويلٌ لي أنا الهالك

لأنني نسيتُ نعمةَ الحياة
الويلٌ لي أنا المدينُ بأموالٍ لا حصرَ لها
ولا أقدرُ أن أسدّدَ دينِي

ويلٌ لي أنا حاملُ الذنوبِ الفادحةِ الأثيمةِ
تلك التي تحرّمتُني من العوْدةِ

إلى السكينةِ
ويلٌ لي أنا العاصيَ لما أمرتُ بهِ

لا أقدرُ أن أواجهَ القهَّارَ
الويلٌ لي أنا المخلوقُ من قصبَةٍ جافةِ
سريعةِ الاشتعالِ

والتي سرعان ما تَحترقُ في الجحيمِ
ويلٌ لي من هذا الذي أعلمُهُ علمَ اليقينِ

إن سهامَ اللهِ نافذةٌ
ويلٌ لي ويالي من أحمقٍ لم يعرفْ

أن كلَّ ما خفي لا بدَّ أن يظهرَ
الويلٌ لي أنا العاقِ

الذي نَسَجَ دائماً شركَ «الخطيئةِ»

الويلٌ لي اسمنتُ جسدي

ليكونَ غذاءَ للديدانِ الخالدةِ

كيف لي أن أصبرَ على سَمِّ المعذِبينِ؟

ويلٌ لى عندما أتَجَرَّعُ كأسَ المنونِ
وكيف لى أن أحتَمَلَ الخسارة إلى أبد الآبدين؟
الويل لى عندما تفارقُ رُوحى الحَقيرةُ

جسدى البالى

عندئذ كيف سأواجه الحَكمَ العدل؟
الويل لى عندما يَنفَدُ زيت مصباحى
وحين ينطفئ فإنه لن يشتعل مرة أخرى
ويلٌ لى إذا أُغلق أمامى باب العرش
الويل لى حين تَعْتَرِينِى الرهبةُ والفرعُ
من سماع صوت الكلمة المروعة
الموسومة بحكم الملك السَماوى
كلمة « لا أعرفك » .

مناجاة إلى الله من أعماق القلب

يا سيدَّ الرحمات

وينبوعَ المغفرة

ومانع الخيرات

يا ابن العلى

أيها السيدُّ المسيح

اغفرْ، إعطفْ، أحبِّ الإنسانَ

إرعَ أحوالى المؤذنة بالخطر

التفت إلى إنكسارى

أشفقْ على بؤسى

أنظر محنةَ حيرتى التى لا جدوى لها

أدركنى

أعنى على تحمل معاناتى المهلكة

تحسس كطبيب قروحي المؤلمة

أصغِ بحنوٍ إلى تنهداتى الفاجعة

إستمع إلى نحيبى الخافت

يأتى من أعماق القبر

ولتستجب أذنك السميعة لصوت الرجاء

تبتهلُ به أعضائى البالية.

ولأن بقائى على قيد الحياة

يؤكد نقائى

فلتبقِ رحمةً حبك، بدون تبديل

ولتقوُّ بالحلم ضعفى الأليم

لا تضمر الضغينة لهيتى المتواضعة

لا تُلحَ على محاسبةِ بدني الخالي من النَّفسِ
 لا تَزِدني ضرباً
 أنا المَعذبُ حتَّى الموتِ
 لا تصدِّعْ بقوتِكَ
 وعائِي الفَخَّارِيَّ الهَشَّ
 لا تغضبْ عليَّ مرةً أخرى
 فقد نلت عقابي
 وامنع عني آيةَ كارثةٍ جديدةٍ
 تهوى على كياني المحطمِ
 لا تلقِ بحجرٍ على الكلبِ الميتِ
 لا تدسْ بقوةٍ على البرغوثِ المنسحقِ
 لا تزمجرْ بقوتِكَ المهيبةِ
 فوقِ ترابِي المَهِينِ
 لا تستدعِ للمحاكمةِ رمادي المرفوضِ
 لا تحسبْ غبارِي المتلاشيَ
 ندألكَ
 ولا تُعذِّطيني المزعجَ
 خصماً لكَ
 لا تُزِلْ قَدَارَتِي العفنةِ
 بقوةِ محاربِ قاسِ
 لا تتخذْ من إحساسِي بالذنبِ
 وقوداً للجحيمِ
 وبعدَ هذا القدرِ من توبيخِ الذاتِ
 ربَّاهُ لا تلمني من جديدِ .

مناجاة إلى الله من أعماق القلب

لا أرجوه فحَسْبُ

بل إني أؤمنُ بعظمته أولاً

وليس من أجلِ نعمه فقط

أرفعُ ضراعاتي

بل من أجله هو الحىُّ الباقي

الذى منحنا ترددَ النفسِ فى الصدور

وبدونهِ لا حركة أو سير

ليس من أجلِ قوةِ الرجاءِ وحدها

أتعلق به

بل إني أقبل عليه

برباط الحب الوثيق

ليس شوقى متجهاً إلى العطايا

بل للمعطى دائماً

إني لا أبغى المجدَ

بل أرجو لثَمَ المجد

لا تحرقنى رغبةٌ فى الحياة

بل ذكرى المحيى

هى التى تكوينى دائماً

لا أتهد رغبةً فى المتع

بل شوقاً إلى من خلق روحى أنوح

لا أطلب الراحة بل أتمس وجه المريح

لا أطمعُ في وليمة الزفاف
بل أذوبُ شوقاً للقاء العريس

الذي أنتظر بثقة
أن ترفع قُوَّتَه عني
ثَقَلَ ذُنُوبِي

وأوقن يقيناً لا يقبلُ الشك
بأنني لو لجأت إلى يد القدير
فلن أصل إلى الغفران فحسب
بل إنني سوف أراه هو
أتقبل عفوهُ ورحمتهُ
وأرثُ السماء
رغم أنني مرفوض منبوذ.

لك فى الأعالى يا من ترى الخفايا

فى أول جزء فى أول فصل الشاعر بفضل «أضحيتة الكلامية» وهى إشارة إلى كتابه الذى شرع فى تأليفه ، على «القداس» الكنسى . لأنه بهذه الكلمات القليلة (مقارنة باللاتهائية الإلهية) يسعى الإنسان مباشرة إلى ربه . ولكشف طبيعة هذه الكلمات بينى تاريجاتسى صورة شعرية معقدة نرى فيها الإنسان الذى يشقى بسبب رغباته التى تقوده إلى الآثام ولكنه فى نفس الوقت يملك إرادة تحديد وتحليل تلك الآثام وإرادة الإبتهاال إلى الله ليخفف من شقائه . وهو شديد الإدراك لآثامه ، ولكنه مستعد أيضاً أن يدافع عن قضيتة كإنسان . وتقبل الله لأضحية الشاعر الكلامية تعنى اكتشاف روحه المفقودة من جديد ، وبالفعل كشف جوانب الروح الإنسانية يؤدى حتماً إلى إكتشاف تلك الروح كمنحة إلهية تسعى إلى الله .

الندم الشديد وارتكاب الآثام

قد يبدو عريباً أن الندم الشديد أيضاً يقوده إلى التهلكة . ولكن مفهوم الندم الشديد عند الشاعر هو فقدان الأمل فى الخلاص . إن الندم الشديد يأتى فجأة بعد حياة مليئة بالآثام لم يستجب فيها الإنسان إلى أى نصيحة تدعوه للرجوع إلى طريق الفضيلة ، بل ربما قام بإزدراء الذين قدموا له النصيحة .

ولذلك عندما يدرك ذلك الإنسان ، فجأة ، انحرافه الشديد ، يفقد صوابه من هول خطاياه ، ويشعر أن من المستحيل أن يتطهر من كل آثامه ، وهذا الإنسان كان من قبل مستهتراً بأوامر الله ، أما الآن فإن شدة رد فعله تمنعه من الإيمان بأن الله سوف يغفر خطاياه ، ولذلك يشير الشاعر إليه بأنه يشك فى قوة الجبار ، وهذا انتقاص من قدرة الخالق من قبل الإنسان ، وهو إثم يفوق كل آثامه ، بل أن هذا الإثم لن يغفره الله له . ولذلك فإن الشيطان الخبيث يشجع الإنسان على أن ينغمس فى الندم .

والذى يريد الشاعر أن يؤكد أن الندم الشديد يعنى فقدان القدرة على التفكير السليم ، مثلها مثل ارتكاب الآثام ، التى فيها أيضاً فقدان الوعى ، أو فقدان الإنسان لإنسانيته ليتدنى إلى مستوى الحيوانات .

لو أتا هربنا منك، فإنك تدر كنا

الإيمان بأن الله يريد خلاص الإنسان ، ويوفر للإنسان كل طرق الخلاص ، بل يعطى له الفرصة لتلو الفرصة ، ذلك لأن الله يحب الإنسان .

إذا أبصرت جندياً أتوقع الموت

تصوير لنفسية انسان يعرف أنه ارتكب جرماً ما ويخاف كشف جريمته فى أية لحظة ، بل إنه يشك كل لحظة أن أمره مفضوح للناس ، ولذلك يعيش فى حالة من التوتر المستمر ويعتقد أن أى عابر سبيل يقابله إنما هو آت من أجله . ويقدم الشاعر سلسلة من الأمثال ، يختلف توقعها من كل شخص حسب طبيعته ووظيفته . وخوفه ليس من الناس فقط ، بل إن توتره الشديد يجعله يفرغ من أتفه الأشياء . ولكن الخوف الحقيقى أن تستمر هذه الحالة إلى يوم الحساب فلا يستطيع أن يتكلم ويدافع عن نفسه .

والمهم فى هذه القصيدة ليس الجرم نفسه ، فلا يحدده الشاعر أبداً . بل أنه الإحساس بالذنب . وما دام هناك هذا الإحساس فلن تنقطع صلته مع الله . والمقطوعة إذا تحليل نفسى لإنسان يعانى من الإحساس بالذنب ، بل من عقدة الذنب ، تجعل من حياته عذاباً مستديماً .

سوف يرتفع شرفك بى

سلسلة من التوسلات والتضرعات إلى العذراء تستجيب لها هى فى نهاية القصيدة .

وناريجاتسى يشعر بهذه الاستجابة وجدانياً . ويقدمها بصورة شعرية غير مألوفة نتاج صدق وعمق مشاعره . وقد يبدو لأول وهلة أن هناك تناقضاً بين العذرية والحليب . ولكنها بالفعل أرضعت ابنها يسوع . والشاعر يختار كلمة «نمطر» ككيفية وصول قطرة الحليب إليه ليمنع أى تداع حسى . وحليب العذرية ترمز إلى الطهر . ولا تنسى أن الشاعر الراهب قد اختار العذرية أيضاً كإحدى هيئات الطهارة وإحدى السبل إليها . والعذرية ليست جسدية فقط ، بل روحية أيضاً . وعندما يشعر ناريجاتسى أن ثمة أفكاراً تدنس روحه ، فإنه يلجأ إلى مثال العذرية المطلقة . وهكذا فإن حليب العذرية «تمنح الحياة» لعذريته المهددة .

ويل لى أنا الخاطى

صور متتالية لخوف المخطئ من العقاب . وللقصيدة جزءان متداخلان ، الأول عن حياته فى الدنيا والتي لن يستطيع فيها أن يكفر عن ذنوبه الكثيرة ، والثانى عن خوفه من مصيره بعد الموت . والشاعر يذكر أنه يخاف أن يحترق فى الجحيم ، ولكن ليست هذه هى العقوبة القصوى التى يخشاها . هى تأتى كذروة القصيدة فى آخرها ، ويعبر عنها الشاعر بطريقة درامية عنيفة نهائية ، عندما يقول الله له «لا أعرفك» . فهذه الكلمة تقطع بإنعدام الصلة بين الإنسان وربه ، وهى أقصى عقوبة لإنسان شوقه الأكبر أن «يقبل على الله برباط الحب الوثيق» وأن «يراه هو» .

يا سيد الرحمات

قصيدة جريئة أيضاً، لها جزءان. الأول في صورة توسلات وتضرعات. أما الجرأة فهي في الجزء الثاني التي تبدأ كل جملتها بكلمة «لا». والجرأة ليست شكلية فقط، كأن الشاعر يأمر يسوع ألا يفعل معه هذا أو ذلك. الجرأة الحقيقية في المضمون الذي تظهره. فالشاعر يبين الفرق الشاسع اللامحدود بينه وبين «ابن العلى»، ويستتج أنه من العيث أن يحسب يسوع «غبار الشاعر المتلاشى ندا له». بل أكثر من ذلك، أن يستغل «إحساس الشاعر بالذنب» ويستخدمه كحجة لإلقائه في الجحيم.

والشاعر، كما في كل الحالات، لا يتوانى من تحليل الصلة الغريبة والمتناقضة بين الألوهية والإنسانية. ويبدو له غريباً حقاً أن الإله المطلق يهتم بمعاقبة الإنسان المحدود. ومن المؤكد أن توجيه هذا الكلام إلى المسيح وليس إلى الله له مغزاه. فالمسيح في الدين المسيحي يجمع بين الألوهية والإنسانية، هو المعجزة التي تؤكد إمكانية العلاقة بين الله والإنسان. وإذ ظلم يجرؤ الشاعر أبداً أن يخاطب الله بهذه الطريقة، فإنه يستطيع مخاطبة المسيح الإنسان. والشاعر ينهى مناجاته بتعبير له مغزاه أيضاً. فإعتراف الشاعر بأثامه في «كتاب المآسى» هو نوع من استباق لوم الله له.

إنتى أو من بعظمته أولا

ذروة الصوفية. فالإنسان مع معرفته أنه مرفوض حالياً بسبب خطاياها، يعرف أيضاً أنه سوف ينال مغفرة الله بسبب الإيمان به ووجهه له. والإنسان أيضاً، بالرغم من اعترافه بخطاياها، لا ينفى الخلاص فقط، بل يؤمن أنه سوف يرى الله.

ولذلك فإن الشاعر لا يتحدث في هذه القصيدة عن خطاياها، بل أن عذابه هو بسبب شوقه إلى الله، عذاب المحب الذي يتحرق شوقاً للقاء الحبيب.

أناشيد كورغطان من العهد الوثني

مولد فاهاكين

كانت الأرضُ والسماءُ تعانيان المخاض
وفى مخاضٍ مثله كان البحرُ الأرجوانيُّ
أما مخاضُ البحرِ،

فكان يمتد من قصبة حمراء .

ثمة دخانٌ كان يصعدُ من فُوْهَةِ القصبة .

ثمة لهيبٌ كان يصعدُ من فوهة القصبة .

وفى قلب اللهب

كان يركض فتى أشقرُ.

فتى له شعرٌ من نارٍ،

ولحيةٌ من لهبٍ .

وكانت عيناه شمسين .

قصة أرداشيس و ساتينيج

إمتطى الملكُ المقدامُ أرداشيس
حصانه الجميلُ
وقد نحي جانباً
حزامه الأحمر ذا القروطِ الذهبية
عبرَ النهرَ بسرعةٍ عاصفه
كنسرِ قوى الجناحِ
وقد ألقى حزامه الجلودى
ذا القروطِ الذهبية
رمى به حول خصر
غادة «الآلان»
لكم أوجع بشدةٍ خصر
الغادة الرقيقة
وحملها بسرعةٍ إلى جيشه.

دَعْنِي أَقْلُ لَكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ الشَّجَاعُ
«أَرْدَاشِيْس»

نعم، أنت أنتصرتَ
على الشعبِ «الآلاني» الباسل
لكن لماذا لا تأتي
وتزوج ابنك من ابنة «الآلان» الساحرة العينين
ذلك أنه ليس عدلاً
ولا يليق بقوانين البطولة
أن تختطف أبناء أبطال آخرين
وهم على قيد الحياة
لكي تجعل منهم خدماً
وتبقيهم عبيداً لديك
مخلداً العداة الأبدى
بين الشعبين الشجاعين.

نيجو غوص صارافيان

”شاعر يبدع شعره من تناقضات النفس الإنسانية“

نيجو غوص صارفيان (١٩٠٥ - ١٩٧١)

ولد فى سفينة تبحر من اسطمبول إلى فارنا .

حيث قضى طفولته فى تلك المدينة . وخلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ ، انتقل ، مع عائلته ، من مدينة إلى مدينة ، من بوخارست إلى جلاتس ، من أوديسا إلى روسطوف ونوفور سسج ، ثم ذهب بعد الحرب إلى اسطمبول وبقي فيها حتى عام ١٩٢٢ .

يعد من أهم شعراء الشتات ، وقد فضل أن يعيش فى الغربة حراً بدلاً من أن يعود إلى الوطن الأسير ، أرمينيا السوفيتية المكبل بالانظام الشمولى . وهو بذلك يعتبر الحرية وطنه الحقيقى .

وصارافيان يحفر أبدأ فى ذاته المعذبة بالمتناقضات ، التى يسلم بها ، ويسعى ، مع ذلك ، إلى أن يسمو عليها . صورهُ جديدةً جريئة ، إيقاعه يتغير مع تقلبات العقل والإحساس ، كأنه إيقاع البحر الذى ولد الشاعر فيه فظل فى الشاعر حتى ديوانه الأخير «البحر المتوسط» .

غابة فنسان

(مقاطع)

تمتد غابة «فنسان» من «مارن» إلى ما بعد «الدون»
أخذة في مجالها

الجزء الأكبر من «البحر الأسود» .

إنها تصل أحياناً إلى السماء .

تمضي أبعد من الأشواق والذكريات .

تصعد أعلى من وطن مجهول يتراعى من الحلم .

وفي أيام الأحاد والأعياد

في الصيف

تتدفق أحاسيس خضراء

كالعصارة التي تسيل من الأشجار

وقد غدت شفافة من قدسية الشروق

تأخذني إلى أقصى درجات السمو .

سفينة تتبثق من الظلام .

حيث تفيض الحشائش

ساطعة عذراء

تتكلم .

تنبض قمم الأشجار

غارقة في السكون

تمتص وتفرغ ضوءاً ما .

تنسكب الظلال .

تحلو الأرض والهواء والنبات .

وعبر فيضان الأضواء

متعددة الألوان

ومن خلال الاحمرار الدامي

للسحب الهاربة

والجريان الفارغ الحزين لسنوات عمرى

أعرف مغزى اضطرابى

أنفعل انفعالاً عذياً بالأمل

لألتقى بالصبي الذى أسكره البحر .

ولكن الغابة تمرقنى أيضا .

وكتتها قاض يأمرنى :

« قل كل الحقيقة والحقيقة وحدها » .

يدق قبلى

حائرا ومضطربا .

يُسمع صوت الخفيف

كئته همس الهول .

يتفجر ضوء من اصطدام قمم الأشجار

بالأسلاك الكهربائية

الاصطدام بين السالب والموجب

بين الطفل والرجل الراشد

بين المثقف والعامل

بين الغربة والشوق إلى الوطن

بين الجمال الذى يلقينى من الفبح
والقبح الذى يحفزنى إلى الأعلى .

تأخذنى الغابة إلى أقصى التناقض .
تصبح مكانا للجريمة .
أسير أحيانا فى أعماق بحر أحمر
عبر السكون والأضواء التى تتشبث
بذراعى وقدمى .

عالم غارق .
يخرج شبحه الأحمر من دمانه
حاملًا بشاعة الكائنات المتحولة ذاتها .
تسطع الشمس باللون الأحمر .
حتى الظلال حمراء .
يضغط الزمن رويدا رويدا
بينما يوحى أريج الأشجار
بنشوة مأسوية .

ينتشر الظلام ببطء
فتهرب الطيور من عواء الجان .
ومازلت أسمع صوت المكتسة عندما أجبرتني
صفارة إعانة العاطلين
ذات يوم غائم
على كنس ذهب الأوراق الذابلة .
يُسمع فى الريح طنين «زنابير» ألام الكبرياء
التي تكنس الأوهام .

ألم جمال الخريف الشائه .

تمر أحيانا عربة محملة

بأشجار مقطوعة ومنزوعة القشرة

تبتعد بطيئة

مثل عربة تتحرك من محطة «روسطوف»

• ممثلة بالجثث العارية المبتلة

مفتوحة عيونها

في إثر معركة حربية .

تذكرنى الأشجار انى تضربها الرياح

وشلالات الحشائش المتدفقة

بسفينة الإيمان

المبحرة إلى منبع نهر الآمال

لتجد نفسها دائماً

أسفل شلال بكر .

كل حقيقة تشوقنا إلى حقيقة جديدة

كل ثورة تقودنا إلى ثورة جديدة .

ما هو الصواب حقاً ؟

أجلس أحيانا مرهقا

والملاجئ السرية تحت الأرض

أمامى

أتذكر ليالى القذف بالقنابل

وزكريات بشر عاشوا مثل الخلد .

ها هي خالية أمامى

حصون الجيوش المنتصرة الغابرة .

ليس سوى البؤس .
ويُسمع الصوت المدوي للمدينة الهاوية .

ساحرة حقاً غاية «فنتسان» .
تمحى المسافات

على ضفاف نهر «المارن» - «فارنا» .
يمحى الزمان أمام العاريات المضطجعات .
وعندما تهتز واحدة منهن

تلتف بإيقاع رقصة حديثة
يتبدى فيها همجي يهذى ثملاً من الأشباح .

تتفهم قرنتنا .
تلفى المسافات .
والإنسان الذي ينظر إلى القوارب المنسابة والسابحين
يبصر في الوقت نفسه صورته القديمة
عندما كان صبياً

غريباً في مدينة صغيرة أجنبية
يتعلم اللغة الأجنبية لوطن فكره .
كانت كل كلمة تكبر فيه بفتنة مثيرة
عندما كان صبياً
فتنة كان يحلو بها الواقع المقبل .
ها هو الصبي قد أصبح كائننا آخر
وصل إلى نهاية حلمه .

هو رجل الآن
بعد ثلاثين سنة
يعود لينظر إلى النهر

يتأمل تلك الأيام

حين كان ذلك الحلم يولد فيه .

وينظر . ما هم السباحون ، القوارب

المقامى المزدانة بالأعلام

الالعب المائية

حشود يوم الأحد .

يتأمل الصبى الذى كانه .

ويستمر هذا السراب الروحى العجيب .

تسلم الواحدة ضوئها للآخرى

مثل جهازين لاسلكيين

يتحاوران من عالمين مختلفين

ويحول حلم الأولى

وعلم الثانية

مرارة السنين لبرهة إلى جمال .

بعضها يرى، ينتظر النشوة

والآخر فى حاجة إلى التطهر

والكلمات التى كانت مفعمة بالأحلام

أصبحت واقعاً بلا حدود ...

ثمة قبح ما وراء كل جمال

وهناك نوع من البهلوانية على الحبال

وراء كل نجاح

هناك مشعوذ خبير .

مشوهون نحن حين نبكى

وعندما نرى تلك النشوة .

ولكن هناك جمالاً
أيضاً وراء كل قبح .
النساء محبوبات حين نرغب فيهن فقط .
الفن أيضاً نشوة
الفن فرحة اكتشاف النشوة والألم
في الانهيار الداخلي
الفن جسارة التفجر في دماء الوحش
حتى لا يقهرك أحد

الفن شهادة
كبرياء
إرادة تقهر بالبراءة مكر الماكرين .

* * * * *

من شجرة إلى شجرة
أحياناً
تبحث نظرتي عن شيء ما
تطلق القمم بينما تتأرجح
ضوءاً ما .
ما هذا الجمال الذي يجتاحني يقلقني يسكرني ؟
جمال الشمس والخشخشة
وحركات الموج في الضفاف ؟
جليل هو الصيف !
سماء جليلة
كرخام الآلهة
الذي تشيد به كل الأشياء العظيمة الممكنة .
توفر كل الإمكانيات

لتحول كافة حماقاتنا
إلى لغة سماوية .

كل الأشياء التي ولدت من البحر والنار
وقتلها حماقاتنا العنيدة .
ما هذه القدسية التي
تأتى من موسيقى
تهزنى وتسكرنى .

والحب ؟
أه حتى لجرحه عنوية
ما أزال انتظرها
رغم أننى تألمت بخنجره
حتى نخاع عظامى .

كل هذا النفاق
الذى لا نصدق إلا فيه .
تطفو أمواج السكون
والسحاب يدمى
والأشجار التى تعدل قوامها
تصطف جنباً إلى جنب
لتغنى قبل أن نفترق فى الظلام .

الأبواق تشتعل .
سماء جليلة
والنسوة حاضرات
مختلفات
طيبات قنوتهن «العذراء»

فاتتات كالنافورات
نمرغ عليهن قلوبنا
المتلألئة بالأنوار
إمبراطورية هي المرأة
مثل الفهد
وهي التي تأخذنا
بحبها ونكرانها لذاتها وسموها
إلى الحماسة .
ولكن أوتاد الأشعة تنوق
رويداً رويداً .
وتتطفئ الشموع .
وينفد الرخام .
وتُسمع الأقدام الرصاصية
لجنازة ما
للظلام لأفكارى .
سنظل هكذا إلى أن نموت .
ننتظر ثم يخيب الأمل .
والمأساة
أن انتظارنا
لا يبرأ أبداً فارغاً
أو أحماً .
هذا ما ينبغي أن يكون .
تأفه ما جنيناه من تأملاتنا عبر القرون
وزائلة خمرة حواسنا
مقارنة إلى عذابنا .

ورغم ذلك

نظل فى حركة أبدية

ننتقل من التأمل للإحساس

ومن الإحساس للتأمل

ومن المرارة للفرحة

ننتظر دائما

بينما الذى ننتظره

يأتى ويذهب .

نهم . طلب .

تتمر يقودنا نحو القناعة ...

* * * * *

أقف متأملا

بينما ينقلت ضوء من برج «أيفل»

من الشبكة العنكبوتية المعقدة من السماء

أشبه بنجم يهدى الطائرات .

والموجات الصوتية تندفع غزيرة سحرية

أقف مرتعداً كى أجد الكلمة الحقّة ...

أتأمل وأفهم لماذا يغادر مواطنى

هذه المدينة لكى يعودوا إلى الوطن .

ثمة حلم قد تهدم فى عمق أرواحهم .

لكل منهم قصة شتاته

وهموم أبنائه .

يفادرون وهم يحتقرون هذه الفخامة .

يجذبهم سر تراب الوطن .

كل منهم فخور باحتقاره هذا
متحمس لما اختاره .
أفهم لماذا يسجدون ليلثموا
أرض وطنهم
يحمل كل واحد منهم شوقا
إلى العدالة
والإبراك الإنساني الأسمى
لقد عرف أنه لن يعثر عليها
على أرض أخرى غير أرضه .

وبينما أشاهد في الأفق موكب الحجيج
وهو يخرج من أحياء وضواحي المدينة الكبيرة
وقد تخلوا عني
أرى حزينا في عمق الغابة
مشهدا بين سحابتين يثير اهتمامي ويهزني .
أرى واحدة تنظر كئيبان
والأخرى أشبه بطائر
يقرب منه مذهولاً
ثم سقط بعد برهة في فمه .
وعندما تهضم السحابة فريستها
طاعنة بذيلها في المدى الأحمر الغامق للسماء
أحس مثل أناس القرون القديمة
وقد شاهدت رؤيا قاسية
أشفق على الحجيج المبتعدين
وأرتعد ثانية كي أعثر على الكلمة الحقّة

من أجلهم .

من الواضح الآن

أن الديار البديلة الغربية

مرغوبة أكثر من وطن أصيل

يشعر فيه الإنسان بغربة أشد

وحرية أقل .

وبعد رجوعي أتنهد مرة أخرى :

« ليس لي مكان ألقى فيه مرساتي

ما من ميناء هاديء ... »

* * * * *

غالباً ما أستيقظ ليلاً

كأن نومي لعنة

جنون كل حلم أحلمه

بل أن أحلامي أكثر جنونا من الجنون .

استيقظ مفتشاً في الواقع عن السلام والأمن

وأفر من الواقع أيضاً من أجلهما

أحاول أن أغطس في النوم والحلم

وأفشل .

أصحو وقلبي يخفق

يكاد ينفطر

يهزني مثل شراع يهز سارية

مثل صقر أحكمت في قدمية القيود .

قلب يجثم فوقى

يضعني تحت براثنه الوحشية

لا يقدر عقلي أن يهدئه

مُعَذِّبٌ وَمُعَذَّبٌ
إنه صوت وخز الضمير
الذي يصدر من تحت أنقاض
أخطائي وخطاياي وحقاقتي .
هو احتجاج
ضد قيود العقل المستبدة
وهو مُفْرَع من سطوة هذا الإمبراطور .
غاضب من أجل انكساره .
هو بذرة تتحدر من الأسلاف
غريبة عني
ولكنها أشد أصالة .
كما أنا مشوه بالحياة والأفكار .
هكذا أنقسم أنا إلى اثنين
في سكون الليل
نصف نائم ونصف يقظان
أعرض لأنكى العذابات .
يسيل العرق من جبهتي وصدرى .
وحدى فى نهاية العالم
وقد تخلص الجميع عني
كأنتى محكوم عليه بالإعدام
يجهل جريمته .
تصير الريح وخشخشة الأشجار فى الظلام
قاستين مثل ضجيج تشييد مقصلة .
هذا هو وقت مجيء كل تناقضاتى
يصارع بعضها بعضا .

إنه الوقت الذى يشهد

مأساة ولادة التشتت الشاملة .

تهزنى الذكريات ، تطاردنى .

تسخر منى

تقتلنى .

الموتى من أترابى فارفونى

وهم ينتكرون لى .

أما الأحياء فهم يضمرون حكماً .

هل الذاتية خطيئة ؟

أحتقر الذين يدينوننى

ولكننى كنت أتمنى

أن أحظى بودهم وثقتهم .

أليس ذلك سر عزمى وعذابى .

حينما أكتب ؟

* * * * *

للفجر بعد انحسار الظلام

جمال النعيم .

لحظة من الغبطة بين النوم واليقظة

كأن جسدى كله يتفتح

مثل السماء

يصير شفافاً أمام الأشياء والمخلوقات .

يملاّننى انطباع خفى

بأننى أحرزت نصراً .

لدى سر جمال الحياة .

كل فجر يختلف عن غيره .
الفجر فى الخريف سمو عذب

مثل ذكرى حبيب فارقنا
وننتظر عودته .

الفجر فى الشتاء يزداد شوقاً
حينما يكون الضباب فى الخارج
أرتدى ثيابى تحت المصباح الكهربائى
وأخرج للعمل قبل أن أرى الشمس .
فى فجر الربيع أسمع خطوات حبيبى .
تضطرب روحى .
ويجىء فجر الصيف الأعظمها جلالاً .
يفمرنى الضوء
يفمرنى فى أريج القسطل والزيزفون والسنت .

تنبتق من أبواق نحيلة .
ويكون فجر الصيف أجلاً
خاصة عندما لا يكون لدى
هم الذهاب إلى العمل .
بعيداً عن الحياة
أفهمها بعمق
بكينوتتها العذراء
مثل نعمة .

تتجلى الحياة بكل سموها
عندما لا أبالى
بحاجاتنا اليومية والملحة

والتي لا معنى لها في معظم الأحيان
والتي يصارع بعضها بعضاً من أجلها مدى الحياة
عندما لا أبالي حتى بالعمل ومختلف المتع وأنواع الحرمان
حيث يصبح الكسل مقدساً .
يصير انتصاراً ونعمة .
ويصعد الامتنان من أعماق روعي
تجاه الطبيعة والناس
فهل كانت السعادة ممكنة
بدون هذا الكسل ؟

الكسل ثمرة كدحنا .
النعمة ثمرة صدام الشر بالخير .
لفجر الصيف عظمة العيد .
أشعر بسكينة جليلة نقية عادلة
تعلو فوق التظاهر والنفاق ...
إنها بعث .

.....

يا لها من برهة
أسبل فيها عيني
منساباً في مسافات مشتتة لا تنتهي
وأنا أحل الوحدة بعد الأخرى
قيود ألي ، إرهاقي ، حزني ، ويأسي
متحففا صاعداً نحو النور .
أصير شفافاً وصافياً .
والفجر يتبدى متجلياً
فهي امرأة خيالية

أو طائرة يحلق فوق الوهاد
في قمة شجرة
أو تبع نفيض من منه كل الخيرات .

يا لها من برهة

وأنا لازلت غير عارف بنفسى
أجهل ذاتى
ولا أنرى أين أنا .

كل شيء يبدو خارقاً

كل شيء .

حركة جناح طائر

يقفز من غصن إلى غصن

فشعريرة الأوراق

مخمل براثن قطة

القيد الحديدى بنفك

عن أقدام كلب

ضوضاء المكتسة

وهى تذكرنى بالنيل الطويل

لثوب راقصة

ولكن تذكرنى على الأخص

بمكتسة أمى

حيث كانت أستيفظ على صوت حركتها

لأنهـب إلى المدرسة .

أمى كانته الحبيقة

كانت تقترب من نافذتى

وكانت تتظف روى أيضا

مع فجر كل صيف .

كل هذا بداخلي الآن .

قد انصهر كسبيكة واحدة

العالمان الداخلي والخارجي .

ألغيت الحدود .

وأنا في كل ناحية

أقف على التخوم القصوى للكرة الأرضية

محتشداً بالذكرى المبهمة

لبلداني ومدني

التي عشت فيها

لسهولي وحقولي

لأشجاري ودروي

لبحاري وأنهاري

التي شاهدها .

عجيب أنا أمتلك كل هذا

وأنا بعيد عنه

ولا أحتاج إليه .

هل معنى هذا أنني أقرب إلى الخالق

عندما لا أفكر فيه وأهمله

لست ذلك الشخص الذي يصلي

لأمر كان يطلبه

الأتاني الذي يريد شيئاً ما من السماء

مقابل عبادته

ولست كذلك الشخص الذي يتمرد على السماء

ويسبب أنانيته يضر لها الحقد

ولأنها تضمن عليه .

ساحرة هي غابة «فنسان» .

لقد وصلتُ إلى قمة التركيز الداخلى للتجارب .

لدى سعادة مؤمن متعبد

دون أن يكون لدى إيمانه .

تلتهم خضرة الأشجار بقدسية مغايرة .

المدينة تنوى بسر جديد .

الضوء يأخذ لون زهور اللوز

تحت عيني نصف المسيلة .

.....

للضوء نصاعة رخام «البارتينون»

تحت عيني نصف المسيلة .

أخرج من سريري

متجدداً

منتعشاً طهوراً

وفى مواجهة الأشجار

أمام طاولتى

تبدأ الحياة الحقيقية .

يوليو ١٩٤٧ ، فنسان

يغيشى

”شاعر الجهاد الروحى“

يغيشى (القرن الخامس)

ليست هناك تفاصيل مؤكدة عن حياته .

ألف «فارتان وحرب الأرمن» و«فارتان هو قائد الجيش الأرمنى الذى حارب ضد جيش الفرس الكبير دفاعاً عن الدين عام ٤٥١ . فقد كان هدف هزجيرد الثانى ، ملك الفرس ، أن يرد الأرمن عن الدين المسيحى إلى ديانة الفرس ، أو ، كما كان الأرمن يصفون ذلك الدين ، عبادة النار . وقد دامت المعركة يوماً واحداً وانتصر فيها الفرس بعد استشهاد فارتان ، ولكنهم اقتنعوا أيضاً أن الأرمن لن يتركوا دينهم . وذلك فقد اعتبر الأرمن تلك المعركة خسارة عسكرية وانتصاراً روحياً .

ويؤكد يغيشى أنه شاهد عيان لتلك الأحداث .

أسلوبه متناغم متدفق ، وهو يخضع التفاصيل الواقعية والصور البلاغية لهدفه الأوحده وهو النفاذ فى وجدان القارئ وتأجيح مشاعره الروحية .

زوجات الأمراء المنفيين

لا يمكننى تذكر أسماءهن جميعاً
زوجات الأطهار المبارك
الذين أسروا
أو الذين استشهدوا فى المعركة
لأن من عرفتهن أقل من اللواتى لا أعرفهن
خمس مائة اسم فقط أعرف منهن
لم تنسبن إلى المراتب العليا وحدها
بل إلى الصغرى كذلك
كن جميعاً تسكنهن الفيرة السماوية
وكانت الأعلى مرتبة منهن
تلتقى مع الأدنى مرتبة فى الزهد .
اكتسبن جميعاً
العالية المقام والأدنى منها
فضائل التقوى
أبدا لم تتباهين بأنهن سلالة الأحرار
بل كن مثل من نشأن وسط
شظف العيش بالريف
يلتزم الصبر على الآلام
بل كن أكثر صبرا ممن نشأن فى البؤس .
وكما تغنت أرواجهن بالنور الأبدى للقوة الخفية
فقد تحملن عذاب الجسد

وهن يكابدن عبء الحياة .

لقد كان لكل منهن خادمة منذ الصغر

إلا أنك أمام مظهرين المتواضع

لا تستطيع تمييز السيدة عن وظيفتها .

اللباس واحد

تتمن معاً على الأرض

لا تهين الواحدة منهن

الفراش للأخرى

لأنهن لم يكن يفصلن الفرش

بعضها عن بعض

أضحت البسط كلها داكنة اللون

واكتست الوسائد

بنفس اللون الأسود .

لمن يكن لهن طهارة خصوصيون

لطهى ما يشتهون من الطعام

ولا خبازون معينون

طبقاً لقوانين النبلاء

كن يشتركن معاً فى بداية الأسبوع

فى حشد عام

مثل النساك فى الصحراء

لم تسكب إحداهن الماء

على أيادى الأخريات

لم تقدم الأدنى منهن المنشاف للأعلى

لكى تتنعم أيادى السيدات الرقيقات

ولم يقدم إليهن الزيت لحفلات المرح

لم توضع أمامهن الأطباق اللامعة النقية

ولا كنوس الأيام السعيدة

لم تقف المضيفات أمام الأبواب
ولم يدع النبلاء للولائم .
لم تعد أى منهن تتذكر
ما كان لها من مرييات راعيات
أو أقارب عطوفين .
اكتست ستائر العرائس
بالتراب والدخان
وعشش العنكبوت فى غرف العُرس
تهاوت العروش العالية فى الدواوين
وانكفأت أبواب المائدة
هدمت القصور
ضربت القلاع الحامية .
نوت حدائق الزهور وجفت
اقتلعت من جنورها
الكروم التى تهب النيبذ
أمام أعينهن سلبت ممتلكاتهن
وسمعن بأذانهن صرخات عذاب الأحياء
صاير البلاط كنوزهن
ولم يترك لهن
حتى الزينة على الوجوه .
السيدات المنعمات للأمة الأرمنية
اللواتى كن يعشن مدلات مرفهات
فوق عروشهن
المحمولة على الأعناق
صرن يذهبن حفاة على أقدامهن
لنور العبادة

يتضر عن دون كل

ويعدون بتقديم النذور

لكى يستطعن احتمال هذا البلاء العظيم .

وتلك اللواتى تغذين منذ طفولتهن

بلحوم الغزلان

وأمخاخ العجول

تقبلن الآن بلفهة عظيمة مثل الهمج

على أكل النباتات

لم تتذكرن مطلقاً الملذات

التي اعتدن عليها .

ولأن الشمس تلتفح جلودهن فى الصباح

فقد أسودت أجسادهن

وفى الليل تمزقها خشونة الأرض .

لم تكن تتمتات أفواههن إلا لتلاوة المزامير

وكانت قراءة كتب الأنبياء مواساة كاملة .

لقد اجتمعتا اثنتين - اثنتين

مثل زوجين متوافقين متساويين

لحرث طريق الجنة المستقيم

حتى تصلن بدون هفوة

مرفأ السلام .

لقد نسين الضعف النسائى

وصرن كالرجال متشحين بالضيلة

فى الجهاد الروحى

قاتلن الخطايا الكبرى

قطعن جنورها المميتة وألقين بها .

انتصرن بالسذاجة على اللؤم

وطهرن بالحب المقدس زرقة الحسد .
قطعن جنور الجشع
فبيست الثمار القاتلة على الفصون
سيطرن بالتواضع على الكبر
ووصلن بنفس التواضع
إلى علياء السماء .
فتحن بالصلوات أبواب السماء المغلقة
وجلبن الملائكة من السماء
بتوسلاتهن المقدسة
من أجل خلاصهن
سمعن البشرى وهى بعيدة
ومجدن الله فى الأعالى .
الأرامل منهن أصبحن من جديد عرائس طاهرات
وانتزعن من أنفسهن إهانة الترميل .
زوجات المكبلين قيدن بإرادتهن
الرغبات الجسدية
وشاركن المكبلين المقدسين عذاباتهم .
تشبهن بالشهداء الشجعان
وهن مازلن على قيد الحياة
أصبحن مثل الرهبان
يواسين السجناء من بعيد .
كحن ليأكلن
كى يدخرن المعونات الملكية
لكى يبعثن بها إلى المنفيين لمواساتهم .
تشبهن بالجداجد التى أفرغت من دمانها
وعاشت بلا طعام
مكتفية بعنوبة أغنياتها

وبقيت حية ترتشف الهواء فقط
متشبهة بالملائكة التي لا أجساد لها .

لقد ذابت ثلوج شتاءات عديدة
وجاء الربيع

بالسنونوات الجديدة

لقد رأى عشاق الحياة وفرحوا
بينما النساء لم يستطعن

رؤية أحبائهن المنتظرين

ذكرتهن زهور الربيع

بأزواجهن التواقين لأكاليل العرس .

ولكن عيونهن قد جمدت

شوقا لرؤية جمال وجوههم .

وهنت كلاب الصيد

وكلت حملات الصيادين

لقد حضروا فقط برسائلهم

ولم يأت بهم أى عيد سنوى

نظرن إلى أماكن تناولن فيها عشاء

فغلبهن البكاء

ذكرن أسمائهم فى كل الميادين

وقد أقيمت لهم التماثيل العديدة

حيث نقشت عليها الأسماء .

ورغم هذا الاضطراب العظيم فى عقولهن

لم تضعف أبدا لديهن العفة السماوية .

من الخارج كن تشبهن أرامل معذبات

فى لباس حدادهن

أما في داخلهن

فكن يتزين يتعزين

بالحب السماوى .

لم تعدن تسألن القادمين من البلاد البعيدة

متى سيرين أحبائهن .

وكن يرغبن من الله

فى شىء وحيد

أن تنهين بالحب السماوى

ما كن بدأنه بالجسارة .

مصطلحات

القافا : ترجع إلى كلمة «قافية» باللغة العربية : نوع من القصائد فى العصور الوسطى إبتداء من القرنين الثالث والرابع عشر ، كانت فى الغالب رباعيات تدخل فى قصص ثرية وتتوافق مع مواضيعها وخطها الأساسى ، يعطى فيها الشاعر نصيحة أخلاقية .

الهايرين : التعريف الأعم بها أنها رباعيات مكتوبة على وزن يعرف بـ«الهايرين» . والكلمة تعنى الأرمنية . ونجد عروض الهايرين فى الشعر الأرمنى القديم ، مثلاً عند ناريجاتسى .

الهايرين كرباعيات تحتوى كل منها على فكرة وصورة مكتملتين . ونجى القافية فى السطور الأول والثانى والرابع ، أما السطر الثالث فهو غير مقفى .

نريوغ : مدح ، شخص أو واقعة .

شاراجان : قصيدة دينية تغنى أثناء الطقوس الكنسية تمتدح أقوال وأعمال المخلص يسوع المسيح أو ذكرى قديس ، أو تعبر عن وعى الإنسان لذنوبه .

فوغب : نذب أو نواح : مضمونها مأسى الحياة الشخصية أو الإجتماعية أو الوقائع القومية السياسية .

داغ : فى الأصل قصيدة دينية تمتدح أى شئ يقدس ، مثل الصليب ، الكنيسة ، إلخ . ثم أصبحت تسمية القصيدة فى الشعر الأرمنى فى العصور الوسطى .

كانتس : قصيدة دينية تحتوى على أحاسيس وأفكار تتسم بالحزن .

الرمز : (فى العصور الوسطى) : Allegory : صورة شعرية أو قصة المهم فيها ليس المعنى المباشر بل المعنى الخفى .

جازيل : غزل : نوع من القصائد انتشرت فى الشعر الفارسى والعربى والهندي إلخ فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر . تتكون من أبيات وكل بيت يحتوى على سطرين يتهيان بالردف أى بنفس الكلمة أو الكلمات ، والكلمات التى تسبق الردف تكون قافية داخلية . نفس القافية والردف تعاد فى السطر الثانى للأبيات التالية ، أما السطر الأول فهو بلا قافية .

الردف : إعادة كلمة أو أكثر في نهاية السطر الشعري تسبقها القافية .

كراپسار : اللغة الأرمنية القديمة .

اشخاراپار : اللغة الأرمنية الحديثة .

أشسوغ : من كلمة «العاشق» العربية : شعراء - ملحنون - مغنون - عازفون في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، يطوفون القرى والمدن وينالون الإعجاب لا من الشعب فقط بل من الوجهاء والأمراء . ونجد في فن الأشسوغ تأثر بالشعوب المتجاورة ، كالأرمنية والفارسية والتركية .

الفهرس

الصفحة

٣

تصدير «عندما يكون الشاعر هو الوطن» فاروق شوشة

٥

تمهيد

٧

نبذة تاريخية

باروير سيقاج (١٩٢٤ - ١٩٧١)

١٥

حياته وفنه

القصاصد

١٧

اقتراح للحاسبات والآلات الدقيقة فى جميع أنحاء العالم

٢٥

تعارف جديد

٢٩

الشعراء

٣١

الأعور

٣٢

التعليقات

يغيشى تشارنتس (١٨٩٧ - ١٩٣٧)

٣٧

حياته وفنه

القصاصد

٣٩

سوناتا مثقلة

٤٠

فى مصيدة النظرات

٤٢

أغنية للموتى

٤٥

الليلة العجبية

٤٨

التعليقات

ميساك ميلزاريتس (١٨٨٦ - ١٩٠٨)

٥٥	حياته وفنه
	القصاصد
٥٧	أغنية حب
٥٨	قبل فجر الأحد
٥٩	الريح
٦١	أيتها العذراء
٦٣	التعليقات

قاهان ديريان (١٨٨٥ - ١٩٢٠)

٦٧	حياته وفنه
	القصاصد
٦٩	وأرونى التراب
٧٠	أمنية
٧١	فردوس العودة
٧٢	مصير
٧٣	أسى
٧٤	غزلية الوداع
٧٥	التعليقات

تانييل فاروچان (١٨٨٤ - ١٩١٥)

٧٩	حياته وفنه
	القصاصد
٨١	إلى تمثال الجمال

٨٢	يا داليدا
٨٤	تخلي
٨٩	الفسوء
٩٤	الظهيره
٩٦	الحمام الشرقى
١٠٤	التعليقات

قاهان تيكيان (١٨٧٨ - ١٩٤٥)

١١١	حياته وفنه
	القصاصد
١١٣	الحسنات .
١١٤	نداء حب
١١٥	وحيدتى
١١٧	إبنى
١١٨	تصفية الحساب
١١٩	التعليقات

ميامانطو (١٨٧٨ - ١٩١٥)

١٢٣	حياته وفنه
	القصاصد
١٢٥	حفنة من الرماد
١٢٧	دموعى
١٢٩	التعليقات

إندرا (١٨٧٥ - ١٩٢١)

	القصاصات
١٣٥	المطير
١٣٨	الضوء
١٤١	زهرة البنج
١٤٥	الأمرامات
١٤٨	التعليقات

أفيديك إساماجيان (١٨٧٥ - ١٩٥٧)

١٥٣	حياته وفنه
	القصاصات
١٥٥	الحياة حلم
١٥٦	خلود
١٥٧	حجر
١٥٨	التعليقات

هوقانيس تومانيان (١٨٦٩ - ١٩٢٣)

١٦١	حياته وفنه
	القصاصات
١٦٣	مباركة قديمة
١٦٥	التعليقات

يغيا دميرچيانشيان (١٨٥١ - ١٩٠٨)

١٦٩	حياته وفنه
	القصاصات
١٧١	أطل على قبري

١٧٢	وحيد
١٧٤	هكذا أريد أن أموت
١٧٥	البحر مستيقظا والبحر نائما
١٧٦	التعليقات

بلروس توريان (١٨٥١ - ١٨٧٢)

١٧٩	حياته وفنه
	القصائد
١٨١	البحيرة
١٨٤	الغادة التركية
١٨٦	موتى
١٨٨	تغرد
١٩١	ندم
١٩٢	التعليقات

ساياط نوفا (١٧١٢ - ١٧٩٥)

١٩٧	حياته وفنه
	القصائد
١٩٩	كمناجى
٢٠١	ضراعة
٢٠٣	لأنك أشد فطنة
٢٠٥	الدينا نافذة
٢٠٧	التعليقات

باغدادسار تير (١٦٨٣ - ١٧٦٨)

- ٢١١ حياته وفنه
القصاصند
- ٢١٣ قومي من نومك الملكى
- ٢١٥ عذاباتي وضجري من هؤلاء
- ٢١٦ التعليقات

ناغاش هو قناطان (١٦٦١ - ١٧٢٢)

- ٢١٩ حياته وفنه
القصاصند
- ٢٢١ أغنية للربيع والفرح
- ٢٢٤ التعليقات

فرسيس موجاتسى (١٥٧٥ - ١٦٢٥)

- ٢٢٧ حياته وفنه
القصاصند
- ٢٢٩ جدل بين السماء والأرض
- ٢٣٤ التعليقات

ناهايد كوتشاج (١٥٩٣ - ؟)

- ٢٣٧ حياته وفنه
القصاصند
- ٢٣٩ غزليات
- ٢٤٦ التعليقات

كريكوريس أخطامارتسي (القرن السادس عشر)

- ٢٥١ حياته وفنه
القصاصات
- ٢٥٣ من الكاثوليكوس كريكوريس
- ٢٥٥ أغنية لربيع أخطامار
- ٢٥٨ أغنية عن صاحب الدار ويستان الكرم الجديدين وعن البكاء
- ٢٦١ التعليقات

هوفانيس طلجورانتسي (١٥٢٥ - ١٤٤٠)

- ٢٦٥ حياته وفنه
القصاصات
- ٢٦٧ لا تقتليني بالحب
- ٢٧١ آه من تذكرك أيها الموت
- ٢٧٤ أغنية حب
- ٢٧٧ التعليقات

خاتشادور جيتشاريتسي (١٢٦٠ - ١٣٣١)

- ٢٨١ حياته وفنه
القصاصات
- ٢٨٣ جئت من عناصر الأرض الأربعة
- ٢٨٥ نصيحة روحية
- ٢٨٧ التعليقات

جوسدانين يريزيجاتسي (١٢٥٠ - ١٣٣٠)

- ٢٩١ حياته وفنه

القصاصات

٢٩٣

السرور

٢٩٧

جواب جديد

٢٩٩

حب الصباح

٣٠٢

كلمات الروح لا كلمات الجسد

٣٠٦

التعليقات

هوقانيس يوزنجاتسي (١٢٩٣ - ١٢٣٠)

٣٠٩

حياته وفنه

القصاصات

٣١١

مايرينات

٣١٥

التعليقات

فرسيس شنور هالي (١١٧٣ - ١٠٩٨)

٣١٩

حياته وفنه

القصاصات

٣٢١

إتهالات

٣٢٧

التعليقات

كريكور ناريجاتسي (١٠٠٣ - ٩٥١)

٣٣١

حياته وفنه

القصاصات

٣٣٣

لك في الأعلى يا من ترى الخفايا

٣٣٥

الندم الشديد وار تكاب الآثام

٣٣٦

لو أننا هربنا منك، فإنك تدر كنا

٢٣٦	لو أننا هربنا منك ، فإنك تتركنا
٢٣٧	إذا أبصرت جندياً ، أتوقع الموت
٢٣٩	سوف يرتفع شرفك بي
٢٤١	ويل لي أنا الخياط
٢٤٣	يا سيد الرحمات
٢٤٥	إننى أؤمن بعظمتته أولاً
٢٤٧	التعليقات
	أناشيد كوفطان من العهد الوثني
٢٥٣	مولد قاسماكن
٢٥٤	قصة أرداشيس وساتينج
٢٥٧	نيجو غوص صارفيان
٢٦٠	غابة فنسان (مقاطع)
٢٧٩	يفيشي «شاعر الجهاز الروحي»
٢٨١	يفيشي (القرن الخامس)
٢٨٢	زوجات الأمراء المنفيين
٢٨٩	مصطلحات
٢٩١	الفهرس

المشروع القومى للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	لـ. مادهو باتنيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣ - التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضري
٥ - ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إيفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولمان	ت : يوسف الأنطكي
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التفيرات البيئية	أندرو س. جودي	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب المكابة	جيرار جينيت	ت : محمد متصم وعبد الجليل الأزني وعمر حلى
١١ - مختارات	فيسوفا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - ديانة الساميين	روبرتسن سميت	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ - التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان فويل	ت : حسن الموين
١٥ - الحركات الفنية	إدوارد لويس سميت	ت : أشرف رفيق عفيفي
١٦ - أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عثمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوي
١٨ - الشعر النسائي فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة النظم	ج. ج. كراوثر	ت : يعنى طريف الخولى / بدوي عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صمد بهرتجي	ت : ماجدة العناني
٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصري
٢٣ - تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارنر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثنوى	مولانا جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ - رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبوسنة
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر النيب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	لـ. مادهو باتنيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الطوحي / عبد الوهاب علوب
٣٢ - الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣ - التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣٤ - الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المتيف
٣٥ - الأسطورة والعداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كفت

٢٦ - نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت حياة جاسم محمد
٢٧ - واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت جمال عبد الرحيم
٢٨ - نقد العداة	ألن تورين	ت : أنور مغيث
٢٩ - الإغريق والمسد	بيتر والكوت	ت منيرة كروان
٤٠ - قصائد حب	آن سكستون	ت محمد عبد إبراهيم
٤١ - ما بعد المركزية الأدبية	بيتر جران	ت عطف أحمد / إبراهيم قتي / محمود ملج
٤٢ - عالم ماك	بنجامين باربر	ت أحمد محمود
٤٣ - الذهب المزبورج	فوكلافيو پاث	ت المهدي أخريف
٤٤ - بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	ت مارلين تانيرس
٤٥ - التراث المقدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فابن	ت أحمد محمود
٤٦ - عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت محمود السيد علي
٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	رينيه ويليك	ت مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية	فراسوا دوما	ت ماهر جويجاتي
٤٩ - الإسلام في البلقان	هـ - ت - نوريس	ت عبد الوهاب علوب
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت محمد بركة وعشلي الميود يوسف الأشكي
٥١ - مسار الرواية الإسبانية الأمريكية	داريو بيانوبيا وخ م بيناليستي	ت محمد أبو العطا
٥٢ - العلاج النفسي التبعي	بيتر - ن - نوهاليس وستيفز - ج -	ت لطفي فطيم وعادل دمرداش
٥٣ - الدراما والتنظيم	روجسيفتر وروجر بيل	ت مرسى سعد الدين
٥٤ - المفهوم الإغريقي للمسرح	آ - ف - ألجتون	ت محسن مصيلحي
٥٥ - ما وراء العلم	ج - مابكل والتون	ت علي يوسف علي
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)	جون مولكنجهوم	ت محمود علي مكي
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو عرسية لوركا	ت محمود السيد ، ماهر البطوطي
٥٨ - مسرحيتان	فديريكو عرسية لوركا	ت محمد أبو العطا
٥٩ - المحبرة	كارلوس موبيت	ت . السيد السيد مهيم
٦٠ - التصميم والشكل	جوهانز ايتن	ت صبرى محمد عبد الغني
٦١ - موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميت	مراجعة وإشراف محمد الجوهري
٦٢ - لذة النص	رولان بارت	ت محمد خير البقاعي .
٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة)	الان وود	ت رمسيس عوض .
٦٥ - في مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت رمسيس عوض .
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية	أطونيو جالا	ت عبد الطيف عبد العظيم
٦٧ - مختارات	فرماندو بيسوا	ت المهدي أخريف
٦٨ - تناسخ العجوز وقصص أخرى	مالتي راسيوتس	ت أشرف الصباغ
٦٩ - العلم الإسلامي في نول القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت أحمد فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوجينيو تشايغ رودريجت	ت عبد الحميد غلاب وأحمد هشاد
٧١ - السيدة لا تصلح إلا لقرمي	داريو فو	ت حسني محمود

- ٧٢ - السياسي العجوز
٧٣ - نقد استجابة القارئ
٧٤ - صلاح الدين والمماليك في مصر
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية
٧٦ - جاك لاكان واغواء التحليل النفسي
٧٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٢
٧٨ - العولمة النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية
٧٩ - شعرية التكليف
٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع»
٨١ - الجماعات المتخيلة
٨٢ - مسرح ميجيل
٨٣ - مختارات
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد
٨٥ - منصور الحلاج (مسرحة)
٨٦ - طول الليل
٨٧ - نون والقلم
٨٨ - الابتلاء بالتقرب
٨٩ - الطريق الثالث
٩٠ - وسم السيف (قصص)
٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح الإسباني وأمريكي المعاصر
٩٣ - محدثات العولمة
٩٤ - الحب الأول والصحة
٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني
٩٦ - ثلاث زينقات وردة
٩٧ - هوية فرنسا (مج ١)
٩٨ - الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني
٩٩ - تاريخ السينما العالمية
١٠٠ - مساطة العولمة
١٠١ - النص الروائي (تقنيات ومناهج)
١٠٢ - السياسة والتسامح
١٠٣ - قبر ابن عربي يليه آباء
١٠٤ - أوبرا ماهوجني
١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع
١٠٦ - الأدب الاندلسي
١٠٧ - صورة الفنان في الشعر الأمريكي المعاصر
- ت . س . إليوت
جين . ب . توميكترز
ل . ا . سيميتوفا
أندريه مورو
مجموعة من الكتاب
رينيه ويليك
رونالد روبرتسون
يوريس أوسبنسكي
ألكسندر بوشكين
بنديكت أندرسن
ميجيل دي أونامونو
غوتفريد بن
مجموعة من الكتاب
صلاح زكي أقطاي
جمال مير صادق
جلال آل أحمد
جلال آل أحمد
أنطوني جينز
نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية
باربر الاسوستكا
كارلوس ميجل
مايك فيذرستون وسكوت لاش
سمويل بيكيت
أنطونيو بوينو بايخو
قصص مختارة
فرنان برودل
نماذج ومقالات
ديفيد روبنسون
بول هيرست وجراهام تومبسون
بيرنار فاليت
عبد الكريم الخطيب
عبد الوهاب المؤيد
برتول بريشت
جيرار جينيت
د . ماريا خيسوس روبييرامتي
نخبة
- ت : فؤاد مجلي
ت : حسن تانم وعلي حاكم
ت : حسن بيومي
ت : أحمد درويش
ت : عبد المقصود عبد الكريم
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : أحمد محمود ونورا أمين
ت : سعيد الفانمي وناصر حلاوي
ت : مكارم الغمري
ت : محمد طارق الشرقاوي
ت : محمود السيد علي
ت : خالد المعالي
ت : عبد الحميد شبيحة
ت : عبد الرازق بركات
ت : أحمد فتحي يوسف شتا
ت : ماجدة العناني
ت : إبراهيم الدسوقي شتا
ت : أحمد زايد ومحمد محيي الدين
ت : محمد إبراهيم مبروك
ت : محمد هناء عبد الفتاح
ت : نادية جمال الدين
ت : عبد الوهاب علوب
ت : فوزية العشماوي
ت : سري محمد محمد عبد الطيف
ت : إدوار الخراط
ت : بشير السباعي
ت : أشرف الصباغ
ت : إبراهيم قنديل
ت : إبراهيم فتحي
ت : رشيد بنحدو
ت : عز الدين الكتاني الإدريسي
ت : محمد بنيس
ت : عبد الغفار مكاوي
ت : عبد العزيز شميل
ت : أشرف علي دعور
ت : محمد عبد الله الجعدي

١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأشلسي	مجموعة من النقاد	ت - محمود علي مكي
١٠٩ - حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت - هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء في العالم النامي	حسنه بيجوم	ت - منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت - ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادي	أرلين علوي ماكليود	ت - إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	سادي بلانت	ت - أحمد حسان
١١٤ - مسرحية حملا كوني وسكر المستقم	وول شوينكا	ت - نسيم مجلي
١١٥ - غرفة تخص المرأة وحده	فرجينيا وولف	ت - سميرة رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سيتشيا تلسون	ت - نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلي أحمد	ت - منى إبراهيم - وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية في مصر	م.ث. بارون	ت - لميس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت - بإشراف/ رؤوف عباس
١٢ - الحركة النسائية والقطر في الشرق الأوسط	ليلي أبو لعد	ت - نخبة من المترجمين
١٢١ - الليل الصغير في كتلة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت - محمد الجندي - وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإسلام	جوزيف فوجت	ت - منيرة كروان
١٢٣ - الامبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيل الكسندر وهنادوليا	ت - أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكاذب	جون جراي	ت - أحمد فؤاد بلبح
١٢٥ - التحليل الموسيقي	سيدريك ثورپ ديفي	ت - سمحة الحولي
١٢٦ - فعل القراءة	فولفانج إيسر	ت - عبد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحي	ت - بشير السباعي
١٢٨ - الأدب المقارن	سوزان باسبيت	ت - أميرة حسن بويرة
١٢٩ - الرواية الاسانبة المعاصرة	ماريا دولورس أنيس حاروت	ت - محمد أبو العطا واهرون
١٣٠ - الشرق يصعد تاسية	أندريه جومر فراك	ت - شوقي حلال
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)	مجموعة من المؤلفين	ت - لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العونة	مايك فيدرستون	ت - عبد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	هارق على	ت - طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	ماري ج. كيمب	ت - أحمد محمود
١٣٥ - انحراف منقذات من اليون (ثلاثه احرار)	ت. س. إليوت	ت - ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كيميث كومو	ت - سحر توفيق
١٣٧ - منكرات ضابط في الصلة الفرنسية	جوريف ماري مواريه	ت - كاميليا صبحي
١٣٨ - عالم التلفزيون بين الجمال والعنف	إيفيليا تاروني	ت - وحيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - باريسيفال	ريشارد فاچر	ت - مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث يلتقي الأمهار	هرمرت ميسر	ت - أمل الحموري
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت - نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت - حسن بيومي
١٤٣ - قضايا التنوير في البحث الاجتماعي	ديريك لايدار	ت - عدلي السمري
١٤٤ - صاحبة اللوكايدة	كارلو جولدوني	ت - سلامة محمد سليمان

١٤٥ - موت أرتيميو كروث	كارلوس فويقتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ - الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : علي عبد الرؤوف البمبي
١٤٧ - خطبة الإدارة الطويلة	تاتكريد دورست	ت : عبد الفقار مكاوي
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إتريكي أندرسون إمبرث	ت : علي إبراهيم علي منوفى
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت ونوتيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ - التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليمان	ت : منيرة كروان
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ح ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد الخطابي
١٥٣ - غرام الفراعنة	فيولين هاتويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى	جى أنال والآن وأوديت فيرمو	ت : مى التمساني
١٥٧ - خسرو وشيرين	النظامى الكتوجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
١٥٩ - الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ - آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ - من المسرح الإسباني	البخاندرو كاسوبا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ - تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيرى	ت : صلاح عبد العزيز محبوب
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت : بإشراف محمد الجوهري
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكوثير	ت : نبيل سعد
١٦٥ - حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ - العلاقات بين التنبيه والطابع في إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ - في عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ - دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ - إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ - الطريق	ميفيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ - وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ - ححر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابي
١٧٣ - معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ - التليفزيون في الحياة اليومية	لورينزو هيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم نيتبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ - أسطول تشيخوف	هنرى تروايا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ - مضللات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدي إبراهيم
١٧٩ - حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ - قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ - النقد الأدبي الأمريكي	فنتست . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ - العنف والنبوة	و . ب . بيتس	ت . ياسين طه حافظ
١٨٣ - جلن كوككو على شلثة السيتما	رينيه جيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ - القاهرة .. حاملة لا تنام	هانز ايندورفر	ت : بصوتى سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ - معجم مصطلحات فيجل	ميخائيل أنود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرضة	بزرّج علوى	ت . علاء منصور
١٨٨ - موت الأدب	اللين كرنان	ت . بدر الديب
١٨٩ - العمى والبصيرة	بول دى مان	ت . سعيد الفانمى
١٩٠ - معاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت . محسن سيد فرجاني
١٩١ - الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت . مصطفى حجازى السيد
١٩٢ - سياحتهامه إبراهيم بيك	زين العابدين المراغى	ت . محمود سلامة علاوى
١٩٣ - عامل النجم	بيتر أبراهامز	ت . محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ - مخترقات من نقد الأنطو - لىركى	مجموعة من النقاد	ت . ماهر شفيق فريد
١٩٥ - شفاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت . محمد علاء الدين منصور
١٩٦ - المهلة الأخيرة	فالتين راسبوتين	ت . أشرف الصباغ
١٩٧ - الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت . جلال السيد الحفناوى
١٩٨ - الاتصال الجماهيرى	إدوين إمري وآخرون	ت . إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لاندوى	ت . جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف جمال
٢٠٠ - ضحايا التنمية	جيرمى سبيروك	ت . فخرى لبيب
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت . أحمد الأنصارى
٢٠٢ - تاريخ نقد الأدب الحديث ج١	رينيه ويليك	ت . مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ - الشعر والشاعرية	ألفاف حسين حالى	ت . جلال السيد الحفناوى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شارار	ت . أحمد محمود هويدي
٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافالى - سفورزا	ت . أحمد مستجير
٢٠٦ - الهولوية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت . على يوسف على
٢٠٧ - ليل إفريقي	رامون خوتاسنغير	ت . محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت . محمد أحمد صالح
٢٠٩ - السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت . أشرف الصباغ
٢١٠ - مشويات حكيم سنائى	سنائى القرنوى	ت . يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ - فريديان دوسوسير	جوناثان كلر	ت . محمود حمدي عبد الفنى
٢١٢ - قصص الأمير مرزيان	مرزيان بن رستم بن شروين	ت . يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ - صرخت قويم على خرى رجل عد القصر	ريمون فلاور	ت . سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ - قواعد حيدة السبع فى علم الاجتماع	أنثونى جينتز	ت . محمد محمود محى الدين
٢١٥ - سياحته نامه إبراهيم بيك ج٢	زين العابدين المراغى	ت . محمود سلامة علاوى
٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت . أشرف الصباغ
٢١٧ - عولة السياسة العالمية	جون بايلس وستيث سميث	ت . وجيه سمعان عبد المسيح
٢١٨ - رايولا	خوليو كورتازان	ت . على إبراهيم على منولى

٢١٩ - بقايا اليوم	كانزو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ - الهيولية في الكون	باري باركر	ت : علي يوسف علي
٢٢١ - شعرة كلافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ - فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ - العلم في مجتمع حر	بول فيراينر	ت : السيد محمد نقادى
٢٢٤ - دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر ابراهيم السيد
٢٢٥ - حكاية غريق	جابريل جارتيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هريت لورانس	ت : طاهر محمد علي البريرى
٢٢٧ - السرح الإمبري في القرن السابع عشر	موسى ماردنيا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : ماري تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ - ملثق البطل الوحيد	نورمان كيمن	ت : أمير ابراهيم العمري
٢٣٠ - عن القباب والفنزان والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى ابراهيم فهمى
٢٣١ - الدراهيل	خايمي سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ - ما بعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى ابراهيم فهمى
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ - الإسلام في السودان	ج. سبنسر تريمتهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ - ديوان شمس التبريرى	جلال الدين مولوى رومى	ت : ابراهيم الدسوقي شتا
٢٣٦ - الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ - مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ - العولة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعمرى مديولى أحمد
٢٣٩ - العرس في الأدب الإسرائيلى	جيلادافر - راويح	ت : نادية سليمان حافظ وليهاب صلاح فليق
٢٤٠ - الإسلام والعرب وامكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ - في انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ - سبعة أنماط من النموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبي
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية ج١	ليفى بروفيسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ - العليار	لاورا إسكينيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ - مساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق علي منصور
٢٤٦ - قصص مختارة	جابريل جرتيا ماركث	ت : علي ابراهيم علي منوفى
٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والعدالة في مصر	ولتر أرميرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ - حقوق عدن الحصراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ - لغة التمرق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم	دومنيك فيك	ت : ماجدة أباطة
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت : بإشراف - محمد الجوهري
٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو مدران	ت : علي مدران
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيميولفا	ت : حسن بيومي
٢٥٤ - الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ - أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ - بيكرت	ديف روينسون وجوى جروفرز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ - الفجر	سير أنجوس فريزر	ت : عبادة كحيلة
٢٥٩ - مخترعات من الشعر الأرمنى	د. فاروچان كازانچيان	ت : نقبة .

طبع بالهيئة العامة لشتون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٤٨٣١ / ٢٠٠١



مختارات الشعر الأرميني عبر العصور

تقترب هذه المختارات من تخوم الشعر الأرميني ، الذي يقدم رؤية شعرية حافلة بالصور والمشاعر الإنسانية ومعاناة الحياة والوجود وتمزق الهجرة والتشرد وصراعات المنفى وافتقاد الأرض والوطن ؛ مما يجعل من كثير من صفحاته - على المستوى العميق من الإبداع الشعري - بكائية هائلة ، هي بكائية هذا الوجود المضطهد ، وهذا الإنسان المقذوف به في أتون الصراعات والحروب ومناطق النفوذ ، وهو يلتمس طوق النجاة .

هذا الشعر - إذن - هو وجدان أمة ، هي أمة الأرمن ، في كل لغاتها ومستويات تعبيرها ، وتغير عقيدتها الدينية من الوثنية إلى المسيحية ، ومن الانعزال والتقوقع إلى الانفتاح والتعايش .

ولم يتوقف الشعر الأرميني عن تجسيد معنى الوطن ، وعن الإعلان عن افتقاده ، وعن الغناء له جسداً وروحاً ونزوعاً ميتافيزيقياً أو مخاطبة للكون المائل ، تجسيداً أو تجريداً ، ذوباناً في الحب أو انغماساً في تجليات الصلاة والقربى .

تحية لهذا الجهد الكبير : ترجمة وصياغة ، وإضافة ثرية إلى رصيد المكتبة العربية من الشعر العالمي ، وإلى رصيد القارئ العربي من المعرفة العميقة بالملحمة الأرمينية عبر التاريخ .

فاروق شوشا

الغلاف: عماد جليم
لوحة الغلاف: منحوتة للفنان الأرميني